



القلزم للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة



تصدر عن مركز بحوث ودراسات حوض البحر الأحمر - السودان

ISSN:1858-9952

بالشراكة مع الإتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك

في هذا العدد :

- الاتجاهات السياسية والفكرية في العراق خلال القرن الرابع عشر الهجري
د.علي بن حسن أحمد بانافع
- الحياة التعليمية في مصر الفاطمية
أ.د.الشريف يحيى بن حمزة الوزنة السليمانى الحسنى
- الصلات التاريخية والحضارية بين ساحلي البحر الأحمر
د.صالح محروس محمد
- علاقة المسلمين بالحبشة في عصري النبوة والخلافة الراشدة
د. أفراح علي جبران ناجي السنباني
- تاريخ نقل الأسماء العربية إلى الإنجليزية الحروف اللاتينية (Transliteration)
د. محمد المصطفى أبو القاسم



العدد التاسع - صفر 1443هـ - سبتمبر 2021م

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
Alqulzum Journal for: مجلة القلزم
Historical and cultural Studies

الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2021
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي-
السودان - الخرطوم
ردمك: 1858-9952

مجلة القلزم للدراسات التاريخية و الحضارية

الهيئة العلمية و الإستشارية

- أ.د. حسن أحمد إبراهيم-السودان
أ.د. سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية
أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان
أ.د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان
أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية
أ.د. السمانى النصري محمد أحمد - السودان
د. أحمد الياس الحسين - السودان
د. داود ساغه محمد عبد الله- السودان
د. سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية
د. سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر
د. محمد أحمد زروق- المغرب
د. سعاد عبد العزيز أحمد السودان
د. أحمد محمد مركز- السودان
د. باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا
د. عزة محمد موسى - السودان
د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان
د. ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د.إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير

أ.د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسني شبا

سكرتير التحرير

د.سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي

أ.الفتاح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف

ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (الْقُلُزم) للدراسات التاريخية و الحضارية مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان . بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التاريخية والحضارية والمواضيع ذات الصلة لدول حوض البحر الأحمر من الناحية التاريخية والحضارية.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
 2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
 3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً بالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
 4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
 5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
 6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
 7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
 8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
 9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).
- نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

التعليم الديني في غرب كردفان (منطقة دارحَمَر) (1900 - 1955م).....(24-7)

أ.فردوس محمد مسلم

الحياة التعليمية في مصر الفاطمية.....(25-38)

أ.د.الشريف يحيى بن حمزة الوزنة السليمانى الحسنى

حياة عبد الله بن طاهر في ظل الخلافة العباسية (182 - 230 هـ / 799 - 844م).....(39-66)

أ.نوف علي ناصر آل بريق

الهجرات العربية وأثرها على التركيبة السكانية في دول البحر الأحمر.....(67-84)

د. حليلة عبدالرحمن بكر صندل

علاقة المسلمين بالحبشة في عصري النبوة والخلافة الراشدة.....(85-124)

د. أفراح علي جبران ناجي السنباني

الاتجاهات السياسية والفكرية في العراق خلال القرن الرابع عشر الهجري.....(125-164)

د.علي بن حسن أحمد بانافع

تاريخ نقل الأسماء العربية إلى الإنجليزية الحروف اللاتينية.....(165-178)

د. محمد المصطفى أبو القاسم

الصلات التاريخية والحضارية بين ساحلي البحر الأحمر.....(179-204)

د.صالح محروس محمد

تجديد وبناء المدن في شمال إفريقيا خلال العصر الأموي (41 - 132 هـ / 661 - 750 م).....(205-228)

أ.أبو بكر علي مصطفى جلال الدين



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

القارئ الكريم:

بعد السلام وكامل التقدير والاحترام يسعدنا أن نضع بين يديك هذا العدد من مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية الذي يأتي في إطار الشراكة العلمية المثمرة والجادة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين (الدنمارك).

القارئ الكريم:

هذا هو العدد التاسع من المجلة بفضل الله وتوفيقه بعد أن نجحت المجلة بواسطة هيئتها العلمية والاستشارية وهيئة تحريرها في إصدار ثمانية أعداد، الأمر الذي يضع الجميع أمام تحدي كبير يتمثل في بذل المزيد من الجهد بغرض التطوير والتحديث والمواكبة لتصبح هذه المجلة في مصاف المجلات العالمية الرائدة بإذن الله تعالى.

القارئ الكريم:

نأمل أن يكون هذا العدد أكثر شمولاً وتنوعاً من حيث المواضيع وطريقة طرحها وتحليلها ومعالجتها. ونسأل الله تعالى أن يجد المهتمين والمختصين والباحثين في هذا العدد ما يفيدهم ويضيف للبحث العلمي. وأخيراً نجدد شكرنا وامتناننا لكل الذين أسهموا في إنجاح هذا العدد من باحثين، ومحكمين ونجدد دعوتنا للجميع بأن أبواب النشر مشرعة في جميع مجالات القلزم العلمية المتخصصة.

أسرة التحرير

التعليم الديني في غرب كردفان - منطقة دارحَمَر (1900 - 1955م)

محاضر - قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة
غرب كردفان

د. فردوس محمد مسلم

مستخلص:

تهدف الدراسة إلى تتبع مراحل تطور التعليم بمنطقة دارحَمَر، وتكمن أهميتها في عدم وجود دراسة شاملة مستقلة لتاريخ التعليم في المنطقة وتعالج مشكلة الندرة في تاريخ المنطقة وتاريخ التعليم بصورة خاصة، وتعتمد الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي للوصول لنتائج علمية، لعل أبرزها - أن الخلوة والمسجد كان لهما إسهام اجتماعي كبير إلى جانب دورهما العلمي، كما لم يقتصر دور المعهد العلمي على مدينة النهود بل رقد مدن السودان بخيرة العلماء، وأن الفقيه (معلم الخلوة - شيخ المسجد) شغل مكانة مرموقة في المجتمع، وتوصي الدراسة بضرورة دراسة دور الخلوة والمسجد في التعليم.

Abstract:

This research aims to track the stages of education development in Dar Hamar, the importance of which lies in the absence of a comprehensive independent study of the history of education in the region, and it addresses the problem of scarcity in the history of the region, and the history of education in particular. The study adopted the discreptive analytical method and historical one. And reached results one of them the mosque and khalua had a great social contribution besides their scientific role. The contribution of the Scientific Institute was not limited to the city of Al-Nuhud, but it also provided the cities of Sudan with the best scholars, and that the jurist (teacher of khalua) occupied a prominent position in society. The study recommends the necessity of conducting a detailed study on the contribution of Alkhalua and the Mosque in education

المقدمة :

بدأ التعليم في السودان في خلاوي (كتاتيب) القرآن ومساجد العلم على يد الفقهاء والمتصوفة الذين كانوا من قادة الرأي وبمجهوداتهم قامت مدن وعمرت بلاد ونشطت حركة التجارة وأسهموا في حل المشاكل وقلّت النعرات القبلية؛ ففي الخلوة يتعلم التلميذ القراءة والكتابة ويحفظ القرآن وبعض مبادئ الدين، ثم ينضم إلى حلقات المساجد التي يمكث فيها التلميذ ما يشاء ويتنقل من شيخ إلى آخر طلباً للمزيد، وظل التعليم الديني المنبعث من المساجد والخلاوي هو أساس المعرفة طول فترة الفونج. وشهدت البلاد التعليم المدني لأول مرة في العهد التركي المصري ولكن التعليم الديني لم يتأثر بذلك حتى قيام الثورة المهدية التي أغلقت مراكز التعليم لينصرف الجميع لجهاد الترك، وفي العهد الثنائي ظهرت المعاهد العلمية التي تعتبر نمطاً تعليمياً أكثر تنظيماً وحدثة من تعليم الخلاوي وحلقات المساجد « والتي كانت تقوم بدور كبير في تعليم علوم القرآن واللغة العربية؛ ومن ثم جاء التعليم الحديث بعد إنشاء المدارس الوسطى (الأميرية) وقد كانت البداية الفعلية للتعليم الحديث. تقع ولاية غرب كردفان في الجزء الجنوبي الغربي لإقليم كردفان في السودان، وذلك بين دائرة عرض 11 20- شمالاً وخط طول 22.32 - 27.30 شرقاً، هذا الامتداد بين دوائر العرض جعل ولاية غرب كردفان تتمتع بإقليمين طبيعيين، الجزء الجنوبي ذو الأمطار الغزيرة والغطاء النباتي والشجري الكثيف والتربة الطينية، والجزء الشمالي ذو الأمطار المتوسطة وتتدرج إلى الخفيفة وتسود التربة الرملية (تربة القوز) في هذا الجانب وتبلغ مساحة الولاية 111373 كم².⁽¹⁾ ومن ثم تقع دار حمر بين خطي عرض 12 و 14 شمالاً، وخطي طول 27 و 30 شرقاً ولا تخرج من هذا النطاق الجغرافي إلا القليل من المناطق الجنوبية الغربية كالمجرور، وتقدر مساحتها بحوالي (44) ألف ميل مربع وهي تعادل نصف مساحة الجزر البريطانية وفق رواية ميال⁽²⁾.

المسجد ودوره في التعليم:

عرف السودان المساجد قبل أن يعرف الخلاوي* وكانت هذه المساجد أماكن للعبادة والوعظ والإرشاد، وقد صارت المساجد أماكن للعلم والتهذيب ونشر الدين وللقاءات المسلمين لمداولة شؤون دينهم ودنياهم في كل أقطار العالم الإسلامي، وفي السودان لم تختلف رسالة المسجد عن ذلك كثيراً فقد كان المسجد مأوى للغرباء ونزلاً للتجار ومكان لحل النزاعات ونسخ المصحف وتلاوة الأوراد والأذكار وفوق ذلك كان مركزاً للتعليم قبل ظهور المدارس ولا تزال بعض المساجد تؤدي هذه الرسالة إلى وقتنا هذا، وقد كانت مفتوحة

للجميع دون قيد لأن كل من يدخلها للصلاة والعبادة كان له أن يجلس لأي حلقة درس مستمعاً ما شاء له أن يجلس⁽³⁾. وقد ظهرت المساجد متأخرة في دارفور مقارنة برصيفاتها من الممالك كمملكة الفونج، ولكن عناية سلاطين دارفور كانت كبيرة بالمساجد، ويقال إنه عندما تولى السلطان سليمان الأول العرش سنة (1445 1476-) لم يكن في جبل مرة مساجد للعبادة، فبنى المساجد وأقام صلاة الجمعة⁽⁴⁾. وكان سلاطين دارفور عند بناء مدينة من المدن يتبعون ذلك بإنشاء مسجد فيها، وقد قام السلطان تيراب (1768-1787م) بإنشاء منزل فاخر ومسجد فخم من الطوب الأحمر عندما نقل كرسي السلطنة من جبل مرة إلى بلدة شوية بالقرب من كباكية. كما بنى السلطان عبدالرحمن الرشيدى (1787-1802م) مسجداً عند بناء الفاشر فحسنه السلاطين، وقد حرص سلاطين دارفور على رعاية المساجد وكانوا يخرجون إليها أيام الجمع في مواكب رسمية، حتى صار في كل بلدة مسجد يعلم فيه القراءة والكتابة⁽⁵⁾. والخلاصة إنه بقيام الممالك الإسلامية في بلاد السودان انتشرت المساجد، وصارت لها موارد للإنفاق ثابتة، وصار لفقهاءها امتيازات مادية ومكانة اجتماعية، وأصبحوا مصدر احترام الملوك والعامّة، وفي رحابها التقى الصوفية والفقهاء، وصارت مراكز إشعاع للتعليم الديني ومنارة تهتدي بها أمة كانت من قبل في حيرة وضلال مع رغبة جادة في التدين والعبادة⁽⁶⁾.

الخلوة وأثرها التعليمي والاجتماعي:

كانت الخلوة في السودان مكاناً لحفظ القرآن، وتعليم مبادئ القراءة والكتابة، وتدريس علوم الدين ومركزاً للعبادة والفتيا، وترجع في إنشائها إلى أواسط القرن الرابع عشر الميلادي عندما قدم غلام الله اليماني إلى دنقلا، وعمّر المساجد وقرأ القرآن، وعلم العلوم مباشرة ولعل الإشارة إلى تعليم القرآن يدل على أنه بادر بتأسيس خلوة لهذا الغرض، ومن المحتمل أنه درس فيها علم الفقه والحديث والتوحيد، ويزيد من قوة هذا الاحتمال أن الروايات تشير إلى أنه علم العلوم مباشرة لأولاده ولأولاد المسلمين، وبعد غلام الله بأكثر من قرن قدم البنداري، واستقر في منطقة الحلفاية بشمال الخرطوم بحري الحالية وبها أسس مكتباً للقرآن وأسس حمد بن زروق - كان معاصراً للبنداري - مكتباً في الصبابي شمال الخرطوم⁽⁷⁾، وهذا ينفي الرأي السائد أن قدوم محمود العركي من الأزهر بعد قيام سلطنة الفونج هو بداية ظهور الخلوة في السودان، استناداً على رواية ود ضيف الله عن عدم وجود مدارس علم ولا قرآن قبله⁽⁸⁾.

أما وظيفة الخلوة فإنها تقوم بإرشاد الناس في أمور الدين والدنيا وتساهم في نشأة المدن وأزدهارها وفي التقريب بين الجماعات المتنافرة، وفي نشر الأمن والاستقرار وقد تركت الخلوة أثراً واضحاً في سلوك الأطفال وفي معتقداتهم، كذلك أسهمت في تطور الحياة الاجتماعية والدينية، وقد كانت تعبيراً عن قيم مجتمع تقليدي وجد في هذه المؤسسة الدينية ما يعبر عنه فتقرب إليها وتعهدوا بالإنفاق وترك أمر تربية الأطفال لمعلمها * الذي كان إلى جانب وظيفته الأساسية مرشداً وطبيباً ومأذوناً وموجهاً.⁽⁹⁾

بالإضافة لذلك كانت الخلوة ملاذاً للفارين من سطوة السلاطين ومن عقوبات القتل، وهؤلاء كانوا يحتمون بها لاعتقادهم أنهم بدخولهم لها سيكونون بمأمن من القصاص، وأسهمت الخلوة بنصيب كبير في تقديم العون لكل من يحل بها وخاصة خلال المجاعات التي كانت تتعرض لها البلاد، كما تفد إليها الجماعات والأفراد في الحالات العادية وكان الفقيه يقدم لهم ما يجود به الأهالي من غسل وقماش وهدايا ونذور⁽¹⁰⁾

المعلم (الفقيه - الشيخ):

بدأت الخلوة أول عهدا بمعلم واحد، ويبدو أن القرى التي نشأت فيها الخلاوي كانت صغيرة، ولكن وعلى الرغم من قيام المدن واتساع الخلاوي ظل المعلم واحداً ولكن هناك من يساعده في إدارة الخلوة ويدعى بالنقيب وآخر يعرف بالمقدم. كان المجتمع يثق في المعلم ثقة كبيرة فهو المعلم والمستشار في كل أمر ديني أو دنيوي، وبتداول العهود صار شيخ الخلوة الرجل الأول في القرية لما يؤديه من واجبات شتى وأعمال نافعة وفيما يلي بعض المهام التي يقوم بأدائها شيخ الخلوة:

1. معلم
2. إمام جمعة وجماعة
3. صلاة العيدين
4. صلاة القيام والتهجد
5. صلاة الجنازة
6. صلاة الخسوف والكسوف
7. صلاة الاستسقاء
8. عقد النكاح
9. تسمية المواليد (اختيار الاسم)
10. علاج المرضى

ويقوم بدور المصلح الاجتماعي « وسيط لما يقع بين المرء وزوجه وبين الناس جميعاً »

11. يتخذونه مستشاراً في المسائل الزراعية والرعية، وينبغي للشيخ أن يكون ملماً بمعرفة المواسم الزراعية دخولها وخروجها، كما يعرف «الانواء» وتقلباتها أما المسائل التي لا يعرفها يوجهها لمن هو أدري منه بها.⁽¹¹⁾

إذاً ما هي مراحل التعليم في الخلوة؟ وهل هناك مناهج للدراسة؟

سن القبول:

لم تكن سن معينة يبدأ عندها قبول الأطفال وإنما كانوا يرسلون فيما بين الخامسة والثامنة أو العاشرة، ويرجع ذلك لعدم وجود نظام تسجيل المواليد في السودان إلا مؤخراً، ولعل هذا يفسر ما كان متبعاً في بعض الخلوي * فقد كان يؤمر الطفل عند القبول برفع يده اليمنى فوق رأسه، ثم يمسك بها أذنه اليسرى ماداً أصابعه فإن لمست أطرافها شحمة أذنه قيل إنه استحق أن يقبل في الخلوة⁽¹²⁾. وكيفما كان الأمر فقد كان بعض الأطفال يرسلون في سن مبكرة، وقد ذكر الفقيه عبد الرحمن الأرباب أنه كان قد تجاوز نصف القرآن دراسة وحفظاً في السادسة من عمره⁽¹³⁾. ويوم الأربعاء يوم القبول في خلوي السودان، وربما يعود ذلك لتفاؤل الناس بهذا اليوم، ويعطى للطلاب الخميس والجمعة إجازة من كل أسبوع، ويبدو أن السودان ورث عادة التشائم والتفاؤل بالأيام من الفراعنة أو العرب الذين كانوا يعدون الشهر بالأصابع، ويرون أن الأيام التي ينتهي عندها بالأصبع الوسطي نحسه والباقية سعيدة⁽¹⁴⁾. وكان الأطفال في السودان يقدمون لمشايخهم شيئاً من المال أو الذرة في يوم الأربعاء من كل أسبوع اعترافاً بفضلهم، ويذكر نعوم شقير مبنياً هذه العادة: (وفي ذلك اليوم «الأربعاء» يأتي كل تلميذ بالذرة * فيسلقونها بالماء ويأكلونها مع الفقيه ويأخذون شيئاً إلى بيوتهم تبركاً)⁽¹⁵⁾.

أما المدة التي يمكثها التلميذ فلم تكن محددة، إذ تعتمد على قدرة الطفل في الاستيعاب وميوله، ولعل هذا يفسر اختلاف المدد بين خلوة وأخرى، بل حتى في الخلوة الواحدة، فبعض التلاميذ كانوا يحفظون القرآن كله وهؤلاء كانوا يستمرون إلى سن العاشرة والثانية عشر، وبعدها ينصرفون إلى العمل في التجارة أو مساعدة أهل في الزراعة والرعي، أما أوقات الدراسة كانت تبدأ عقب الصلاة أو بعدها فالتوقيت كان يعتمد على الظواهر الطبيعية فالعصر مثلاً يحل عندما يصير كل شيء مثله بعد الزوال، وكذلك كان أهل القرى يعتمدون عليها في إدارة السواقي وفي إعداد الطعام⁽¹⁶⁾. ويصف نعوم شقير يوماً دراسياً في خلوة سودانية، كانت الدراسة فيها تستغرق اليوم كله، إذ كانت تبدأ في الثلث الأخير من الليل إلى ما بعد الضحى، ثم ينصرف الأطفال إلى بيوتهم للغذاء، ويرجعون عند الظهر فيدرسون إلى العشاء ثم ينامون إلى الثلث الأخير من الليل فيعودون إلى الدرس.⁽¹⁷⁾

لم تعرف الخلوي نظام العطلات (المسامحات الصيفية) وإنما كانت

للحيران في كل عيد أو موسم مسامحة يدعوهم العريف * ويطلب حق المسامحة للفقية (الفكي) فيأتي كل منهم بشيء من النقود كل على قدر طاقته ودرجته في حفظ القرآن، وقد كانت الدراسة تتوقف في المناسبات الآتية:

1. الاحتفال بالعيدين.
2. الاحتفال بمولد النبي عليه الصلاة والسلام.
3. عندما يشرف تلميذ أو يتخرج *.
4. عند الاحتفال بأربعاء فرعون وهي آخر أربعاء من شهر صفر.

كان الأطفال يبدأون يومهم الدراسي بتعلم القرآن علي يد الفقيه الذي كان يملئهم فيكتبون على ألواح خشبية بأقلام من البوص ومعهم محابرههم، وكان تحفيظ القرآن يتم بإن يقرأ الفقيه آية من القرآن فيرددتها التلاميذ حتى الحفظ ثم ينتقل إلى آية أخرى أو يملي الآية من الذاكرة فيكتبها التلاميذ علي ألواح ثم يعرضونها للتصحيح.⁽¹⁸⁾

أدوات الكتابة:

أدوات الكتابة كانت القلم البوص والحبر واللوح:

القلم :

القلم البوص كان معروفاً في الإغريقية واللاتينية باسم (Catomon)⁽¹⁹⁾. وكانوا يبرونه ويدبونه، وعرفه المسلمون في عواصمهم المختلفة. وكان القلم يصنع من الغاب أو القصب المثقب فيقطع ويقلم ويبرى، ثم يغمس في المداد ويكتب به، وحجمه يتراوح ما بين 20 إلى 30 سم وكذلك كان مستقيماً وياساً، ويقول بابكر بدري وهو مربٍ فاضل وصاحب أول مدرسة للبنات في فترة الحكم الثنائي أن الصغار في خلوة الفقيه الكراسي كان «يكتب لهم ألواحهم بنواة التمر ليكتبوا عليها كما كتبوا الحروف الهجائية على الرمل بأصابعهم»⁽²⁰⁾، ويذكر الدكتور عبد الله الطيب أن تلميذ القرآن كان يلحن الحروف أولاً ثم حركاتها الطويلة والقصيرة، ثم يكتب هذا على الرمل مع التلقين، وعلي اللوح مع التلقين⁽²¹⁾. ونجد في ترجمة الشيخ محمد العلمي أنه بدأ تعليم الحروف بالكتابة على اللوح⁽²²⁾ ويصنع القلم من مواد محلية متوفرة في كل منطقة وأشهرها:

1. سيقان قصب الذرة.
2. البوص - أشجار رقيقة محوفة.
3. التمام « الثمام » وهو صلب المكسر وينبت في أكثر أنحاء السودان لاسيما في حزام السافانا والمناطق شبه الصحراوية.⁽²³⁾

اللوحي:

تصنع اللواح من أشجار تمتاز باللدانة والقوة إذ تكون لدنة في حالة جفافها وخضرتها، وتكون قوية المكسر في حالة جفافها⁽²⁴⁾، وأفضل لصنع الألواح شجر الحراز أو السنط أو العشر أو الهجليج وشجر الاندراب، وهو مستطيل الشكل له أحجام مختلفة وله مقبض من أعلى ليسهل حمله، وكان يوزع على التلاميذ ساعة كتابة صفحات من القرآن⁽²⁵⁾.

المحاية :

اسم للمكان الذي تمحى فيه الكتابة على الألواح بعد حفظها وتسميها قد تكون صخرة صغيرة منحوتة يصب فيها الماء ثم يمسح التلاميذ ألواحهم.

المداد (الدواة):

استعملت الخلاوي الحبر المعروف بالعمار، ويتكون من مسحوق الصمغ المخلوط بالهباب* (الصناج) المتروك تحت الصاج الذي يصنع عليه الخبز، ثم يخلط بالماء ويعجن إلى أن يصير في شكل كرات أو كتل صغيرة وعند الاستخدام يوضع السبب* في قعر الدواة، ثم قطعة من العمار حتى يتحلل، ويصير صالحاً للكتابة⁽²⁶⁾.

أما الدواة فهي ثلاثة أنواع:

الأول: تصنع من الطين أو الفخار يصنعونها بأيديهم ثم يحرقونها فتصبح حمراء.

الثاني: دواة القرع وهو ما يعرف في السودان بالقرع المر، وهو أصلح أنواع القرع للدواة.

الثالث: دواة الزجاج بكل أشكاله، كزجاج الأورنيش وهو مربع الحجم صغير، عليه غطاء جميل من الفلين.⁽²⁷⁾

العقوبة:

أخذت الخلوة السودانية الشدة كوسيلة للتقويم والتهديب والتعليم، وليس من شك أن العقوبة كان يقصد بها التقويم وليس الانتقام، فقد غرست روح الطاعة والنظام وتقدير الكبار، ويقع تحت العقوبة من يقصر في الحفظ وغير المواظب على الحضور يحفظ ويتعلم؛ أما معلم الخلوة أو فقيها فله إسهام كبير في تربية الأطفال وتعليمهم، فهو يعلمهم القرآن الكريم والقراءة والكتابة، ويعلمهم السلوك القويم واحترام الكبار والتعاون، وغيرها من الصفات أما مباشرة بأسلوب القدوة الحسنة أو ما يلقيه أيهم، ولم يكن يشترط في من يتولى التدريس في الخلاوي الحصول على مؤهل معين غير معرفته القراءة والكتابة وحفظه للقرآن كله أو بعضه، ذلك أن الخلوة كان يقوم بتأسيسها إما رجل من أهل البر فيؤجر لها فقيهاً وينفق عليه، وإما أن يؤسسها رجل من

حفظة القرآن في بيته، ويدرس فيها بنفسه، وأما أن يشترك في ذلك أهل البلدة جميعاً⁽²⁸⁾. وبالجمله فإن فئة المعلمين عموماً تركت أثراً واضحاً في تعليم الأطفال، وإعدادهم لمرحلة التعليم في المساجد، كما تركت أثراً في حياة الناس، وكان لانشغالهم بالتدريس دون سواه أثراً في إذكاء نار القرآن.

ويلاحظ ندرة مراكز العلم وعدم شهرتها كانت دافعاً لشد الرحال إلى أخرى أكثر منها شهرة فقد كان معهد كترانج يضم طلاباً من الأبيض وكردفان والقضارف وأبو حراز، وذكر فقيه في مسجد أم ضواً بأن أن الناس لما سمعوا به (المسجد) جاءوا إليه من كافة جهات السودان، أو خارجياً للتعليم مباشرة من الشيوخ الكبار في الأزهر* والحجاز.⁽²⁹⁾

هناك عدد من الخلوي لتحفيظ القرآن بالنهود منها خلوة الفكي حسن ود الضكير التي كانت قائمة في المهديّة وهو من قبيلة الجوامعة، وخلوة الفكي الطاهر محمد وهو ضير من دارفور وخلوة الشيخ حمد النيل وكان يدرس بها الشيخ محمد أبارو وقد بدأت في عام 1915م، كما توجد خلوة المسجد العتيق وأسسها سليمان محمود من الجعليين في عام 1930م كما توجد خلوة فلاتة بحي الوحدة تأسست عام 1935م وبعد ذلك بفترة طويلة خلوة مسجد الأنصار أسسها الشيخ عجبنا.⁽³⁰⁾

هناك خلوة المسجد للشيخ كرسي والشيخ جديد وهم من مؤسسي القرآن إلا أن نشاطها قل بسبب المدارس. بالإضافة لخلوة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي⁽³¹⁾.

هناك خلوي الشيخ المصري بمنطقة ود شيعفون غرب النهود، وخلوي الشيخ عبد الباقي محمد زيادة بابوراي وهو تلميذ الشيخ المكاشفي، وافتتح مسيداً الآن بمنطقة السنوط.

ألغى المهدي المدارس العامة التي كانت قائمة في البلاد باعتبارها أثراً من آثار الحكم التركي، كذلك ألغى المدارس التبشيرية التي كانت تديرها الإرساليات وبذلك تركّز النشاط التعليمي في الخلوي التي كانت تقوم بتحفيظ القرآن وتعليم مبادئ القراءة والكتابة، فقد تعطل النشاط التعليمي الذي فرضته ظروف الجهاد، ويمكن القول أن راتب المهدي الذي كان يدرس في بعض المساجد إلى جانب القرآن⁽³²⁾ ولم يكن الراتب مجرد كتيب صغير للصلوات والدعوات بل كانت تلاوته تبث الحماسة وروح الجهاد في نفوس الأتباع ولأهميته فقد عرف طريقه إلى المطبعة في سنة 1884م ومنه ظهرت نسخ عديدة بخطوط كتاب الديوان، كما سمح للمرأة أن تشارك كعامة ومتعلمة*، واستمرت الحماسة لتعليم القرآن في فترة الخليفة التعايشي فقد شهد عهده ازدهاراً وتعميماً في تدريس القرآن فيما يؤثر عنه إلزامه الناس لارتياح المساجد للصلاة وتعلم القرآن.⁽³³⁾ ويمكن تبين ما قام به الخليفة من خدمة للتعليم من مقارنة عقدها الأستاذ حسن نجيلة في (ذكريات البادية) بين التعليم في عهدي المهدي والحكم الثنائي يقول « أذهلني أن أعرف أن عدداً كبيراً من الشيوخ وأولهم الشيخ التوم *

نفسه ممن عاشوا فترة المهديّة في أم درمان تحت رقابة الخليفة عبد الله، قد تعلموا القراءة والكتابة وحفظوا قدرًا من القرآن ويحسنون معرفة الصلاة ويؤديها أكثرهم في حينها ... وما كاد الحكم الثنائي يوطد أركانه ويعود الكبابيش إلى مناهلهم ومراعيهم وتكاثروا مالا ورجالا حتى نشأ أطفالهم في أمية مطبقة .. وكان شيئاً فريداً أن ترى الآباء يقرأون بعض سور القرآن وبعضهم يحسن تهجي الكلمات بينما تجد أبناءهم لا يعرفون حرفاً من حروف الهجاء». (34)

في فترة الحكم الثنائي اتجهت الحكومة إلى تحويل بعض الخلاوي إلى كتاتيب نظامية يتلقى تلاميذها بعض الدروس في الإملاء ومبادئ الحساب، وتحسين الخط والتمرين على النظام والنظافة، فقد بدأت الكتاتيب تمتد المدارس الأولية ببعض الطلاب كما تلقى مدرسوها تدريباً بإشراف المفتش المحلي فكانت فترة الحكم الثنائي 1899-1955م هي البداية الفعلية للتعليم الحديث. (35)

أما الجامع الكبير بالنهود فقد نشأ في العام 1915م بمقر نادي السلام الحالي ثم انتقل بعدها إلى مقره الحالي محاذياً طرق السوق الكبير والسوق الشعبي وقد بدأت عملية التشييد في العام 1915حتى 1917م علي يد أحد المهاجرين البنائين (وهو إغريقي يوناني اسمه كبدينو، سكن بحي حمد النيل العريق ولا تزال أسرته موجودة بالحي) (36)، وقد شيد المسجد بالحجر الجيري، بُني الجامع على هيئة مسجد أرباب العقائد بالخرطوم (مسجد الفاروق الآن) بلغت مساحته 400 متر مربع، وبعد العام 1917م قام أبناء المنطقة ببناء رواكيب حول المبنى الرئيس للمصلين*، يعد الجامع أبرز معالم مدينة النهود إذ كان يحتضن المعهد العلمي في العام 1940م (ثاني معهد علمي بالسودان بعد معهد أم درمان) الذي خرجت منه المدرسة الوسطى. (37)

عُرف الجامع الكبير بتميز علمائه الذين كرسوا أغلب ساعات عمرهم لتدريس علوم الدين في شكل دروس انتظمت منذ النشأة وحتى الآن، ومنهم علي سبيل المثال الشيخ أحمد بخاري، والشيخ عبد الباري والشيخ شكري، ومولانا عباس الفكي علي، ومولانا أحمد الحبو، والشيخ آدم سليمان، والشيخ عبد الحق أحمد الأزهرى، والشيخ محمد أحمد حمد النيل جد الشيخ محمد البدوي، والشيخ محمد جديد، ولا يزال الجامع الكبير يؤدي دوره في نشر العلم والمعرفة (38). وقد أنشئ المعهد العلمي بمدينة النهود في عهد القاضي الشرعي أحمد أبو القاسم هاشم في عام 1941م وقام على غرار معهد أم درمان العلمي (في الصيف كانت الدراسة تتم داخل سور المسجد وخارج ... وفي الشتاء تتم داخل المسجد) وقد عمل بالمعهد جهابذة العلماء والفقهاء منهم الشيخ أحمد محمد يعقوب الملقب بالأزهرى وهو من قبيلة الترجم، والشيخ جديد والشيخ عبد الحق، والشيخ محمد علي كرسي المعروف بـ(فكي كرسي) وهو من قبيلة

البرقو، وأحمد عبد الجبار، والشيخ محمد عبد الجبار، الشيخ عباس الفكي علي، والشيخ يوسف أبو الذي تلقى تعليمه بالمدينة المنورة وعاد منها في العام 1926م، وجاء إلى النهود من أم درمان في العام 1931م واستقر بها وتم تعيينه أستاذاً بمعهد النهود العلمي بتوصية من قاضي قضاة السودان بعد زيارته للمعهد في العام 1945م، واستلم خطاب تعيينه من السيد يوسف إبراهيم النور قاضي محكمة النهود الشرعية (دّرس الشيخ مواد الصرف والبلاغة والفقه خلال الفترة من 1945-1947م) ⁽³⁹⁾ هؤلاء هم أوائل العلماء والفقهاء الذين عملوا بالتدريس قبل المعهد العلمي وهم من مؤسسي المعهد العلمي وأتى بعدهم علماء آخرون، وعهدت مشيخة المعهد بعد أعوام من قيامه لمولانا الشيخ عباس الفكي علي وهو من الذين درسوا بذات المعهد، وكان التعيين في المعهد يتم بواسطة المصلحة القضائية، والراتب الشهري للمعلم عند مدخل الخدمة أثنى جنيهان، أما أهم العلوم التي قاموا بتدريسها بالمعهد العلمي، علوم القرآن الكريم من تفسير وتجويد وقرآيات، اللغة العربية وعلومها كالنحو والبلاغة، علوم الفقه وعلم التوحيد والسيرة النبوية، أما أشهر الطلاب الذين تلقوا العلم باكراً بمعهد النهود العلمي هم كثر سنورد بعضاً منهم ⁽⁴⁰⁾:

- الشيخ عبد الحق أحمد يعقوب الأزهري
- الشيخ أحمد الحبو مولود
- الأستاذ آدم سليمان عجب
- مولانا إسماعيل جايد عبد السيد
- الأستاذ مستمهل ماكن مفرح
- الدكتور التجاني عمر عوض
- المرحوم الأستاذ صالح شنكل
- البروف صالح آدم بيلو
- المرحوم الأستاذ أحمد إدريس .
- المرحوم الأستاذ أحمد جريقندي نعيم.
- المرحوم الأستاذ محمد الأمين عجبان
- المرحوم الأستاذ ياسين الأمين عجبان
- المرحوم الأستاذ محمد آدم شني
- المرحوم الأستاذ عوض جديد
- الاستاذ حسن عبد البصير.
- مولانا الشيخ محمد بيلو.
- المرحوم مولانا القاضي علي عبدالرحمن الضير، والذي أصبح وزيراً للمعارف ثم وزير داخلية في العهد الوطني.
- مولانا يوسف إبراهيم النور الجريفاي والذي أصبح أستاذاً في الجامعة الإسلامية ورئيساً للجنة الإفتاء بالسودان.

- المرحوم مولانا عبد الرحمن عبد الرحيم أحد أبرز القضاة الشرعيين.
- المرحوم مولانا عبدالله الترابي أحد القضاة الشرعيين الكبار، وقد جلس كل هؤلاء القضاة الكبار لتلقي تلك العلوم النادرة والتي لم تتوفر في ذلك الوقت حتى لعلماء أم درمان مما يدل على علو كعبهم، وهناك عدد من أبناء دار حمر الذين تلقوا التعليم في الأزهر والزيتونة والمدينة المنورة وكان لهم إسهام كبير في نشر العلم والمعرفة في المنطقة والسودان أجمع منهم على سبيل المثال:
- المرحوم العالم الشيخ / أحمد يعقوب الأزهرى (تلقى تعليمه بجامعة الزيتونة بتونس، ثم هاجر إلى مصر لتلقي العلم في الأزهر الشريف، ثم أصبح مدرساً بالأزهر الشريف، وعاد إلى النهود ليدرس بمعهد النهود العلمي).
- المرحوم العالم الشيخ / محمد جديد.
- المرحوم العالم الشيخ / يوسف أبوه (درس علم الحديث والتوحيد بالمدينة المنورة ثم عاد إلى النهود ليدرس بها ومنها انتقل إلى أم درمان بمحطة مكى ود عروسة مؤسساً داراً لأنصار السنة المحمدية)
- المرحوم الشيخ العالم / محمد عبد الجبار أبو المعالي (فقد درس على يد والده الشيخ أبو المعالي الذي كان عالماً جليلاً، وقد كان الشيخ محمد عبد الجبار مرجعاً في علوم القرآن من تفسير وتجويد وقراءات، وقد قام بتعليم أخيه أحمد عبد الجبار العلوم الشرعية والذي قام بدوره بتدريسها بزاويته بحي الأزهر بالنهود)* هؤلاء العلماء وغيرهم نشروا العلم والمعرفة في المنطقة وكان لهم الفضل في توسع التعليم لاحقاً .
- المرحوم العالم الشيخ / محمد يعقوب إدريس شقيق العالم / أحمد يعقوب الملقب بـ(ابيرص). (41) وقد بدأ المعهد بالدراسة لثماني سنوات وبعدها يُرسل الطلاب من معهد النهود العلمي للأزهر مباشرة، لكن قلصت الفترة من ثماني إلى ست سنوات علي أن يقضي الطالب سنتين في معهد أم درمان العلمي ثم إلى الأزهر الشريف، وقد ذكر الشيخ علي عبد الرحمن الأمين الضريير وهو أول رجل دين ينخرط في السياسة إذ أصبح وزيراً للمعارف في أول حكومة وطنية 1954م ووزيراً للخارجية 1968م، ونائباً لرئيس وزراء السودان حيث قال : « عندما كنت وزيراً للخارجية مرت علي معظم الدول الإسلامية، موريتانيا، تشاد، نيجيريا، السنغال، الجزائر، المغرب، تونس، الأردن، السعودية، ومصر، وكنت أوظف نصف الزمن لعمل وزارة الخارجية، والنصف الآخر لمناظرة العلماء فقال: ذهبتُ إلى قلب الأزهر وناظرت العلماء وناقشتهم، أناقشهم في الفقه وعندما انتقل إلى اللغة يحيلني إلى آخر وعندما أناقشه في الحديث يحيلني إلى آخر متخصص في الحديث أما علماء النهود فهم جامعات متحركة هذا ما أشهد عليه، والخلاصة مرت عليهم جميعاً (يقصد علماء الدول الإسلامية) والله لم أجد علماء يماثلون علماء النهود إلا في مدينة قم* في إيران» (42)

أما عن تسمية النهود بمدينة العلم والعلماء، فقد ذكر مولانا الحافظ: أن الشيخ يوسف إبراهيم النور الجريفاي وهو مفتي الديار السودانية حينها (وكنيت أدرس لديه) سألني من الذي سمى النهود مدينة العلم والعلماء؟ فأجبت لا أعلم، قال لي: دعا الشيخ علي عبد الرحمن الأمين الضيرير في منزله بأم درمان مجموعة من القضاة الذين درسوا في النهود وعملوا بها في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي منهم الشيخ السراج والشيخ يوسف إبراهيم النور الجريفاي والشيخ عبد الله الترابي، والشيخ عبد الرحمن عبد الرحيم حامد، وعدد من القضاة وفي أثناء حديثهم عن النهود وذكرياتها، بادر الشيخ علي عبد الرحمن مستفسراً يا إخوانا مدينة النهود أكرمتنا وعلمتنا وأحسنتم وفادتنا فكيف نكافئ وقد بادرت بهذا السؤال ولا بد أن نسمع رأيك أولاً ثم ندلي هذه المدينة؟ فأجابه الشيخ يوسف النور يأخي لا بد أن يكون لك تصور برأينا فأجابه الشيخ علي أني رأيت أن اسميها (مدينة العلم) وعلى الفور رد عليه الشيخ يوسف بكلمة و(العلماء) فأصبحت بذلك (مدينة العلم والعلماء)، ونحن علماء أم درمان كتبنا للأزهر الشريف بذلك فجاءت الموافقة مكتوبة ومختومة من الأزهر ومنذ ذلك الحين أطلق على النهود مدينة العلم والعلماء.⁽⁴³⁾

مدرسة النهود بنات:

ذكر السير روبرتسون Sir James Robertson (بعد عودتي إلى النهود من إحدى جولاتي في المنطقة الجنوبية من المركز « يقصد أبيي والمجلد » دعوت العمدة أبو رنات وبعض أعيان ومشايخ المدينة، واقتُرحت عليهم النظر في أمر تأسيس مدرسة للبنات وذكرت لهم أن هناك مدرسة للبنات في الأبيض وأخرى في بارا ولا ينبغي أن تتخلف النهود عن الركب، وطلب العمدة والأعيان مهلة لبضعة أيام للتفكير في الموضوع، وبعد عشرة أيام حضر العمدة وجماعته وقالوا إنهم شاوروا « كبارهم » ووافقوا على مضض علي قيام المدرسة تحت الشروط التالية:

أولاً: لا يسمح لأي بنت بلغت سبع سنوات بالذهاب إلى المدرسة.

ثانياً: لا يسمح تحت أي ظرف من الظروف دخول الرجال تحت سن السبعين إلى حرم المدرسة أو التجول بقربها. وافق روبرتسون على هذه الشروط وافتتحت المدرسة في 1934م، وذكر روبرتسون أنه نقل من النهود عام 1936م وعندما عاد لزيارة النهود عام 1943م وجد أن تعليم البنات قد تطور وبلغ عدد التلميذات 200 تلميذة وطلب الأهالي منه استخدام نفوذه والتوسط لهم لدى المسؤولين للموافقة على فتح مدرسة وسطى في النهود، ولسوء الحظ لم يذكر السير روبرتسون أين أنشئت المدرسة ومن هم أوائل المدرسين والمدرسات فيها.⁽⁴⁴⁾ ومن ثم مدرسة النهود الأهلية الوسطى

(الأميرية لاحقاً) فقد ذكر الأستاذ رضوان أن المتبرعة لبناء المدرسة الأهلية الوسطي هي ابنة المناضل الحاج راشد وقد كان شديد العداء للإنجليز وهو والد عصمت راشد وكيشو راشد القطب الهلالي الشهير (صاحب فندق الامباسدور في شارع الحرية بالخرطوم، وهو لم ينس النهود في حياته وحتى بعد مماته أوصى بنصيب من ثروته لأندية الموردة والسلام والوطن بالنهود)، فقد تبرعت الأنسة بنت الحاج راشد ليتقدم أيضاً متبرع آخر ويدعي عبد الله زقم (صاحب محل تأجير عجلات) وقد تبرع بدراجة جديدة وتبرع غيره الكثير.. فقد تراوحت التبرعات بين -15 و 55 كأعلى تبرع، كما شارك وفد من الأبيض (ضم الوفد تجار وأعيان ومثقفين وخريجين وسياسيين) * الاحتفال بقيام المدرسة، كما كانت قيادات حمر حضوراً وجهداً جباراً كي ترى المدرسة النور منهم علي سبيل المثال لا الحصر: الناظر منعم منصور ناظر عموم حمر، العمدة / أحمد المصطفى أبورنات / عمدة المدينة، محمد حسن الخليفة / تاجر وأمين مال لجنة المدرسة، المرحوم محمد عبد الله حمزه قريود/ تاجر، كما حضر عدد مقدر من الأقباط والشوام والأغاريق مشاركين ومتبرعين، نذكر منهم:

- الخواجة أيوب أبادير / وابنه ثروت
- الخواجة/إلياس جورج دولتي/ وابنه عزت
- الخواجة/نجيب صائغ/ وابنه فريد وإخوانه
- الخواجة/يوليو ميخالديس / إغريقي

وغيرهم، وقد تم تكوين لجنة للإشراف علي تشييد المدرسة من مهامها: إيجار مقر لإفتتاح المدرسة الوليدة، وتأثيث فصولها ومكاتبها، واختيار المعلمين الأكفاء للعمل بالمدرسة وتسهيل أمر إعاشتهم وسكنهم بالإضافة لإيجاد مصادر ثابتة للصرف علي المرتبات والإيجار والصرف اليومي، وأيضاً توفير الكتب الدراسية والمقررات والأدوات.⁽⁴⁵⁾ وقد تم افتتاح المدرسة مؤقتاً بمنزل المرحوم / الصادق الشيخ، وتقع في دائرة السوق من الناحية الشرقية غرب مسجد أنصار السنة المحمدية الحالي، وكانت رسوم الانتساب الدراسية تتراوح ما بين 3 إلى 18 جنيهاً (حسب القدرة المالية للأسرة) وقبلت أول دفعة 1948م واكتملت مباني المدرسة بموقعها الحالي في العام 1950م وحظيت المدرسة بخيرة المعلمين نذكر منهم الأستاذ قاسم شيخ محمد ناظر المدرسة ويعتبر من أميز الإداريين، عمل بالمدرسة لمدة سنتين ثم غادرها، والأستاذ إبراهيم حاج محمد فرح من أبناء شندي عمل لمدة ثلاث سنوات بالمدرسة، الأستاذ هارون عبد الحليم من كوستي والأستاذ محمد عوض الكريم الطاهر، ولم يقتصر إسهام المدرسة على الجانب الأكاديمي بل شارك الطلاب في الجمعيات الأدبية والجرائد الحائطية، وكانت توجد ثلاثة فرق كرة قدم بالمدرسة بالإضافة للجمباز وألعاب القوى، وكان ناظر المدرسة يشرف على رياضة الجري لكل

الطلاب عند السادسة والنصف صباحاً كل يوم أربعاء من أمام المدرسة وحتى جبل حيدوب⁽⁴⁶⁾.

نادي السلام:

يعتبر نادي الاسلام النادي الأقدم في السودان وهو بحق شيخ الأندية السودانية فقد أنشئ عقب الحرب العالمية الأولى مباشرة عام 1917م أي قبل نادي الخريجين بأمر درمان (1918م) ويعد أندرو ويو السياسي والإداري والبرلماني الشهير أبرز رئيس منتخب للنادي، ولعل فوز السيد أندرو برئاسة النادي يُؤكد بما لا يدع مجالاً للشك روح التسامح والتعايش وقبول الغير⁽⁴⁷⁾.

الجدير بالذكر أن النادي لا يزال أبرز معالم مدينة النهود إذ يطل علي السوق الكبير من الناحية الشمالية.

الخاتمة :

بدأ التعليم في السودان من الخلوة والمسجد، وكان لحلقات التعليم في المساجد دورها في نشر العلم في المجتمع، أما الخلوي فلم تكن مجرد مكان للعلم بل كانت ملجأً وسكناً للمحتاجين وملأناً للفارين من الثأر والانتقام وبطش الحكام، فكانت ولا زالت تؤدي رسالتها الدينية والاجتماعية، وقد كان لمعلمي الخلوي (الفقهاء - الشيوخ) إسهاماً كبيراً في المجتمع وكانت لهم مكانة مرموقة فهم إلى جانب إسهامهم كمعلمين يقومون بدور المأذون والطبيب (المعالج) والتوسط لفض النزاعات والتوسط للناس لدى الحكام لمكانتهم والقبول الذي يجدره من السلاطين. وشكلت المعاهد العلمية إضافة كبيرة للتعليم، فقد تمكنت من الإسهام في تخريج المعلمين والقضاء وغيرهم وظلت تقوم بدورها العلمي والاجتماعي إلى قيام المدارس الوسطى، وقد وجد معهد النهود العلمي إشادة خاصة من الأزهر الشريف لما ظل يقدمه من خدمات تعليمية متميزة وجودة التعليم فيه.

نتائج الدراسة:

1. إن الخلوة والمسجد كان لهما إسهام اجتماعي كبير إلى جانب دورهما العلمي.
2. لم يقتصر إسهام المعهد العلمي علي مدينة النهود بل رقد مدن السودان بخيرة العلماء.
3. من المناهج التي كانت تدرس في المعهد العلمي بالنهود كتاب جامع الجوامع في الأصول وهو من العلوم المتقدمة جداً، فمعظم القضاة الذين وفدوا للنهود درسوا هذا الكتاب على يد العلماء.

التوصيات:

- توصي الدراسة بضرورة دراسة شاملة عن دور الخلوة والمسجد في التعليم.
- وتبسيط الضوء علي إسهامات المعاهد العلمية في التعليم في السودان.

المصادر والمراجع:

- (1) جامعة غرب كردفان، معلومات عن الولاية « نسخة محفوظة بتاريخ 2/يناير 2018 م .
- (2) Mayall ,R.C.memoir(unpublished) Sudan Archivies Durahm 851/7/29-56-1923-1931
- (3) يحيى محمد إبراهيم، تاريخ التعليم الديني في السودان، دار الجيل بيروت - لبنان، ط1 1987م، ص66-65.
- * ظهور المساجد في السودان قبل ظهور الخلاوي، أول ذكر للمسجد في السودان هو ما ورد في معاهدة الغرب والنوبة (البقط) 651م وفيها تعهد النوبيون بحفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون وكنسه وتسرجته.
- (4) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، بيروت 1967م، ص 74
- (5) نعوم شقير، مرجع سابق، ص482.
- (6) يحيى محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص 74
- (7) -المرجع نفسه، ص79.
- (8) محمد النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق يوسف فضل حسن، الخرطوم 1971م، ص40.
- * الخلوة: (تقابل مكتب - كُتَّاب في أكثر البلدان العربية والإسلامية) المكان الذي يختلي فيه الرجل بنفسه. وعند الصوفية: المكان الذي يختلي فيه المرید بنفسه متعبداً ربه، مبتعداً عن الخلق حتى يحصل له كمال الصفاء، وفي السودان كانت ولا تزال تطلق على مكان تعليم القرآن وبعض مبادئ القراءة والكتابة وتطلق أيضاً على أماكن العبادة
- (9) يحيى محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص81.
- * يعرف معلم الخلوة في السودان بالفكي (الفقيه) .
- (10) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سابق، ص58.
- (11) الطيب محمد الطيب، السيد، دار عزة للنشر، الخرطوم - السودان، 2005م، ص 119 .
- (12) انظر الطيب محمد الطيب، مقال عن الخلوة، مجلة الحياة عدد24، أكتوبر 1974م . و أحمد البيلي، التعليم في الخلوة في السودان، ص2.
- * هذه الطريقة لم تكن تنبئ عن السن الحقيقية، فنمو الأطفال يتأثر بالظروف الاقتصادية والصحية والوراثية ، مما يصعب معها اتخاذها مقياساً لتحديد سن الأطفال، هي لم تكن قاعدة ثابتة إذ إن بعض الخلاوي لم يتقيد بها .
- (13) محمود القباني، مقال في جريدة حضارة السودان ، يناير 1935م.
- (14) نعوم شقير، مرجع سابق، ص289.
- (15) نعوم شقير، مرجع سابق، ص167.
- * يستخدم الدخن في مناطق حمر وتسمى (الكرامة) ويعتقد أهالي دار حمر بأنها ترفع البلاء، تعمل لطلب الغيث (المطر) وللنديها عندما يزور أحدهم في ضريح الأولياء يُكرّم ببلح أو بليلة دخن وهناك من يصنعها كل يوم جمعة ويدعو لها الأطفال - ويرددون كرامه سلامه بليلة دافيه الله يقبل العافية - ومازالت منتشرة في دار حمر إلى يومنا هذا.

- (16) يحيى محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص 87.
- (17) نعوم شقير، مرجع سابق، ص 167.
- (18) عبد العزيز أمين عبد المجيد، التربية في السودان، القاهرة 1949م، ج 3 ص 171.
- * يشرّف التلميذ : يزوّق اللوح بألوان ونقوش عندما يصل التلميذ إلى سور معينة من القرآن. زكي محمد حسن : (الكتابة قبل اختراع الطباعة)، مجلة الكُتّاب (مصرية) عدد مايو 1946م، د.ع، ص 11.
- (19) * القلم : قيل سمي بذلك لاستقامته، وقيل هو مأخوذ من القلام وهو شجر رخو، فلما ضارعه القلم في الضعف سمي قلماً، وقيل لقلم رأسه كما تقلم الظفر، وعند العرب لا يسمى قلماً حتى يبري أما قبل ذلك فهو قصبه (صبح الاعشي 2، 540) .
- (20) بابكر بدري، حياتي، دن، الخرطوم 1959م، ج 1، ص 19.
- (21) مكانة القرآن في مناهج التعليم الحديث، مجلة التوثق التربوي، د.ع، 3/ ديسمبر 1974م، ص 29.
- (22) محمد النور بن ضيف الله، مرجع سابق، ص 83 .
- (23) الطيب محمد الطيب، مرجع سابق، ص 90.
- (24) المرجع نفسه، ص 87.
- (25) إبراهيم عبد الرازق، التعليم في عهد السلطنة الزرقاء، مجلة العمل (سودانية) أول ديسمبر 1966م، ص 35.
- (26) * المداد : يعرف في الخلاوي باسم الدواية .
- * الهباب : يعرف في السودان بالسكن أيضاً وهو ما كان من الدوكة (صاج من الطين) .
- (27) يحيى محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص 96.
- * السبب : شعر ذنب الفرس والخصلة من الشعر .
- * المداد أو الدواية كما تعرف في دار حمر تصنع من الهباب (السكن) يضاف لها مسحوق الصمغ العربي .
- (28) الطيب محمد الطيب، مرجع سابق، ص 93.
- (29) نعوم شقير مرجع سابق، ص 201 .
- (30) عبد العزيز عبد المجيد، مرجع سابق، ص 3/35.
- * « كانت الدراسة بالأزهر الشريف تقوم على نظام الحلقات، وكان الطالب إذا أراد أن يجلس للتدريس وتيقن أنه استوعب مادته استأذن أستاذه تأدياً، وعقد حلقة تضم طلاباً من أنصاره وخصومه، وهؤلاء كانوا يحرصون على مجابته بسيل من الأسئلة الغامضة بغية تعجيزه، فإذا وفق في الإجابة وقارع الحجة بمثلاً أو بأحسن منها، واقتنع الحاضرون بذلك سمحوا له بالاستمرار، وهذا كان بمثابة إذن له بصلاحيته للتدريس، أما إذا تعثر وتلعثم فإنه يفض حلقة ويعود طالباً يتلقى العلم في مجالس الشيوخ »
- (31) للمزيد انظر أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ط 2، القاهرة 1960م، ص 220.
- (32) رضوان يعقوب حمدان زكي، من مواليد النهود 1939م النهود حي الازهري / عمل معلماً وموجهاً بالمرحلة المتوسطة منذ العام 1958م (مقابلة معه بتاريخ 7/9/2020م)

- (33) الطيب محمد الطيب، مرجع سابق، ص235.
- (34) المرجع نفسه، الصفحة نفسها .
- (35) يحيى محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص343.
- (36) حسن نجيلة، ذكرياتي في البادية، بيروت - لبنان 1971م، ص 29 .
- (37) * الشيخ التوم : زعيم بادية الكبابيش.
- * نركز على مدينة النهود فهي عاصمة الإقليم إدارياً وثقافياً وعلمياً، فهي مدينة العلم والعلماء منارة علمية في المنطقة والسودان، ومعظم أبناء دار حمر نهلوا منها العلم.
- (38) يحيى محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص343.
- (39) المرجع نفسه (مقابلة) .
- (40) صحيفة الصيحة، الجامع الكبير بالنهود بعد روعي / المعالم الإسلامية في مدينة العلم والعلماء، السبت 21/نوفمبر/2015م، ص3.
- * أدخلت بعض التحسينات في العام 2002م ببناء مظللتين على شكل حديث، كما بنى مصلى للنساء بلغت مساحته 11 في 55 / للجامع عدد مقدر من الأوقاف خمسة منها بمدينة الأبيض و17 منها بالأبيض وتدر للجامع مبلغ قدره سبعين ألف جنيه شهرياً.
- (41) صحيفة الصيحة، المرجع السابق . الصفحة نفسها.
- (42) رضوان يعقوب حمدان زاكي، مرجع سابق (مقابلة) .
- (43) المرجع نفسه .
- * خلوة الشيخ أحمد عبد الجبار لا تزال موجودة بالنهود / حي الأزهر تؤدي رسالتها العلمية الدينية .
- (44) مولانا محمد الحافظ محمد صالح أحمد عبد الجبار، من مواليد النهود عام 1952م / موظف حسابات ومفتش دواكني بالمنطقة الغربية / مقابلة بتاريخ 9/9/2020.
- (45) المرجع نفسه، (مقابلة)
- (46) المرجع نفسه، (مقابلة).
- * الشيخ علي عبد الرحمن الأمين الضيرير ذكر أيضاً « جئت النهود لبث علمي ولكني وجدت علماء فاضطرت إن أكون طالباً»
- * مدينة قم : هي إحدى مدن إيران وهي الحوزة العلمية، فيها المركز العلمي الديني للشيعة تقع علي بعد 157 كم جنوب العاصمة طهران وترتفع 930 م فوق مستوى سطح البحر كما توحد بالمدينة العديد من المزارات .
- * كان يدرس في المعهد كتاب جامع الجوامع في الأصول وهو من العلوم المتقدمة جداً فمعظم القضاة الذين وفدوا للنهود درسوا هذا الكتاب على يد العلماء، وجامع الجوامع كان يدرسه في الأزهر الشريف الأستاذ حسن الطويل وبعد وفاته توقفت دراسته إلى اليوم (هذه المعلومة من السيدين مولانا محمد الحافظ والشيخ دفع الله البدوي أحمد حمد النيل إداري بالخطوط الجوية السودانية سابقاً).

* من العلماء الذين درسوا في معهد النهود الشيخ عبد الوهاب السراج شيخ علماء الخرطوم وقد كان باشكاتباً في محكمة النهود الشرعية في العام 1926م، وهو أول سوداني يمتحن من منازلهم وأحرز شهادة تسمى «العالمية» بكسر اللام، وهو الذي درس علي يده فراج الطيب « هذه المعلومة ذكرها لي مولانا محمد الحافظ محمد صالح »

(47) James Robertson : Transition in Africa London ,HURST 1974.p40.

* السير جيمس روبرتسون مفتش مركز غرب كردفان بالنهود -1933 1936م والذي تولي فيما بعد منصب السكرتير الإداري لحكومة السودان (بمثابة رئيس الوزراء) ثم حاكماً عاماً لنيجيريا قبيل استقلالها .

(48) الأستاذ رضوان يعقوب حمدان، مرجع سابق (مقابلة)

* ضم الوفد الذي جاء من الأبيض الأستاذ حسن حامد مهدي من مواطني الأبيض وقد مثل الأبيض في المجالس النيابية في الخرطوم كما عمل بالتدريس - أيضاً المرحوم الأستاذ محمد جبارة العوض من أقطاب الحزب الاتحادي وهو من أبناء كسلا كان يعمل بالتدريس بمدرسة الأبيض الأهلية الوسطى - ومنهم الشاعر الكبير محمد علي الأمي وقد كان يعمل بالأبيض ترزياً وكان له مساهمة فاعلة في تلك الليلة بارتجال قصيدة عصماء ألهمت حماس الحاضرين.

(49) الأستاذ رضوان يعقوب حمدان، مرجع سابق (مقابلة).

* هناك قائمة بأسماء أول أربعة دفع سنوردها بالملحق تخرجت في المدرسة.

(50) Duncan J.S.R(1957)Sudan path to independence .London . Blackwood. .

الحياة التعليمية في مصر الفاطمية

أستاذ دكتور- في جامعة أم القرى-
المملكة العربية السعودية

أ.د. الشريف يحيى بن حمزة الوزنة السليمانى الحسنى

المستخلص:

إن التعليم من أهم الركائز الأساسية التي تقوم عليها الأمم، وقد جاء الدين الإسلامي داعماً لهذا المبدأ وذلك بحثه على القراءة في أول آية نزلت على نبينا محمد ﷺ. ومن هذا المنطلق بدأ رسولنا عليه السلام يعلم أمته الدين الحنيف، ثم انتشرت دعوته في بقاع الأرض. وهكذا استمرت الدولة الإسلامية بعد النبوة في عهد الراشدين والأمويين والعباسيين بالاهتمام بتعليم القرآن والأحاديث الشريفة، ثم اللغة العربية ومشتقاتها من النحو والأدب وغيرها من العلوم الإنسانية. وكان طلاب العلم يتلقون دروسهم في الجوامع ودور العلم، وقد اهتم الخلفاء والسلاطين وملوك المسلمين بذلك، كما كانت لعلماء المسلمين منزلة علياً لديهم. ومن أمثلة ازدهار التعليم في التاريخ الإسلامي، دور الدولة الفاطمية في مصر على التعليم. وهو ما يتناوله البحث الذي بين أيدينا «الحياة التعليمية في مصر الفاطمية»، حيث يبين أهمية التعليم لدى الدولة الفاطمية وجهودها في نشر مذهبها عن طريق المساجد ودور العلم التي كان لها أثر كبير في نشر التعليم. وبناءً على ذلك، سوف يناقش البحث دور الفاطميين في مصر وأهم إنجازات التعليم، مثل: جامع عمرو بن العاص، جامع أحمد ابن طولون، الجامع الأزهر، دار العلم، التعليم في القصور وخزائن الكتب. ويخلص هذا البحث إلى التأكيد على استطاعة الدولة الفاطمية نشر مذهبها من خلال المساجد ودور العلم والمدارس وذلك لقوة نفوذها، كما عنيت بنشر العلوم الأخرى مثل الفلسفة والطب والنجوم وغيرها.

كلمات مفتاحية: تاريخ، الدولة الفاطمية، تعليم، مصر، دور العلم

Abstract:

Learning is considered amongst the most crucial foundations upon which nations are based. The religion of Islam came to advocate this principle as it urged its followers to read in the first Quranic verse revealed to the Prophet Mohammad Peace be upon

him. Following this path, our Prophet started teaching his people the religion of Islam, until his message spread all over the globe. The Islamic State went on to be concerned with teaching the Quran and Prophetic traditions in the era of Caliphs, Umayyads and Abbasids. Moreover, the Islamic State was also concerned with teaching Arabic with all of its derivations, such as syntax, literature and other humanities. Students were receiving their lessons in the Mosques and knowledge-given houses as Caliphs, Sultans and all Muslim Kings were concerned with this matter and positioned scientists on such a high rank. An example of the flourishing of education in Islamic history is the role of the Fatimid state in Egypt on education. The present paper addresses the “Educational Life in Fatimid Egypt”, which expresses the importance of education for the Fatimid State and its efforts in spreading its principles through the Mosques and knowledge-given houses which played a significant role in the spread of education. Accordingly, the present paper discusses the role of the Fatimids in Egypt and the most important achievements of education, such as: Amr Ibn Al-Aas Mosque, Ahmed Ibn Tulun Mosque, Al-Azhar Mosque, knowledge-given house, learning in palaces and book warehouses. The present paper concludes that the Fatimid State was able to spread its principles through the Mosques, knowledge-given houses and schools due to the full control it possessed over Egypt. In addition, it was concerned with spreading other sciences, such as philosophy, medicine, astrology and others

المقدمة:

عندما دخل الفاطميون مصر في شعبان سنة 358هـ/968م تحت قيادة جوهر الصقلي كان غالبية⁽¹⁾ سكانها من أهل السنة على مذهبي مالك والشافعي. حقيقة أن التشيع كان معروفاً بمصر قبل هذا التاريخ، ولكن أصحابه كانوا قلة وغالباً ما تعرضوا لكثير من المضايقات والاضطهادات. من ذلك ما يذكره المقرئزي⁽²⁾ من أن سودان كافور كانوا يتعصبون على الشيعة ولذلك لم يكن لهم نفوذ أو تأثير في الحياة العامة سوى بعض الاضطربات

التي كانت تحدث عندما يحتفلون ببعض مناسباتهم العقائدية. ولا شك في أن هذا السبب دعا جوهر القائد إلى الإسراع في بناء مدينة القاهرة لاتخاذها عاصمة للفاطميين بعيداً عن معاقل أهل السنة في الفسطاط وغيرها. يبدو أنه كان في عجلة من أمره، إذ يقال إنه بمجرد استسلام الأخشيديين له دخل «من الغد إلى مصر في طبوله وبنوده وعليه ثوبديباج مذهب، ونزل بالمناخ، وهو موضع القاهرة اليوم؛ واختطها وحفر أساس القصر في الليلة، وبات المصريون في أمن؛ فلما أصبحوا حضروا لهناؤه فوجدوه قد حفر أساس القصر في الليل»⁽³⁾. وإذا كان هذا إحساس القادم الجديد الذي فتح مصر على رأس جيش من المغاربة⁽⁴⁾ حاملاً مذهباً جديداً، فإنه بمجرد استيلائه على السلطة أعلن المذهب الشيعي⁽⁵⁾ مذهباً رسمياً للدولة وصار العمل بمقتضاه في القضاء والإفتاء وأنكر ماخالف ذلك من بقية المذاهب⁽⁶⁾. وعلى هذا الأساس بدأ جوهر سياسة الدولة الجديدة بفرض مذهبها والعمل على نشره. ولم يكن ذلك بالأمر السهل لأن معتنقي المذهب الجديد من المصريين لم يكونوا إلا فئة قليلة بالنسبة لباقي المصريين الذين رأوا في المذهب الشيعي خروجاً عن معتقداتهم وآرائهم في بعض جوانب الديانة⁽⁷⁾. ومن أجل أن يستوعب الداخلون في هذا المذهب أحكامه ومعتقداته كان لزاماً على الفاطميين نشر دعوة واسعة واتباع سياسة تعليمية تمكنهم من نشر دعوة واسعة واتباع سياسة تعليمية تمكنهم من نشر مذهبهم وكان أن بدأ نشاطهم يتغلغل إلى أماكن التعليم القائمة، حيث كانت تعقد حلقات العلم وخاصة في جامع عمرو بن العاص، وجامع ابن طولون والجامع الأزهر.

الفاطميون في مصر:

جامع عمرو بن العاص:

الواقع أن نصيب جامع عمرو من عناية⁽⁸⁾ الفاطميين كان عظيماً جداً، وذلك بوصفه ركناً من أركان التعليم، فضلاً عن كونه ركناً للصلاة والعبادة. والثابت تاريخياً أن جامع عمرو بن العاص كان معهداً⁽⁹⁾ تعليمياً ضخماً، وحظى طلاب العلم فيه برعاية الدولة سواء كانوا من السنين أو الشيعة، وقد حظي هذا الجامع بالرعاية طوال عصر الفاطميين. ففي عهد العزيز بالله أمر وزيره يعقوب بن كلس بأن يعمل فيه فوارة كما جدد بياضه في سنة 387هـ/977م⁽¹⁰⁾، وحظي الواردون إلى الجامع باهتمام العزيز الذي خصص مائدة وطعاماً لمن يحضر إلى الجامع في رجب وشعبان ورمضان⁽¹¹⁾. ومن أهم كتب الشيعة التي كانت تُدرّس بجامع عمرو (كتاب بن يعقوب) الذي يشتمل على فقه الطائفة الإسماعيلية كما سمعه بنفسه عن المعز لدين الله وابنه العزيز⁽¹²⁾.

أما الحاكم بأمر الله فقد صنع له تنوراً⁽¹³⁾ من الفضة وحمل إليه الفرش والحصر السامانية⁽¹⁴⁾ وقناديل الذهب والفضة وعلق الستر على الأبواب⁽¹⁵⁾. كذلك عنى الحاكم بشؤون العلم والمشتغلين به، فزود جامع عمرو بمكتبة ضخمة نقلت إليه من خزائن القصر بلغت ألفاً ومائتين وثمانية وتسعين مصحفاً مابين ختمات وربعات، فيها ما هو مكتوب كله بالذهب، وممّن الناس من القراءة فيها⁽¹⁶⁾، كما خصص الرواتب⁽¹⁷⁾ لمن يأوي إلى المساجد من الفقهاء والقراء والغرباء⁽¹⁸⁾. ومع ذلك فإن علوم الشيعة لم تلق الإقبال الذي كان منتظراً لها في جامع عمرو بعد أن ظل سنين طويلة معقلاً لتدريس فقه المذاهب السنية، حيث درس به كثير من علماء هذه المذاهب وعلى رأسهم الإمام الشافعي نفسه. لذلك أقبل الطلبة فيه على حلقات الفقهاء السنيين⁽¹⁹⁾ دون غيرهم. ومن ذلك ما ذكره السيوطي من «أن أبا النعمان إمام المالكية بمصر المتوفي سنة 380هـ/990م كانت تدور حلقاته في الجامع على سبعة عشر عموداً لكثرة من يحضرها»⁽²⁰⁾. ومهما يكن في كلام السيوطي من مبالغة فإنه يكفي أن عبارته السابقة تؤكد أن الدراسات الخاصة بمذهب أهل السنة كانت لا تزال قائمة ومزدهرة في العصر الفاطمي، كما يفهم من كلامه أيضاً أن كثيراً من الفقهاء السنيين قاموا بالتدريس في جامع عمرو في ذلك العصر⁽²¹⁾.

جامع أحمد بن طولون :

أما جامع ابن طولون فقد حظي أيضاً باهتمام الفاطميين، فقد حدث في سنة 376هـ/986م أن احترقت بعض أجزائه فاستمر الجامع مهملاً حتى أمر العزيز بالله ببناء فوارة⁽²²⁾ عوضاً عن التي احترقت وترميم باقي الأجزاء التي تأثرت بالحريق⁽²³⁾ وفي زمن الحاكم بأمر الله زود الجامع بثمانمائة وأربعة عشر مصحفاً⁽²⁴⁾ وهذا ما يدعو إلى الاعتقاد أنه كان في هذا الجامع تعقد بعض الدروس ولكنها لم تكن في حجم ولا أهمية الدراسات التي كانت تُعقد في جامع عمرو، ولذلك نجد أنه لم يكن لهذا الجامع ذكر كثير في المصادر التاريخية خصوصاً في دولتي الفاطميين والأيوبيين، ولم يلعب جامع ابن طولون دوره في الحياة العلمية إلا في زمن المماليك⁽²⁵⁾. وهكذا اضطر الفاطميون في سبيل الله نشر مذهبهم إلى اتباع طريقتين، الأولى هي الإغراء والترغيب بقصر شغل المناصب على معتنقي المذهب الشيعي، والأخرى التهديد والوعيد. من ذلك ما ذكره المقرئ من أنه حدث في سنة 381هـ/991م أن «ضرب رجل بمصر وطيف به المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب الموطأ لمالك بن أنس»⁽²⁶⁾، كما قبض على ثلاثة عشر⁽²⁷⁾ رجلاً وضربوا وشُهِرُوا وحُبِسُوا ثلاثة أيام لأنهم صلو صلاة الضحى⁽²⁸⁾.

الجامع الأزهر:

على أن جوهر لم يقتنع بما في مصر من جوامع قديمة كانت منذ تأسيسها مراكزاً للمذهب السني⁽²⁹⁾، وإنما بدأ بإنشاء جامع جديد ليكون مقراً ومركزاً لتعليم فقه المذهب الشيعي⁽³⁰⁾ وكان ذلك سنة 359هـ/970م عندما وضع جوهر أساس الجامع الأزهر الذي تم بناؤه في شهر رمضان سنة 361هـ/972م⁽³¹⁾. وبذلك اكتملت أركان القاهرة وصار الأزهر مركزاً لعلماء الشيعة الذين سبقوا المعز في الحضور إلى مصر أو الذين حضروا في صحبته وسرعان ما بدأ استخدام الأزهر في المهمة التي أنشئ من أجلها، ففي صفر سنة 365هـ/975م جلس به القاضي علي بن النعمان وأملى مختصر أبيه في الفقه عن آل البيت ويعرف هذا المختصر بـ (الاقتصار) وحضر هذا المجلس جمع عظيم من الناس أثبت أسماءهم عنده⁽³²⁾. ومما لا شك فيه أن الغرض الأساسي من بناء الجامع الأزهر هو أن يكون مدرسه قاموا بالدور المطلوب منهم وهو نشر الدعوة الشيعية ومعتقداتها بين الناس. أي إنه كان مركزاً لتدريب دعاة المذهب وتخرجهم، ولكنه لم يلبث أن تطور ليصبح جامعة من أهم الجامعات الإسلامية التي يقصدها المعلمون⁽³³⁾ والمتعلمون، وتم ذلك التطور بفضل جهود الوزير يعقوب بن كلس⁽³⁴⁾ الذي بدأ أول الخطوات لجعل منه معهداً دراسياً واسع النشاط. ذلك أن الوزير يعقوب بن كلس نفسه كان من كبار علماء المذهب الشيعي وكان يجلس لقراءة كتب الفقه وخاصة ما كتبه عن المعز والعزیز، فرتب العزيز بالله خمسة وثلاثين فقيهاً ملازمة ابن كلس في مجالسه العلمية للتعلم على يديه ورتب لهم الأرزاق الشهرية التي تكفيهم وأمر ببناء دار لهم إلى جانب الجامع الأزهر فإذا كان يوم الجمعة تحلقوا فيه بعد صلاة العصر وكان لهم من مال الوزير أيضاً صلة في كل سنة⁽³⁵⁾، وكانت هذه أول دراسة منتظمة بالأزهر ويدل ذلك على الاهتمام بهم من أنه تم تخصيص دار لإقامتهم وصرف الأرزاق المنتظمة لهم بل وصل اهتمام العزيز بهم أن خلع عليهم يوم الفطر وحملهم على البغال⁽³⁶⁾ احتراماً وتقديراً لهم. على أن الأزهر أخذ يتخلص نوعاً ما من النزعة المذهبية بعد افتتاح جامع الحكم الذي وضع أساسه العزيز بالله بإشراف وزيره ابن كلس لنقل الحلقات العلمية التي كانت تقام بالأزهر⁽³⁷⁾ إليه فلما مات العزيز بالله دون إتمامه أكمله الحاكم ونسب إليه وأذن لمن يبيت بالأزهر أن يمضي إليه⁽³⁸⁾. ثم أنشأ الحاكم دار العلم وتحول معظم العلماء إليه مما أثر في المركز العلمي للجامع الأزهر. ولكن يبدو أن تحول العلماء عنه كان سبباً في تجرده من الصبغة المذهبية⁽³⁹⁾. وساعد على ذلك ما أظهره الحاكم من التسامح في أول سنة حكمه حتى درس بالأزهر بعض علماء

السنة في علوم الفلسفة والمنطق والطب والرياضيات ولكن في حدود ضيقة⁽⁴⁰⁾. ومع ذلك فإن إنشاء دار العلم لم يؤد بأية حال إلى إهمال الجامع الأزهر. بل إن الحاكم رتب عليه بعض من الأوقاف التي تصل كل سنة ألفا وسبعة وستين ديناراً للصرف منها على عمارته وشراء ما يلزمه من فرش وحصر وما يستخدم في نظافته وازراق من به من الموظفين⁽⁴¹⁾.

دار العلم :

تولى الحاكم بأمر الله الخلافة في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة 386هـ/996م وكان منذ صغره يشتغل بالآداب والدروس والنظر في دقائق الأمور مثل النجوم⁽⁴²⁾ والارصاد والكيمياء والعزائم والطلسمات وسائر علوم الرياضيات ولكنه كان شغوفاً بعلم النجوم، عمل رصدًا واتخذ بيتاً في المقطم ينقطع فيه عن الناس لإجراء دراساته وتأملاته⁽⁴³⁾.

قام الحاكم بإنشاء دار الحكمة التي فتحت أبوابها في جمادى الآخرة سنة 395هـ/1005م وجلس فيها القراء والفقهاء والمنجمون والنحاة وأصحاب اللغة والأطباء، وجمع فيها من الكتب في سائر العلوم ما لم ير مثله مجتمعاً⁽⁴⁴⁾. وكان لتسمية هذه الدار بدار العلم أو بدار الحكمة مغزى يدل على الاتجاه الفلسفي الحر الذي اختاره لهذا المعهد⁽⁴⁵⁾.

وقد قسمت هذه الدار إلى عدة أقسام أي قاعات للمحاضرات حسب العلوم التي تدرس أو تبحث فيها من طب وتنجيم وفلك وفلسفة، عدا علوم الفقه على مذهبهِ وعلوم اللغة والقراءات والحديث وغيرها. كذلك تم تزويدها بمكتبة ضخمة⁽⁴⁶⁾ كانت خير عون للباحثين والدارسين بها مع توفير الأموال اللازمة للصرف منها على أرباب الوظائف والمشتغلين بالعلم، فأجرى على من فيها من الخدام⁽⁴⁷⁾ فضلاً عن المعلمين والمتعلمين الأزراق السنية. ووفر بها ما يحتاج إليه رجال العلم من الحبر والأقلام والمحابر والورق⁽⁴⁸⁾ لمن يريد القراءة والإطلاع أو لمن يريد النسخ والنقل⁽⁴⁹⁾. ونتيجة طبيعية لهذا التسامح الديني من ناحية والرعاية المادية لأهل العلم من ناحية أخرى فضلاً عن تهيئة الجو العلمي الملائم للجميع. هرع إلى دار العلم العلماء والطلاب من كافة المذاهب وسائر البلاد.

ومن علماء السنة الذين اشتغلوا بالتدريس في دار الحكمة الحافظ أبو محمد عبدالغني⁽⁵⁰⁾ وكان عالماً من علماء الحديث حافظاً له، ومن مؤلفاته (مشتبه النسبة) وكتاب (المؤتلف والمختلف)، وكذلك أبو أسامة جنادة محمد اللغوي⁽⁵¹⁾ وكان يتولى التدريس بجامع عمرو وأبو الحسن بن سليمان الأنطاكي النحوي⁽⁵²⁾، كذلك انتقل إلى دار العلم داعي الدعاة وكانت وظيفته القيام بقراءة كتب الفقه الخاصة بالشريعة وأصول العقيدة⁽⁵³⁾ وأخذ العهود على من ينتقل إلى مذهبه⁽⁵⁴⁾. وأدى شغف الخليفة الحاكم بأمر الله بالتنجيم والكيمياء بالذات إلا أنه فتح الباب أمام الباحثين في هذه العلوم من فلاسفة وأطباء ومنجمين. وفي ظل رعايته استطاعت دار الحكمة أن تنمو بسرعة بحيث لم يمض سوى قليل حتى ازدهرت وسار ذكرها في الآفاق وهرع إليها الطلاب من سائر الأقطار. وتبوأت مركز الزعامة في الدراسات العلمية والفقهية⁽⁵⁵⁾.

فقد استمرت دار الحكمة في أداء رسالتها العلمية إلى أن اضطربت شؤونها في عهد الخليفة المستنصر وانتهى الأمر إلى أن أغلقت في أوائل القرن السادس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أيام الخليفة الأمر بأحكام الله إذ أغلقها الأفضل بن أمير الجيوش بسبب اجتماع الناس فيها والخوض في المذاهب خوفاً من الاجتماع على المذهب النزاري، ثم عادت وفتحت أبوابها في عهد الخليفة الأمر ووزيره مأمون البطائحي، واقتصر التدريس فيها على القرآن الكريم⁽⁵⁶⁾.

التعليم في القصور:

أقام الفاطميون عدة مدارس بقصورهم اتخذت لها طابعاً خاصاً وتلامذة من نوعية معينة حيث يلتحق بها أولاد عليّة القوم وسراتهم، ويسر المؤدّبون في تثقيف هؤلاء الصبيان وتعليمهم على منهاج خاص يرمي إلى إعدادهم لخدمة الخلفاء وشغل المناصب الرئيسية في دولة الخلافة⁽⁵⁷⁾. أما المجالس التي كان يعقدها الخلفاء في القصور فكانت للبحث والمناظرة وكان يجتمع إليها الأدباء والشعراء (وساعد على ازدهار هذه المجالس شغف المصريين بالعلم وإقبال الأدباء على المناظرة طمعاً في منح الخلفاء والأمراء والوزراء ونيل الحظوة عندهم)⁽⁵⁸⁾.

ولكن الحقيقة أن هذه المجالس إنما كانت تعقد بالدرجة الأولى لشرح الفقه الشيعي والدعوة له وترغيب الناس فيه. ويبدو أن هذه المجالس قد نجحت إلى حد كبير في هذا الهدف. على أن هذه المجالس لم تقتصر على قصور الخلفاء فقط، بل نجد كثيراً من الوزراء الفاطميين يقيمون هذه المجالس في قصورهم، فالوزير يعقوب بن كلس رتب في داره العلماء من الأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأجرى لجمعهم الأزراق وألف كتاباً في الفقه ونصب مجلساً يوم الثلاثاء يجتمع فيه الفقهاء وجماعة من المتكلمين وأهل الجدل، وتجرى بينهم المناظرات⁽⁵⁹⁾. ويبدو أن هذا المجلس كان خاصاً بطبقة المتعلمين والمتقنين فقط.

خزائن الكتب:

ولع الخلفاء الفاطميون باقتناء الكتب⁽⁶⁰⁾ ولعاً شديداً وخاصة أن معظمهم كان له اهتمام كبير بالعلوم لاسيما العلوم الدينية. ذلك أنهم دعاة مذهب جديد والوسيلة إلى نشره هي المناقشة والمناظرة والإقناع بأحقية الفاطميين في الخلافة، وقد بدأت خزائن الكتب الفاطمية في النمو منذ وصول المعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة حيث أحضر معه الكثير من هذه الكتب. ويحكى عن المعز أن رجلاً حمل إليه مصحفاً يقال إنه كان ليحيى بن خالد البرمكي ووجده معجباً به، فدعا المعز بإحضار مصحف يفوقه خطأ وإنهاباً وتجليداً وقال «هذا خط المنصور وإنهابه وتجليده بيده»⁽⁶¹⁾. وقه خطأ وا كان خالينة حيث يلتقود تركزت هذه الكتب بالخزائن الموجودة بالقصور وخزائن دار

العلم والممارسة⁽⁶²⁾ كذلك وجد بعضها بالمساجد. وكان اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكتب يفوق الوصف، لدرجة أنهم كانوا يقتنون من الكتاب الواحد عدداً كثيراً من النسخ. وإلى جانب ذلك فقد كانت خزائن الكتب تحوي كتب السنة والفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتاريخ وسير الملوك والنجامة والروحانية والكيمياء حتى كتب السحر والطلسمات وبلغ عدد خزائن الكتب الموجودة بالقصر الكبير أربعين خزانة. وكان الخلفاء كثيرون يترددون على خزائن الكتب وخاصة خزانة⁽⁶³⁾ المارستان فكان الخليفة منهم يتوجه إليها ركباً ثم يترجل على دكة منصوبة هناك. ويجلس عليها ثم يحضر إليه متولي أمور المكتبة بالمصاحف⁽⁶⁴⁾. بالخطوط المنسوبة وغير ذلك. وتحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم، والرفوف مقطعة بحواجز وعلى كل حاجز باب يقفل عليه بمفصلات وقفل⁽⁶⁵⁾ مما يؤكد حرصهم على مقتنياتهم ضد الضياع أو السرقة. وقد حظيت هذه الكتب بالعناية والاهتمام وعمل الفهارس الخاصة بهم وترميم ما قد يتلف من أغلفتها وصفحاتها، وذكر ابن السبدي الذي تولى مهمة ترميم الكتب وفهرستها في إحدى المرات أنه رأى من كتب النجوم والفلسفة خاصة ستة آلاف وخمسمائة جزء⁽⁶⁶⁾، على أن الكتب الفاطمية تعرضت للنهب والسرقة في وقت الشدة العظمى زمن الخليفة المستنصر فضلاً عما بيع منها. ولم يكن اهتمام الوزراء الفاطميين بالكتب أقل من خلفائهم فيكفي مثلاً أن الوزير الأفضل بن أمير الجيوش قد اشترى عشرة آلاف مجلدة دفعة واحدة، فلما ملك صلاح الدين الديار المصرية استولى على كنوز الفاطميين وخزائنها ويصف أبو شامة⁽⁶⁷⁾ خزائن الكتب بأنها كانت من عجائب الدنيا⁽⁶⁸⁾.

ظهور المدارس :

استمرت المساجد ودار العلم في أداء رسالة التعليم التي عينتها الدولة الفاطمية وسخرتها لنشر مذهبها. ورغم وجود بعض التسامح والحرية العلمية في الفترة الأولى من حكم الحاكم بأمر الله، إلا أنه سرعان ما عاد إلى نزعته الدينية التعسفية واضطهاد علماء السنة. وقد استمرت سياسة إخضاع التعليم وفقاً لمذهب الدولة⁽⁶⁹⁾ الرسمي طالما كان نفوذ الفاطميين قوياً وسيطرتهم قوية على أمور الدولة. ولكن هذا النفوذ بدأ في التدهور نتيجة لما أصابها من الكوارث الاقتصادية وخاصة في عهد المستنصر، إذ الوزراء يستبدون بالسلطة ويستأثرون بالحكم، وأظهر بعضهم شيئاً من التسامح مع أصحاب المذاهب السنية وتركوا لهم حرية العبادة والدراسة وكان هذا يبدو واضحاً إذا ما قام في الوزارة أحد السنيين. ولكننا إذا تركنا القاهرة مركز الدعوة الشيعية⁽⁷⁰⁾

وحاضرة الخلافة الفاطمية وجدنا بلداً مثل الإسكندرية لم تتأثر كثيراً بهذه الدعوة، ولم تكن السلطة فيها من القوة أو الشدة التي شهدتها القاهرة. فكان موقعها الجغرافي على ساحل البحر المتوسط غرب مصر مما جعلها مركزاً لتجمع الحجاج المغاربة الذين يفدون إليها من المغرب الإسلامي والأندلس لأداء فريضة الحج. ولكثير من العلماء والدارسين الذين كانوا يرحلون في طلب العلم إلى المشرق الإسلامي خاصة في الوقت الذي بدأت تظهر ملامح النهضة العلمية متمثلة في إنشاء المدارس التي أقامها نظام الملك الوزير السلجوقي في العراق أو للمجاورة لسماع الفقه والحديث في الأراضي المقدسة سواء بالحجاز أو بيت المقدس. ومن أشهر المدارس مدرسة الطرطوشي⁽⁷¹⁾ ومدرسة أبي الطاهر بن عوف⁽⁷²⁾ ومدرسة الحافظ السلفي⁽⁷³⁾.

مما لا شك فيه أن العصر الفاطمي تميز بنوع خاص من الدراسات التي تختلف عما درج عليه المصريون، هذه الدراسات تتعلق بالعقيدة إذ كان للشيعة فقههم الخاص الذي يخالف فقه أهل السنة في كثير من الوجود كما كانت لهم نظرة خاصة في علم الحديث، أما باقي العلوم كالعلوم اللغوية وغيرها فإنها لم تتأثر بشيء لثباتها وعدم ارتباطها بشيء يدعم مركز الشيعة في ادعائهم بأنهم ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم استغلوا بعض هذه العلوم من جهة أخرى في الدعاية لمذهبهم فنمت وازدهرت نتيجة لذلك وبالأخص الشعر لأنهم وجدوا أن الشعراء من أصلح الدعاة فاحتضنهم⁽⁷⁴⁾ واجزلوا لهم العطاء ليطلقوا ألسنتهم بالقول في مدحهم ومدح مذهبهم⁽⁷⁵⁾، وأصبحت مصر في عهد الفاطميين مقصداً لكثير من الشعراء الذين وفدوا⁽⁷⁶⁾ عليها من المغرب والعراق والشام واليمن بالإضافة إلى الشعراء المصريين، وصاحب ذلك ازدهار في الدراسات النحوية، وظهور بعض النحاة المتكئين ومن أشهرهم أبوبكر الأدفوي الذي ألف كتاباً في علوم القرآن في مائة وعشرين مجلداً وابن بابشاد الذي ألف شرحاً على كتاب الجمل للزجاج والمحاسب في النحو، وكان لديوان الإنشاء الفاطمي أثره الكبير في تقدم النشر بصفة خاصة⁽⁷⁷⁾ أما العلوم التي حظيت بالرعاية، وتوفرت لها سبل النمو والازدهار في تلك الفترة فهي علوم الفلسفة والنجوم والطب، وقد توفرت الرعاية للمشتغلين بهذه العلوم نتيجة لاهتمام الخلفاء الفاطميين واشتغالهم⁽⁷⁸⁾ ببعض هذه العلوم بل وتعمقهم فيها أو لأنها علوم تساعد في فهم الدعوة الشيعية والدعاية لها. خلاصة القول، فإن العصر الفاطمي يعد من أهم الفترات وأكثرها اهتماماً بالتعليم والإدراك لقيمتيه، وأن حقيقة ازدهار وتقدم البلاد لا يكون إلا بالعلم والتعلم. فبالتالي، استطاعت الدولة الفاطمية بقوة نفوذها

في مصر أن تنشر مذهبها في المساجد ودور العلم والمدارس ولم تهمل أيضاً العلوم الأخرى، وذلك نظراً لطول حكمها وما استطاع خلفاؤها أن يقدموا من إنجازات وما تركوا من تراث. وحيث إن النشاط العلمي في تلك الفترة كان سبباً في تطور الأنشطة الأخرى مثل الفن والأدب والثقافة، فقد كانت بمثابة العصر الذهبي لمصر حيث إنه لا تزال بعض آثارها ملموسة في العصر الحالي. وختاماً نحمد الله أن وفقنا من انتهاء هذا العمل، اللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على من أرسله الله رحمة للعالمين.

المصادر والمراجع:

- (1) المقرئزى، اتعاظ الءنفاء بأءبار الأئمة الفاطمىىن الءلفاء، ءءقء ءمال الءىن الشىال، ءار الفكر العربى، القاهرة، 1948م، ص198
- (2) المقرئزى، الءطط، مطبعة بولاق، القاهرة، 1284هـ، ء2، ص339
- (3) بن ءغرى برءى، النءوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، وزارة الءءافة، 1963م، ء4، ص31
- (4) العىنى، عقد ءءمان فى ءارىء أهل الزمان، ء10، سنة 400هـ، مءطوطة بءار الءب المصرىة
- (5) السىوطى، ءسن المءاضرة، ءءقء مءمء أبو الفضل إبراهىم، ءار الفكر العربى، القاهرة، 1992م، ء2، ص13
- (6) المقرئزى، اتعاظ الءنفاء بأءبار الأئمة الفاطمىىن الءلفاء، ءءقء ءمال الءىن الشىال، ءار الفكر العربى، القاهرة، 1948م، ص158 - 162
- (7) المقرئزى، الءطط، مطبعة بولاق، القاهرة، 1284هـ، ء2، ص342
- (8) القلقشءنى، صءء الأعشى، ءار الءب العلمىة، القاهرة، 1963م، ء10، ص423 - 424
- (9) ءطاب عطىة، الءعلىم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول، ءار الفكر العربى، القاهرة، 1970م، ص101
- (10) المقرئزى، المصءر السابق، ص249
- (11) المقرئزى، المصءر السابق، ص284
- (12) المقرئزى، المصءر السابق، ص340
- (13) العىنى، المصءر السابق
- (14) السىوطى، المصءر السابق، ص151
- (15) ءطاب عطىة، المصءر السابق، ص102
- (16) المقرئزى، المصءر السابق، ص249
- (17) السىوطى، المصءر السابق، ص151
- (18) العىنى، المصءر السابق
- (19) ءطاب عطىة، المصءر السابق، ص102
- (20) السىوطى، المصءر السابق، ص212-213
- (21) ابن ءلكان، وفىاء الأعىان، ءءقء إءسان عباس، ءار صاءر، بىروت، ء2، ص390
- (22) بمعنى: فسقىة
- (23) السىوطى، المصءر السابق، ص188-213

- (24) المقرئزي، المصدر السابق، ص266-267
- (25) عبد الغني محمود عبد العاطي، التعليم في مصر، دار المعارف، القاهرة، 2003م، ص20-21
- (26) المقرئزي، المصدر السابق، ص340
- (27) أحمد أمين، ضحى الإسلام، القاهرة، 1966م، ص56
- (28) المقرئزي، المصدر السابق، ص340
- (29) المقرئزي، المصدر السابق، 262
- (30) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ص 32
- (31) ابن أبيك، كنز الدرر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1971م، ج8، ص121
- (32) المقرئزي، المصدر السابق، ص340
- (33) محمد عبدالله عنان، تاريخ الجامع الأزهر، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1942م، ص41
- (34) حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، مطبعة دار النشر المصرية، القاهرة، 1946م، ص52
- (35) خطاب عطية، المصدر السابق، ص112
- (36) المقرئزي، المصدر السابق، ص340
- (37) ابن أبيك، المصدر السابق، ص121
- (38) خطاب عطية، المصدر السابق، ص113-114
- (39) المقرئزي، المصدر السابق، ص276
- (40) محمد عبدالله عنان، المصدر السابق، ص56
- (41) المقرئزي، المصدر السابق، ص274
- (42) ابن أبيك، المصدر السابق، ص256-257
- (43) المقرئزي، المصدر السابق، 241
- (44) محمد عبدالله عنان، المصدر السابق، ص52
- (45) محمد عبد الرحيم غنيم، تاريخ الجامعات الإسلامية، دار الطباعة المغربية، المغرب، 1953م، ص58-59
- (46) أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، جامعة القاهرة، القاهرة، 1978م، ص156
- (47) محمد عبدالله عنان، المصدر السابق، ص52
- (48) خطاب عطية، المصدر السابق، ص156
- (49) المقرئزي، المصدر السابق، ص241

- (50) ابن خلكان، المصدر السابق، ص390
- (51) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق/ بيروت، 1986م، ص188
- (52) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ص222
- (53) محمد عبد الرحيم غنيمه، المصدر السابق، ص59
- (54) خطاب عطية، المصدر السابق، ص 160-161
- (55) محمد عبدالله عنان، المصدر السابق، ص54
- (56) القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص366
- (57) خطاب عطية، المصدر السابق، ص177
- (58) المقرئزي، المصدر السابق، ص340
- (59) المقرئزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م، ص202
- (60) خطاب عطية، المصدر السابق، ص188
- (61) المقرئزي، الخطط، مطبعة بولاق، القاهرة، 1284هـ، ج2، ص339
- (62) العيني، السيف المهند، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1966م
- (63) المقرئزي، المصدر السابق، ص408
- (64) المقرئزي، المصدر السابق، ص408
- (65) المقرئزي، المصدر السابق، ص408
- (66) خطاب عطية، المصدر السابق، ص192
- (67) أبو الشامه، الروضتين، دار الجيل، بيروت، 1996م، ج1، ص200
- (68) ابن كثير، البداية والنهاية، مطبعة بولاق، القاهرة، 1284هـ، ج12، ص266
- (69) محمد جمال الدين الشيال، إعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، 2003م، ص51-52
- (70) عبد الغني محمود عبد العاطي، المصدر السابق، ص30
- (71) محمد جمال الدين الشيال، المصدر السابق، ص60
- (72) ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، 1970م، ص95-96
- (73) ابن كثير، المصدر السابق، ص307
- (74) السيوطي، المصدر السابق، ص323-324
- (75) ابن خلكان، المصدر السابق، ص64

- (76) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، 1991م، ج3، ص551-553
- (77) أحمد أمين، ظهر الإسلام، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1966م، ج1، ص206
- (78) محمد جمال الدين الشيال، المصدر السابق، ص148-149

حياة عبد الله بن طاهر في ظل الخلافة العباسية (182 - 230 هـ / 799 - 844 م)

باحثة - جامعة الملك خالد - المملكة العربية
السعودية

أنوف علي ناصر آل بريق

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على شخصية عبد الله بن طاهر من حيث نشأته وحياته في ظل الخلافة العباسية، وثقافته، وعلومه، ومهامه السياسية، ومناصبه، وقد ركزت الدراسة على توضيح مولده ونشأته، و ثقافته وعلومه، و مهامه السياسية ومناصبه الإدارية. وقد استخدمت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغرض الوصول إلى نتائج والتي من أهمها: أن شخصية عبد الله بن طاهر من أهم الشخصيات التي ظهرت في الدولة الطاهرية خاصة، والدولة العباسية عامة. أن البيئة التي عاش فيها عبد الله بن طاهر كان لها الأثر الواضح على شخصيته؛ مما جعلها شخصية إيجابية في تلك الفترة... بقاء عبد الله بن طاهر على ولائه وإخلاصه للخلافة العباسية، وظهر ذلك الولاء واضحاً في حروبه؛ حيث حارب أعداءها، ودافع عن ممتلكاتها في المشرق والشام ومصر.

كلمات مفتاحية: عبد الله بن طاهر، الخلافة العباسية، خراسان، الرقة، أذربيجان.

المقدمة:

ظهرت الأسرة الطاهرية في عصر الخلافة العباسية في إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر، وقامت كأول دولة مستقلة عن الخلافة في المشرق، واتخذت اسمها من مؤسسها طاهر بن الحسين سنة (205هـ - 820م)، وكان من أهم وأبرز القادة فيها الأمير عبد الله بن طاهر، الذي برز كشخصية فذة، تتمتع بمقومات القيادة، والذكاء، والطموح العالي منذ الصغر؛ ولذلك فقد تولى عدة مناصب مهمة، منها ولاية خراسان بعد وفاة أخيه طلحة، كما تولى إمارة مصر، والعراق، وبعض المدن في المشرق، وأسندت إليه مهمة إخضاع بعض الحركات المناوئة للخلافة العباسية. إن موضوع البحث يسعى إلى تسليط الضوء على حياة الأمير عبد الله بن طاهر في ظل الخلافة العباسية.

حياة عبد الله بن طاهر في ظل الخلافة العباسية: مولده:

اختلف من أَرَّخَ لمولد عبد الله بن طاهر في السنة التي ولد فيها، فذهب ابن عساكر في تاريخ دمشق إلى أنه ولد في سنة ثمان وثمانين ومائة⁽¹⁾، ثم عاد ابن عساكر بعدها وذكر تلك الرواية: «سمعت إسحق بن راهويه يقول: سألتني عبد الله بن طاهر: متى مات عبد الله بن المبارك؟ فقلت له: مات سنة اثنتين وثمانين ومائة، قال: ذاك مولدي»⁽²⁾، وقال ابن تغري بردي في ملوك مصر والقاهرة: «ومولد عبد الله بن طاهر هذا سنة اثنتين وثمانين ومائة»⁽³⁾، وذكر الصفدي ذلك أيضاً في الوافي بالوفيات⁽⁴⁾، وعليه فالمرجح أنه ولد سنة اثنتين وثمانين ومائة، ويؤكد ذلك أن جمعاً من المؤرخين، منهم ابن خلكان، والذهبي، وابن كثير، وابن العماد؛ يذكرون أنه مات سنة ثلاثين ومئتين، وله ثمان وأربعون سنة، وبناء على تاريخ الوفاة الذي اتفق عليه كل من ترجم له، والعمر الذي نصوا عليه؛ فيكون ما رجحناه آنفاً هو الصواب⁽⁵⁾، وأما ما ذكره ابن عساكر من التضارب في ولادته، فلعله وهمٌ منه؛ لأنه ذكر الرواية الصحيحة التي عليها المؤرخون.

نشأته:

نشأ عبد الله بن طاهر في بيت إمارة وعزٍّ، وشرف وسؤدد، وكان من عادة أهل الرئاسة والإمارة أن يربُّوا أبناءهم على أيدي العلماء والقراء؛ حتى يكون لهم حظٌّ من العلم والمعرفة، يعينهم على اكتساب صفات القيادة عندما يشبوا ويكبروا، وقد نشأ عبد الله بن طاهر في كنف والده طاهر بن الحسين، الذي كان والياً على مدينة بوشنج في تلك الفترة، وعندما برز والده على الساحة، كان عمره آنذاك نحو سبعة عشر عاماً، واتصل والده بالخليفة المأمون، وكان له دورٌ كبيرٌ في توليته الخلافة العباسية، وقضى عبد الله بن طاهر فترة شبابه عند الخليفة المأمون في مَرْو، واعتمد عليه الخليفة كثيراً؛ وذلك تقديرًا لوالده طاهر⁽⁶⁾ وكان شديد الاهتمام به، ويبالغ في مدحه⁽⁷⁾، وتوطدت العلاقة بينهما منذ وقت مبكر، وذلك عندما حضر المأمون إلى خراسان وعبد الله بن طاهر لم يبلغ العشرين سنة من عمره، حيث كان مصاحباً له حين دخل بغداد، ويجلس معه في بعض المجالس الخاصة⁽⁸⁾، وتآدَّب في صغره⁽⁹⁾ على يد جماعة من الفضلاء، وممن قام على تربيته أبو العميثل عبد الله بن خليل⁽¹⁰⁾، كما تآدَّب على يد عيينة بن عبد الرحمن أبي المنهال المهلبى⁽¹¹⁾، كما سمع من وكيع⁽¹²⁾، ويحيى بن الزريس⁽¹³⁾، وكان عبد الله بن طاهر يتميز بالذكاء⁽¹⁴⁾، وكان شجاعاً مهيباً عاقلاً جواداً كريماً⁽¹⁵⁾، كما تربى في أسرة

مثقفة، أورثته صفات النجابة والذكاء⁽¹⁶⁾ وأولى المهام التي ولاها المأمون لعبد الله بن طاهر حرب نصر بن شبث، وكان عمره آنذاك خمساً وعشرين سنة؛ وهذا يدل على اعتماد المأمون عليه منذ شبابه، وأنه أهل للقيادة والسياسة؛ كما كان لتربيته أثرٌ كبير في توليته بعض المهام القيادية في مراحل مبكرة من حياته.

ثقافته وعلومه:

كان عبد الله بن طاهر كثير العلم، واسع الثقافة، وما ذكره المؤرخون عنه يدل دلالة واضحة على غزارة علمه، وسعة ثقافته واطلاعه، وكان له نصيب من سائر الفنون؛ ونجد من ترجم له كشاعر، وكأديب، وكخبير بالحديث، قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء: «تأدب، وتفقه، وسمع من وكيع، ويحيى ابن الزريس، والمأمون، وروى عنه ابن راهويه، ونصر بن زياد، والفضل بن محمد الشعراني، وعدة، وله يد في النظم والنثر»⁽¹⁷⁾. ولا عجب في ذلك، فقد درس عبد الله بن طاهر العلوم المختلفة على أيدي كبار العلماء في ذلك العصر، وحظي بمكانة خاصة في الأدب وعلوم الحديث⁽¹⁸⁾، وكان من بين مؤيديه عيينة بن عبد الرحمن المعروف بأبي المنهال النحوي اللغوي⁽¹⁹⁾، وذكر أن عبد الله كانت له عناية بعلوم الأوائل مما كان يشغل به المعتزلة⁽²⁰⁾، وقيل: إنه روى الحديث عن أبيه طاهر عن عبد الله بن المبارك⁽²¹⁾، وللخليفة المأمون الدور الأكبر في تأديبه، حيث كان يحله محل ولده⁽²²⁾، وقال عنه: إنه غرس يدي، وخريج أدبي، عندما سأل أصحابه ذات يوم: هل تعرفون رجلاً برع بنفسه حتى مد أهله، وبرز على جميع أهل دهره في نزاهة نفسه، وحسن سيرته وكرمه؟ فذكروا له أناساً عدة، وكان يقصد عبد الله بن طاهر⁽²³⁾، وقرأ عبد الله أيضاً العلم والفقه⁽²⁴⁾، كان أدب الناس، وأعلمهم بأيام العرب⁽²⁵⁾، كما كان بارع الأدب⁽²⁶⁾، كان يشجع العلماء على التأليف، ويجزل لهم العطاء، مما يدل على أن الثقافة في ذلك العصر - رغم تنوعها وازدهارها - إلا أن أبناء الخلفاء والأمراء والقادة كان لهم نصيب وافر منها، وكان يحذر من منع العلم عن طالبيه، ومن ذلك ما رواه عنه محمد بن يحيى النيسابوري بقوله: «سمعت عبد الله بن طاهر يقول: لا تمنعوا العلم طالبه أوحش جانباً من أن يستقر إلا عند أهله»⁽²⁷⁾، وهذا يدل دلالة واضحة على محبته العلم وأهله، والتحذير من منعه. وأما ما حكى عنه بأنه كان يقول بقول المعتزلة فهذا لا برهان عليه، فالروايات تدل على أنه من أهل السنة والجماعة، وأنه كان يُشَنع على أهل البدع المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة، ومن ذلك تشنيعه على المرجئة، القائلين بأن الإيمان لا يزيد

ولا ينقص، حتى روي عن أحمد بن سعيد الرباطي قال: «قال لي عبد الله بن طاهر: يا أحمد، إنكم تبغضون هؤلاء القوم جملة، وأنا أبغضهم عن معرفة، وإن أول أمرهم أنهم لا يرون للسلطان طاعة، والثاني ليس للإيمان عندهم قدر، والله لا أستجيز أن أقول إيماني كإيمان يحيى بن يحيى، ولا كإيمان أحمد بن حنبل، وهم يقولون: إيماننا كإيمان جبريل وميكائيل»⁽²⁸⁾، فهذا يدل على أنه من أهل الاتباع والمعرفة ونبذ التقليد، ومن ناحية أخرى أنه كان على مذهب إمام أهل السنة والجماعة، أحمد بن حنبل، رحمهم الله جميعاً. وقد قال عنه ابن خلكان: كان عبد الله أديباً ظريفاً جيد الغناء، نُسب إليه صاحب «الأغاني» أصواتاً كثيرة، أحسن فيها، ونقلها أهل الصنعة عنه، وله شعر مليح، ورسائل ظريفة، فمن شعره قوله⁽²⁹⁾:

نحن قوم تَلِينُنَا الجَدُّ النُّجْـ	لُ على أننا نلین الحـديدا
طوع أيدي الظباء تفتادنا العيـ	نُ ونقتاد بالطعان الأسودا
نملك الصيد ثم تملكنا البيـ	ضُ المصوناتُ أعيناً وخدودا
تتقي سخطنا الأسود ونخشى	سُخْطَ الخشف حين يُبدي الصُّدودا
فترانا يوم الكريهة أحرا	راً وفي السلم للغواني عبيداً

مهامه السياسية ومناصبه الإدارية:

تولى عبد الله بن طاهر مناصب عدة خلال عهدي الخليفة المأمون وأخيه المعتصم، ألا وهي ولاية الرقة، والجزيرة وولاية مصر، والشام، وبعض الولايات بالمشرق، ومن أهمها خراسان، كما تولى منصب الشرطة، ويقول واصفاً سعة نفوذه، ومعدداً ما جمع له المأمون من الولاية: «لي خاتمُ بفرغانة، وآخر ببرقة»⁽³⁰⁾، وحكمي وأمري ونهبي جائز بين هذين الطرفين، وقد جُمع لي من العمل ما لم يُجمع لأحد قط من ولاية المشرق والمغرب والشرطة»⁽³¹⁾، ويمكننا أن نستعرض هذه الولايات فيما يلي:

ولايته على الرقة والجزيرة:

كلف الخليفة المأمون عبد الله بن طاهر بولاية الرقة، ويذكر اليعقوبي أنه «صير إليه جميع أهلها، وقد أمره بمحاربة المتغلبين، وذلك في سنة (206 هـ — 821 م)⁽³²⁾، وأرسل إليه والده وصية، واعتبرت من أهم الوصايا التي رسمت له طريق النجاح في مرحلة مبكرة.

كما ولّى الخليفة المأمون عبد الله بن طاهر ولاية الجزيرة، والهدف من ذلك القضاء على فتنة نصر ابن شيبث سنة (209 هـ — 823 م)⁽³³⁾. وينتمي نصر بن شيبث هذا إلى العنصر العربي من بني عقيل، ومن أنصار الخليفة

الأمين، وقد ثار عندما قتل الأمين، وانتابه الغضب الشديد عندما رأى أن معظم القواد من العنصر غير العربي، فخرج عن طاعة الخليفة المأمون سنة (199هـ—814م)⁽³⁴⁾، وسيطر على شرق نهر الفرات، وقلعة كيسوم لمدة سنين، وكان يسكن بكسوم شمال حلب⁽³⁵⁾، وكان أول من توجه إليه من الطاهريين للقضاء عليه طاهر بن الحسين، لكنه لم ينجح، فأمر الخليفة المأمون ابنه عبد الله بن طاهر بتولي هذه المهمة لثقت به، فقام بتضييق الخناق عليه، وحاصر كسيوم بعدما تحصن نصر خلف أسوارها المنيعة، إلا أن عبد الله قام بنصب المجانيق وآلات الحصار حول المدينة. واستمر في حربه خمس سنين⁽³⁶⁾، فاضطر نصر لطلب الصلح، فأرسل عبد الله إليه كتاب أمان جاء فيه: «أمير المؤمنين يختم كتابه بشهادة ألا إله إلا الله ... وضمانه لك في دينه وذمته الصفح، عن سوائف جرائمك، ومتقدمات جرائمك، وإنزالك ما تستأهل من منازل العز والرفعة، إن أتيت إن شاء الله»⁽³⁷⁾. وفي يوم الثلاثاء السابع من صفر سنة (210هـ—825م) وصل نصر بن شيبث إلى بغداد، وطلب الأمان⁽³⁸⁾، فأجابته المأمون، وأنزله مدينة المنصورة⁽³⁹⁾ بعد أن أعلن توبته وندمه على ما فعل⁽⁴⁰⁾، وقد احتفى بنصر- وهو ماضٍ إلى بغداد، خاضعاً للخليفة- احتفاء عظيمًا، وبعد هذا الانتصار أرسل المأمون عبد الله ومعه محمد بن الحسين بن مصعب إلى بغداد، حيث قاموا بتدمير قلعة كيسوم⁽⁴¹⁾.

ولايته على أرمينيا وأذربيجان:

ولى الخليفة المأمون عبد الله بن طاهر كور الجبال، وأرمينيا، وأذربيجان⁽⁴²⁾، وكان الدافع لذلك القضاء على ثورة بابك الخرمي⁽⁴³⁾، والتي بدأت سنة (200هـ—815م) في خلافة المأمون⁽⁴⁴⁾، واستغل بابك الأوضاع المتردية في أذربيجان وأرمينية، وذلك بسبب إعلان واليها حاتم بن هرثمة العصيان بعد مقتل والده هرثمة بن أعين⁽⁴⁵⁾ في حضرة الخليفة المأمون في مرو؛ ولذا أعلن بابك ثورته في هذه الأوضاع⁽⁴⁶⁾.

كان لا بد من القضاء على هذه الحركة، فأرسل الخليفة المأمون عبد الله بن طاهر لحرب بابك، ومضى عبد الله إلى هذه الحرب بعد أن منحه المأمون ولاية أذربيجان، وكانت جبال أذربيجان وأران مهد الحركة البابكية، وكان مركزها في البنذ⁽⁴⁷⁾، حيث استطاع بابك أن يؤلف جيشاً كبيراً حارب به الدولة العباسية خلال تلك الفترة، وكان سبب نجاحه في الحروب أن من كان معه أعرف بجبال المنطقة، حيث كانوا يقومون بتضييق الخناق على أعدائهم وهزيمتهم⁽⁴⁸⁾. وقد حاول بابك تقوية مركزه بالوسائل السياسية، فيذكر اليعقوبي أنه استطاع أن يقنع عصمت الكردي (صاحب مرند وأمير بعض

القبائل الكردية في أذربيجان) حتى دخل في طاعة بابك⁽⁴⁹⁾، وسعى لاستمالة الأرمن فلم ينجح إلا مع فئة صغيرة منهم في مقاطعة سيونيا، والتي انضمت إليه، ووثقت الروابط معه بزواجه من ابنة أميرهم⁽⁵⁰⁾. وكاد جيش عبد الله أن يلحق الهزيمة بجيش بابك، ولكن بابك - بعد أن تحقق من الهزيمة - لجأ إلى حصون منيعة في جبال أذربيجان، وصعب على جيش ابن طاهر ملاحقته والقضاء عليه، ورغم أن عبد الله بن طاهر ضرب الحصار على بابك، لكن صعوبة الجبال، ووصول خبر وفاة أخيه طلحة سنة (213هـ — 828م)؛ دفعاً به إلى أن يتراجع عن مواصلة الحصار، وينسحب عائداً إلى بلاده، وخاصة بعد أن بلغته أنباء ظهور فتنة الخوارج في خراسان؛ مما جعل ثورة بابك تستمر أكثر من عشرين سنة⁽⁵¹⁾. وقد انتهت هذه الحركة في عهد الخليفة المعتصم بعد أن أسند مهمة القضاء عليها لقائده الأفشين فعقد له المعتصم الولاية على الجبال، ووجهه بالقضاء على بابك، سنة (220هـ — 835م)، وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة⁽⁵²⁾، حيث استطاع القضاء على بابك وأتباعه سنة (222هـ — 836)⁽⁵³⁾، وقد أشار المسعودي في كتابه مروج الذهب إلى خطر هذه الحركة فقال: «وَحُمِلَ رَأْسُ بَابِكِ إِلَى خِرَاسَانَ، وَيَطَافُ بِهِ كُلُّ مَدِينَةٍ مِنْ مَدَنِيهَا وَكُورِهَا، لَمَّا فِي نَفُوسِ النَّاسِ مِنْ اسْتِفْحَالِ أَمْرِهِ، وَعِظَمِ شَأْنِهِ، وَكَثْرَةِ جُنُودِهِ، وَإِشْرَافِهِ عَلَى إِزَالَةِ مَلِكِهِ، وَقَلْبِ أُمَّةٍ وَتَبْدِيلِهَا»⁽⁵⁴⁾، وأمر المعتصم بقطع رأسه وصلبه، وقد قتل من الخرمية نحو ألف شخص⁽⁵⁵⁾، حيث كان الهدف من قتاله هو القضاء على مذهبه، وتعاليمه الفاسدة لنظم الإسلام.

ولايته على طبرستان:

من الولايات التي تولى عليها عبد الله بن طاهر ولاية طبرستان، حيث تم تكليفه بمهمة القضاء على ثورة المازيار بها⁽⁵⁶⁾، وهو رجلٌ من أحفاد سوخرا (أحد أمراء الدولة الساسانية)⁽⁵⁷⁾، ارتد عن الإسلام إلى المزدكية⁽⁵⁸⁾، ويعُدُّ من رؤساء الأعاجم، أخرجته شهریار بن شيرويه من طبرستان، فالتجأ إلى المأمون، وتسمى بمحمد، وفي سنة (210هـ — 825م) مات شهریار، فرجع مازيار إلى طبرستان⁽⁵⁹⁾، ثم ولاه المأمون عليها وعلى ورويان⁽⁶⁰⁾ ودنباوند⁽⁶¹⁾. فما لبث أن خلع المأمون، ودعا لنفسه، واستطاع المازيار أن ينفرد بحكم خراسان بعد أن تخلص من منافسيه، وقتل أبناء عمومته، واحتال على أبناء شرويين، وقتل منهم الكثير، و حارب أيضاً الديلم، وأخضعهم لنفوذه⁽⁶²⁾، لكن المازيار خلع الطاعة في سنة (224هـ — 838م)، واستخف بالمسلمين والإسلام، وزاد من خطورة الأمر أن المازيار اعتنق المزدكية⁽⁶³⁾، وقام

بتوجيه أخيه قوهيار إلى مدينة طميس فخربها، وخرَّب سورها، واستباح أهلها، فهرب منهم من هرب، وبلي منهم من بلي، واشتدت فتنته في عهد المعتصم؛ حيث كان منافساً لآل طاهر، وقد قيل: إن الأفشين قد شجعه على الخروج، لكن الأفشين أنكر ذلك، وصدقه المازيار عندما كانا في الحبس بعد هزيمته⁽⁶⁴⁾. وكانت بين المازيار وبين عبد الله بن طاهر عداوة شديدة؛ مما دفع المازيار إلى رفض إرسال خراج طبرستان إلى خزانة الدولة الطاهرية في خراسان⁽⁶⁵⁾، وكان قبل ذلك يقوم بإرسالها إلى الخليفة المعتصم قبل تولي عبدالله بن طاهر ولاية طبرستان، وبعد تولي عبدالله أمره بإرسالها إليه⁽⁶⁶⁾، لكنه كان يرفض تسليمها إلا إلى الخليفة، ومن ثم يقوم الخليفة بإرسالها إلى عبدالله بن طاهر بعد أن يتسلمها من أصحاب المازيار في همذان، ولم يكتف بذلك من الامتناع عن دفع الخراج للطاهريين، بل طالبهم بإعادة الأموال، وأن يدفعوا له الخراج، فكتب المعتصم إلى عبدالله بن طاهر يأمره بمحاربة المازيار⁽⁶⁷⁾، وكتب الأفشين إلى المازيار يحرضه على قتال عبد الله، وكانت نية الأفشين في ذلك أن يعهد إليه المعتصم بمحاربة المازيار، وأنه أجدر من عبد الله بن طاهر بخراسان⁽⁶⁸⁾. ويذكر الطبري أنَّ المازيار دعا الناس إلى مبايعته، فبايعوه كرهًا، وأخذ منهم الرهائن، فحبسهم في برج الأصهبذ⁽⁶⁹⁾، وقام على أصحاب الضياع، وانتهب أموالهم، وأمر المازيار بالتنكيل بالعرب وأبنائهم، وأمر بحبسهم بمرور⁽⁷⁰⁾. ويذكر الدوري أنَّ «ثورة المازيار كانت حركة فارسية سياسية، تهدف إلى التخلص من سلطان العرب، واتخذت المذهب الخرمي شعارها، لتضم قوى الطبقات العامة ضد سلطان بني العباس»⁽⁷¹⁾. وكان المازيار يكتب لبابك ويحرضه، ويعدّه بمناصرتة⁽⁷²⁾، وذكر البلاذري أنَّ المازيار كفر وغدر⁽⁷³⁾، وكانت نهايته سنة (225هـ — 839م)، حيث قام عبد الله بن طاهر بتوجيه عمه الحسن بن الحسين بن مصعب لمحاربته، وضمَّ إليه جيشاً كبيراً، ووجه المعتصم من قبله محمد بن إبراهيم بن مصعب في جمع كثيف آخر، وضمَّ إليه القائد الحسن بن قاري الطبري، ووجه منصور بن الحسن صاحب دناوند إلى مدينة الري؛ ليدخل طبرستان من ناحية الري، وقد أحاطت هذه الجنود بطبرستان من كل جانب، وهزمت جنود المازيار؛ فانهارت قواه عندما رأى الجيوش تحيط به، وأن أتباعه قد تخلوا عنه، ووثق بأمان قوهيار له، وكان الطاهريون قد قاموا باستمالته على أن يسلمهم المازيار مقابل أن يحصل على ملك طبرستان، وبالفعل قام قوهيار بتسليم المازيار إلى الطاهريين، وكان الطاهريون عند وعدهم لقوهيار؛ فولَّوه حكم طبرستان، لكنه لم يمكث طويلاً، فقد قتله بعض خاصة أخيه، فتولاها عبد الله بن

طاهر⁽⁷⁴⁾ وكان المازيار قد سلّمه قوهيار إلى حسن بن الحسين، ثم تسلمه عبد الله بن طاهر ووجهه إلى سامراء في شوال، وأمرهم بتسليم المازيار وأهل بيته إلى محمد بن إبراهيم، وقد أمر بحمله على فيل، لكن رفض المازيار أن يركب الفيل، فأُدخل على بغل إلى المعتصم، فجلس في دار العامة لخمس ليال خلون من ذي القعدة، وأمر الخليفة فجمع بينه وبين الأفشين الذي كان محبوساً قبل ذلك بيوم، فأقر المازيار أن الأفشين كان يكتبه ويحرضه على العصيان على عبد الله بن طاهر، فأمر برد الأفشين إلى محبسه، وأمر بضرب المازيار، ف ضرب أربعمئة وخمسين سوطاً؛ فمات من ألم السياط⁽⁷⁵⁾، و صلب بجانب بابك⁽⁷⁶⁾، وقد تثبت المعتصم من صدق كل ما بلغه عن الأفشين، واطلع على كل الكتب التي أرسلها أخو الأفشين إلى المازيار، وقد اعترف المازيار بهذا الأمر، أما الأفشين فقد غضب عليه المعتصم، فحبسه كما ذكرنا، ومات في محبسه، وذلك في شعبان سنة (226هـ — 840م)، و صلب على باب العامة ليراه الناس⁽⁷⁷⁾. وهكذا يتبين لنا الدور الكبير الذي قام به عبد الله بن طاهر في كشف المكاتبات السرية بين الأفشين والمازيار أمام الخليفة المعتصم، والتي حرّضه فيها على الخروج والعصيان، ودوره الكبير أيضاً في القضاء على هذه الفتنة، والتي كادت تعصف بالدولة الطاهرية والخلافة العباسية، وبهذا أصبح الطاهريون أول من حكم طبرستان كلّها، سهولها وجبالها، من غير حكامها المحليين بعد الإسلام، وقد استمرت تحت حكمهم حتى غلب عليها الحسن بن زيد العلوي سنة (250هـ — 864م)⁽⁷⁸⁾.

ولاية عبد الله بن طاهر على مصر والشام:

توالت نجاحات عبد الله بن طاهر، وثبتت قدمه في القضاء على الفتن والقلقل، وعلا شأنه عند العباسيين، كيف لا؟ وقد فرغ من الجزيرة، وظفر بـ (نصر بن شيبث)، وأبلى بلاءً حسناً في بلاد الشام، حيث نجح هناك في إخضاع رؤساء القبائل العربية، والعشائر، والصعاليك⁽⁷⁹⁾، والزواquil⁽⁸⁰⁾، وقام بهدم حصون المعرة⁽⁸¹⁾، وأعطى الأمان للرعية، كما نظر في مصالح الناس، ووضع عنهم الخراج، فلم يبق أحد إلا وقد نظر إليه⁽⁸²⁾، كما اهتم بحال العلماء، ثم استخلف صدقة بن عثمان المري على دمشق⁽⁸³⁾، وهنا أدرك المأمون جدارة عبد الله بن طاهر بولاية مصر، إضافة إلى بلاد الشام، فولاه إياها⁽⁸⁴⁾، ويذكر أن المأمون قد استشار طاهر فيمن يوليه مصر، فأشار بولده عبد الله⁽⁸⁵⁾؛ حيث قال لعبد الله بن طاهر: «قد استخرت الله تعالى منذ شهر، وقد رأيت أن الرجل يصف ابنه ليطريه ويرفعه، وقد رأيتك فوق ما وصفك أبوك». وكانت بمصر بعض الثورات المشتعلة، ومنها ثورة عبيد الله

بن السري، وذلك أن عبيد الله قد حدثته نفسه بالاستقلال بحكم مصر⁽⁸⁶⁾، فلم يعد يرسل الخراج إلى الخلافة⁽⁸⁷⁾، فوجّه المأمون عبد الله بن طاهر لقتال عبيد الله بن السري، وتهدئة الأحوال في الإسكندرية، فخرج من العراق بجيوشه حتى اقترب من مصر، وقد استقبله علي بن الجروي⁽⁸⁸⁾ استقبالا حسنا، وانضم إليه، وقدم إليه الأموال⁽⁸⁹⁾، وكان عبيد الله بن السري يستعد لقتال عبد الله بن طاهر، والتقى الطرفان خارج مصر، وانتهى الأمر بانتصار عبد الله بن طاهر، وهروب عبيد الله بن السري إلى صعيد مصر، وتحصنه هناك، فضيق عليه الخناق حتى طلب الأمان بشروط، فأمنه عبد الله، وتوجه إلى المأمون، حيث أعطى عبد الله بن طاهر عشرة آلاف درهم⁽⁹⁰⁾، وعفا عنه⁽⁹¹⁾، وهنا ظهرت حكمة عبد الله بن طاهر في حسن معاملته لـ عبيد الله بن السري، فقد استرضاه بولاية الصعيد شهرين، ثم سيره إلى العراق؛ وذلك لكي يحقن دماء المسلمين، وذكر اليعقوبي في تاريخه أن عبد الله بن طاهر قد اشتبك مع عبيد الله بن السري في بعض الأحيان، حتى جعل أصحاب عبيد الله يستأمنون شيئا بعد شيء، حتى لم يبق معه ممن كان يعتمد عليه أحد، فلما رأى عبيد الله ذلك طلب الأمان، على أن يسوِّغ له ما أخذ، ويُطلق له جباية الصعيد شهرين، فأجابته إلى ذلك، وأعطاه الأمان، وقال: «لو شرط أن أضع له خدي في الأرض يطأ عليه لفعلت، وكان ذلك قليلاً عندي في جنب ما أوثره من حقن الدماء»، وكان ذلك في صفر سنة (211هـ—826م)⁽⁹²⁾. وبعد ذلك توجه عبد الله بن طاهر إلى الإسكندرية لحل مشكلة الربضيين⁽⁹³⁾، حيث أرادوا الاستيلاء عليها أثناء فترة حكم عبد الله بن السري⁽⁹⁴⁾ (أخو عبيد الله بن السري)، حيث توجهوا إلى مدينة الإسكندرية بأمر من الأمير الأموي الحكم بن هشام، وكانوا قد نشطوا في الفترة التي اشتدت فيها الفتنة بين الأمين والمأمون، وأرادوا استغلال الفرصة في منازعة الخلافة العباسية. وبعدها أرسل المأمون عبد الله بن طاهر، فتوجه عبد الله إلى الإسكندرية التي اعتصم بها الربضيون، فحاصره لمدة أسبوعين، فطلبوا الصلح، وقد وافق عليه بشرط خروجهم من الإسكندرية، فقبلوا بذلك، وتوجهوا إلى جزيرة كريت تحت قيادة زعيمهم أبي حفص عمر بن عيسى البلوطي⁽⁹⁵⁾، وقد استطاعوا الاستيلاء على جزيرة كريت (إقريطش)⁽⁹⁶⁾، وتخليصها من الحكم البيزنطي، ولما أخمدت الفتنة في مصر، وبلغ المأمون الخبر، كتب إلى عبد الله يهنئه بذلك⁽⁹⁷⁾، وقد رجع عبد الله بن طاهر من الإسكندرية، واستخلف عليها إلياس بن أسد بن سامان⁽⁹⁸⁾، وكان فتحها سنة (210هـ—825م)⁽⁹⁹⁾، ثم توجه إلى الفسطاط بعد حوالي أربعة أشهر، وقد ولاه الخليفة المأمون خراجها سنة، وقد صعد عبد

الله المنبر ولم ينزل حتى فرّق جميع ذلك ⁽¹⁰⁰⁾. وعندما قضى على الفوضى التي كانت سائدة في بلاد مصر، استجابت له الرعية بالطاعة، وراح الشعراء يمدحون فضائله وسياسته ⁽¹⁰¹⁾ ولا خلاف بين المؤرخين في شدة ولاء عبد الله بن طاهر للدولة العباسية، واعترافه بالفضل للخلفاء العباسيين، إذ لم يُظهر أي بوادر تدل على خلاف ذلك، وقد حاول أحد إخوة المأمون ⁽¹⁰²⁾. تحذيره من ميول عبد الله بن طاهر إلى العلوية أثناء وجوده في مصر ⁽¹⁰³⁾، فأرسل إليه رجلاً من خاصته؛ ليعرف مدى ولاءه، وأمره أن يرغبه في البيعة لأحد العلويين وهو القاسم بن إبراهيم بن طباطبا ⁽¹⁰⁴⁾، فتوجه الرجل إلى عبد الله بن طاهر ⁽¹⁰⁵⁾ يرغبه في بيعة القاسم، ولكن عبد الله نهره، وأبدى اعتراضه على ذلك قائلاً ⁽¹⁰⁶⁾: «تَجِيءُ إِلَيَّ وَأَنَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الَّتِي تَرَى، لِي خَاتَمٌ فِي الْمَشْرِقِ جَائِزٌ، وَفِي الْمَغْرِبِ، وَفِيمَا بَيْنَهُمَا أَمْرٌ مَطَاعٌ، وَقَوْلِي مَقْبُولٌ، ثُمَّ مَا أَلْتَفَتَ يَمِينِي وَلَا شِمَالِي وَوَرَائِي أَوْ قَدَامِي إِلَّا رَأَيْتَ نِعْمَةً لِرَجُلٍ أَنْعَمَهَا عَلَيَّ، وَمِنْهَا خَتَمٌ بِهَا رَقَبَتِي ... تَفَضَّلَا وَكْرَمَا، وَتَدْعُونِي إِلَى الْكُفْرِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ وَهَذَا الْإِحْسَانِ، وَتَقُولُ: أَغْدُرُ بِمَنْ كَانَ أَوْلَى لِهَذَا! وَأَسْعَى فِي إِزَالَةِ خِيَطِ عُنُقِهِ، وَسَفَكِ دَمَهُ!...إِلَخ»، فعاد الرسول إلى بغداد، وأبلغ المأمون بما دار بينه وبين عبد الله، فاطمأن المأمون من جهته، وأبدى سروره من موقفه ⁽¹⁰⁷⁾. وقام عبد الله بن طاهر بأعمال جليلة في فترة ولايته لمصر، حيث ضبط الأمور فيها، ونظم إدارتها ⁽¹⁰⁸⁾، وعادت بفضل جهوده ولاية خاضعة للخلافة بعد أن سادت فيها المشاكل، وقد أقره الخليفة المأمون عبد الله بن طاهر والياً عليها. ومن أعماله في مصر أنه ولّى عيسى بن المنكدر القضاء، وأمر بتوسيع مسجد عمرو بن العاص إلى الضعف، ثم استخلف على مصر عيسى بن يزيد الجلودي ⁽¹⁰⁹⁾، وعلى الخراج سهل بن أحمد، وعين ابن المنكدر قاضياً ⁽¹¹⁰⁾، واستحدث زراعة البطيخ العلوي، فنسب إليه، وقيل: إنه أحضر زراعته معه من خراسان ⁽¹¹¹⁾، وبعد أن استقرت الأحوال في مصر، توجه إلى العراق في رجب سنة (212هـ — 827م)، حيث قضى فيها سبعة عشر شهراً وعشرة أيام ⁽¹¹²⁾، وانتهت مهمته فيها وولايته عليها خير قيام، حتى ولّى المأمون أخاه المعتصم في سنة (213هـ — 828م) عليها ⁽¹¹³⁾، وكانت أعمال عبد الله بن طاهر في مصر وقضاؤه على الفتن فيها خير دليل على ولاء آل طاهر للخلافة العباسية. وكما أن المأمون قد قلده مصر أيضاً قلده ولاية المغرب ⁽¹¹⁴⁾، حيث يُذكر أن عبد الله قدم من المغرب إلى مدينة السلام في سنة (211هـ — 826م)، فاستقبله العباس بن المأمون، وأبو إسحق المعتصم، وعامة الناس، وقد قدم هو ومن تغلب معه على الشام كابن السرج، وابن الجمل، وابن أبي الصفر ⁽¹¹⁵⁾

ولايته على خراسان:

بعد وفاة طلحة بن طاهر في سنة (214هـ — 829م) أرسل المأمون إسحق بن إبراهيم والقاضي يحيى بن أكثم إلى عبد الله بن طاهر، فقاما بتعزيته في وفاة أخيه⁽¹¹⁶⁾، وتخيره بين ولاية خراسان، أو الجبال، أو أرمينية، أو أذربيجان، فاختار خراسان⁽¹¹⁷⁾، وكان عبد الله بن طاهر يقيم بالدينور⁽¹¹⁸⁾، فامتثل لما أمر به الخليفة، وأشار عليه بنذب علي بن هشام لمحاربة بابك⁽¹¹⁹⁾، وكان سبب توليته خراسان هجوم الخوارج على أهل قرية الحمراء بنيسابور⁽¹²⁰⁾، واستفحال أمرهم بقتل وسبي الكثير من أهلها، خاصة النساء والأطفال⁽¹²¹⁾، وقد تضايق المأمون لذلك، وقرر إسناد أمور خراسان إلى عبد الله بن طاهر؛ مما يدل على أهميتها عنده، وعند عبد الله بن طاهر، وقد تقدم والياً عليها وذلك بموافقة الخليفة المأمون، فأعطاه المأمون خمسمائة ألف دينار؛ ليستعين بها على نفقاته حتى تستقر أمور ولايته⁽¹²²⁾. وأبدى عبد الله إخلاصه للخلافة، وحسن تدبيره وتفانيه في خدمة المأمون، وذلك بنجاحه في القضاء على الفتن التي هددت الخليفة عقب عودته إلى بغداد؛ مما جعل المأمون يثق فيه، ويأمن إلى ولايته، وبذلك ازداد نفوذ الطاهريين، واتسعت إمارتهم بتولي عبد الله بن طاهر حكم خراسان عام (214هـ — 829م)⁽¹²³⁾، وكافأه المأمون على ولائه له بأن أضاف إليه الري، وكرمان، والأراضي التي تقع شرقي خراسان، وأثبت عبد الله بن طاهر للخليفة المعتصم كفاءته في إدارة أمور خراسان، فاستطاع توطيد أركان الإمارة الطاهرية في فترة ولايته التي استمرت حتى أوائل عهد الخليفة الواثق⁽¹²⁴⁾، فعمر الأربطة بخراسان⁽¹²⁵⁾، وعنى بشعبها، وقام على مصالحهم، ونشر التعليم بين الطبقات الدنيا، ورفع الظلم بصفة عامة عن الرعية⁽¹²⁶⁾، والواقع أن عبد الله بن طاهر لم يحاول الانفصال عن الخلافة العباسية، فكان منازلاً للعباسيين لما قدموه لأسرته من خدمات⁽¹²⁷⁾؛ وتعاون معهم في إخماد ثورة محمد بن القاسم العلوي الذي ثار بخراسان عام (219هـ — 834م)⁽¹²⁸⁾، وقدّر المعتصم للطاهريين بصفة عامة، ولعبد الله بن طاهر بصفة خاصة، الجهود التي بذلها في سبيل معاونته الخلافة، واتضح ذلك في حديثه لإسحق بن إبراهيم عندما أبدى استياءه من الأتراك، وندمه على منحهم السلطات الواسعة بقوله: «نظرت إلى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة ... واصطنعت أنا أربعة لم يفلح أحد منهم، فقال له إسحق: ومن الذين اصطنعهم أخوك؟ قال: طاهر بن الحسين فقد رأيت وسمعت، وعبد الله بن طاهر فهو الرجل الذي لم يُر مثله، وأنت، فأنت والله لا يعتاض السلطان منك أبداً، وأخوك محمد بن إبراهيم، وأين مثل

محمد»⁽¹²⁹⁾. وحكم عبد الله بن طاهر خراسان مدة أربع عشرة سنة، استقرت فيها أمور البلاد، حيث يُعدُّ عهدُه العهدَ الذهبي للدولة الطاهرية، وقد ذكر اليعقوبي أنه «حكم خراسان كما لم يحكمها أحد مثله»⁽¹³⁰⁾.

ولاية الشرطة:

وفي العصر العباسي تم تخصيص ديوان جديد للشرطة⁽¹³¹⁾، وكان موقع الشرطة الرئيس في بغداد بالقرب من باب الجسر الذي يربط بين شطري المدينة⁽¹³²⁾، أما في خراسان فمقر الشرطة بالقرب من المسجد الجامع في مدينة مرو⁽¹³³⁾، ويحتوي (دار الشرطة) على حجرة أو حجرات يبيت فيها بعض رجال الشرطة في ليالٍ معلومة⁽¹³⁴⁾، كما خصص بها سجنًا خاصًا يودع فيه بعض السجناء، وهو السجن المعروف «بسجن الشرطة»، ومجلس الشرطة يمارس فيه صاحب الشرطة بعضًا من أعماله، ومنها: تلقي الشكاوى، والقيام بالاستجابات، والمحاكمات، وتنفيذ الأحكام والعقوبات المختلفة⁽¹³⁵⁾، ومن ذلك ما يُروى عن صلب كل من بابك الخرمي والمازيار بسامراء على العقبة التي بحضرة مجلس الشرطة⁽¹³⁶⁾، وتنفيذ العقوبات من أهم الأعمال التي تكلف بها الشرطة، مثل إقامة الحدود، كما لجأ الفقهاء إلى إضافة عقوبة طويلة الأمد، ألا وهي عقوبة السجن التي ظهرت بسبب تطور المجتمع الإسلامي، وأول ظهورها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، لكنها نظمت في عهد الأمويين، وكان لها ديوان يشرف عليها⁽¹³⁷⁾. و (خليفة صاحب الشرطة) من أهم رجال الشرطة في العصر العباسي الأول، فكان بمنزلة الرجل الثاني في ديوان الشرطة⁽¹³⁸⁾، ودعت الضرورة إلى وجود هذا المنصب لعدة أسباب، من أهمها: عظم المسؤولية الملقاة على عاتق صاحب الشرطة؛ ولذلك كان يلجأ صاحب الشرطة إلى تعيين شخص يثق في خبرته وكفاءته وموالاته له، كخليفة أو نائب له، ونجد الخليفة يعين المأمون عبد الله بن طاهر قائدًا لشرطة بغداد (عاصمة الخلافة)، نيابة عن أبيه طاهر بن الحسين، بعدما أثبت جدارة عسكرية في حروبه وفتوحاته⁽¹³⁹⁾. وتعاقب أمراء الدولة الطاهرية على منصب صاحب الشرطة، وتولى بعضهم منصب شرطة بغداد وسامراء، ومكثوا في منصب شرطة بغداد بعد سقوط دولتهم في المشرق الإسلامي⁽¹⁴⁰⁾، وفي سنة (206هـ — 821م) ولَّى عبد الله بن طاهر إسحق بن إبراهيم المصعبي هذا المنصب، وجعله خليفته على ما كان والده قد استخلف فيه من الشرط وأعمال بغداد، وظل يلي الشرطة منذ سنة (206هـ — 821م)⁽¹⁴¹⁾ إلى وفاته سنة (235هـ — 849م)⁽¹⁴²⁾، واستمر والياً لشرطة خلال عصر أربعة من خلفاء الدولة العباسية (المأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل)⁽¹⁴³⁾ وإن دل ذلك

على شيء، فإنما يدل على الكفاءة الشرطية التي تمتع بها نائب عبد الله بن طاهر إسحق بن إبراهيم، وعلى الثقة الكبيرة التي أولتها الدولة العباسية للطاهريين، وعندما تولى المعتصم الخلافة سنة (218هـ - 833م) أقر إسحق على نيابته عن منصب عبد الله بن طاهر⁽¹⁴⁴⁾.

اشتهرت عدة وظائف داخل ديوان الشرطة، منها: كاتب الشرطة، ورسول صاحب الشرطة، وحاجبه، وخادمه، ويُعدُّ كاتب الشرطة بمنزلة الساعد الأيمن لصاحب الشرطة، وبخاصة عند عقد مجالس الشرطة للتحقيق والفصل، وكان هو المسؤول عن تدوين وإعداد كل الكتابات التي تتعلق بالنواحي الأمنية، وأهمها مايرفعه في المنازعات صاحب الشرطة إلى الخليفة العباسي أو الوالي⁽¹⁴⁵⁾. ومهمة الشرطة حفظ الأمن والنظام، وتتبع من يثيرون الشغب في بغداد وسامراء، وللشرطة وسائل عديدة لمكافحة ذلك، ومنها الرقابة على الأماكن المشبوهة كالخانات، والمقاهي، والحمامات، وأماكن الشراب واللهو⁽¹⁴⁶⁾، والرقابة على الأشخاص الخطرين على الأمن كالغرباء، والمشايخين، والمنحرفين، والمشبهين، وأصحاب البدع، والمخالفين، وتعمل تحت سلطة الشرطة شبكة من العيون والجواسيس، مهمتها جمع المعلومات عن الأماكن والأشخاص؛ تحسباً لوقوع الجرائم، أو لمنع حدوثها، ومما يروى عن استخدام الشرطة للتجسس في عملها ويؤكدده، أنه جاء أحد الرجال إلى صاحب الشرطة الشهير إسحق المصعبي، وحدثه بشأن امرأة من أهله، فحدثه إسحق عن المرأة وأحوالها، حتى بُهت الرجلُ منه⁽¹⁴⁷⁾، ومن الوسائل أيضاً التفتيش، للتأكد من صحة الشبهات المثارة حول شخص ما، ومن الوسائل أيضاً الدوريات الليلية، كان يقوم بها العسس، وهي من الوسائل الأساسية التي امتازت بها الشرطة في الحضارة الإسلامية، ومن أعمال الشرطة رصد الطرق المؤدية إلى البلاد، ومراقبة التجارة، وشاركت الشرطة في محنة خلق القرآن سنة (218هـ - 833م)، عندما أرسل الخليفة المأمون إلى إسحق المصعبي (نائب عبد الله بن طاهر على الشرطة) يأمره بامتحان القضاة، والفقهاء، والمحدثين في قضية خلق القرآن⁽¹⁴⁸⁾. وإقامة الحدود فقد أولاهما الطاهريون عناية كبيرة، وذكر طاهر بن الحسين في وصيته المشهورة قائلاً: «أقم حدودَ الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه، ولا تعطل ذلك، ولا تتهاون به»⁽¹⁴⁹⁾، ومن أشهر الحوادث التي قامت بها الشرطة، قتلَ وصلبَ بابك الخرمي، وصلبَ أخيه عبد الله في بغداد، ومن الحدود الشهيرة؛ وممن شهَّر به بابك الخرمي، حيث طافت به الشرطة في شوارع مدينة سامراء قبل قتله⁽¹⁵⁰⁾، وقيام إسحق المصعبي بقطع أيدي بعض الكتاب الذين مارسوا عمل التزوير⁽¹⁵¹⁾، وقامت

الشرطة بالنفي، والمصادرة، وتطبيق عقوبة الحبس في السجون، وممن سُجِن في المقصورة بعضُ كتاب صاحب الشرطة عبد الله بن طاهر، بعد أن غضب عليهم⁽¹⁵²⁾، ومن أشهر السجون الفوقية السجن الذي بناه المعتصم للأفشين، وهو بناء شبيه بالمنارة، وقد عرف هذا المكان بسجن الأفشين⁽¹⁵³⁾ والسجون الجوفية، ومن صفتها أنها ضيقة، وسجن فيها محمد بن القاسم، حيث كانت مساحته ثلاثة أذرع في ذراعين أيام المعتصم⁽¹⁵⁴⁾. وبقي عبد الله بن طاهر في منصب صاحب الشرطة حتى توفي، وبعد وفاته ولَّى الخليفة العباسي (الواثق بالله) ابنه طاهرًا على جميع أعمال أبيه⁽¹⁵⁵⁾.

هذا يبين لنا أن عبد الله بن طاهر قام بخدمة الدولة العباسية خير قيام، وذلك من خلال بعض المناصب التي تولاها، والوظائف والمهام التي أدّاها، وكان له دورٌ كبيرٌ في حمايتها، والحفاظ على كيائها، من الأخطار التي أحاطت بها، ومن الفتن والقلقل التي أهدقت بها.

وفاته:

توفي عبد الله بن طاهر في نيسابور يوم الأربعاء العاشر من شهر ربيع الآخر سنة (230هـ - 844م)⁽¹⁵⁶⁾، وعمره عندما توفي ثمانية وأربعون عاماً⁽¹⁵⁷⁾، قال الذهبي: «مات بالخانوق، سنة ثلاثين ومائتين، وله ثمان وأربعون سنة»⁽¹⁵⁸⁾، وكان خراج ما تحت يده ثمانية وأربعين ألف ألف درهم، فولَّى الخليفة الواثق ابنه طاهر، ويذكر ابن عساكر أن آثار عبد الله بن طاهر باقية، وقال محمد بن عبد الله بن منصور لما بلغه موت عبد الله بن طاهر:

هيهات لا يأتي الزمانُ بمثله، إنَّ الزمانَ بمثله لبخيلٌ⁽¹⁵⁹⁾

واتسع سلطان دولة عبد الله بن طاهر في خراسان، وأعمالها، وفي الري، وطبرستان، وما اتصل بهما، وكرمان⁽¹⁶⁰⁾، واستقر ملكه فيها، وعزز هذا الاستقرار ابنه طاهرًا الذي خلف والده في ولاية خراسان⁽¹⁶¹⁾، بفضل قوة نفوذ أبيه ومهارته السياسية.

الخاتمة :

مما سبق عمل البحث على تقديم صورة واضحة عن حياة عبد الله بن طاهر في ظل الخلافة العباسية، من خلال تتبع مولده ونسبه ونشأته والمهام التي قام بها والمناصب التي تتقلدها تقلدها، وقد وضح بأنه قد تقلد العديد من المناصب في مختلف مناطق الدولة العباسية، الأمر الذي يدل على قدرته الكبيرة على إنجاز المهام بالصورة المثلى.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة لعدد من النتائج من أهمها:

- اتضح لنا أن نشأة عبد الله بن طاهر في بيئة حربية ساعدت في بناء شخصيته.
- تطورت التنظيمات الإدارية في خراسان على عهد عبد الله بن طاهر تطوراً كبيراً.
- كان لثقافة الأمير عبد الله بن طاهر الأثر الأبرز في اهتمامه بالتنظيمات الإدارية ، حيثما حلّ أميراً والياً سواء في خراسان أو في غيرها من الولايات.

توصيات الدراسة :

من توصيات الدراسة :

- عمل العديد من البحوث والدراسات حول أدوار الشخصيات ومكانتهم على غرار شخصية عبد الله بن طاهر.

المصادر والمراجع:

- (1) - ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل الزكار، دمشق، 1408هـ، 1988م.
- (2) - ابن النديم، محمد بن إسحق: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، (د، ت).
- (3) - المكي، عبد الله: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ، 1997م.
- (4) - اليعقوبي، أحمد: البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت)؛ تاريخ اليعقوبي، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت 1431هـ، 2010م.
- (5) - التنوخي: المستجد من فعلات الأجواد، تحقيق محمد كرد علي، دار صادر، بيروت، 1992م.
- (6) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ، 1997م.
- (7) - ابن العماد، شهاب الدين: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق، 1408هـ، 1988م.
- (8) - ابن تغري، يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ، 1992م.
- (9) - ابن حبيب: المحبر، مطبعة جمعية دار المعارف، حيدر آباد، 1361هـ، 1942م.
- (10) - ابن حوقل، أبو قاسم: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1412هـ، 1992م.
- (11) - ابن خلكان، شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، 1398هـ، 1978م.
- (12) - ابن طيفور، أحمد: كتاب بغداد، صححه السيد عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1368هـ، 1949م.
- (13) - ابن عساكر، علي: تاريخ دمشق، تحقيق عمر العموري، دار الفكر، بيروت، 1415هـ، 1995م.
- (14) - ابن قتيبة، عبد الله: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، ط4، (د، ت).
- (15) - ابن كثير، عماد الدين: البداية والنهاية، دار الهجر للطباعة، 1419هـ، 1998م.
- (16) - ابن مسكويه، أحمد: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت).
- (17) - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د، ت)، ج9،
- (18) - ابن وهب، إسحق: البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفني شرف، مطبعة الرسالة، بيروت.

- (19) - الأصفهاني، أبو فرج: سني ملوك الأرض والأنبياء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د،ت)؛
- (20) - الأصفهاني، عماد الدين: البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، المكتبة العصرية، بيروت، تحقيق عمر تدمري، 1423هـ، 2002م،
- (21) - البلاذري: فتوح البلدان، مؤسسة المعارف، بيروت، 1407هـ، 1987م، ص347.
- (22) - التنوخي: الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار الصادر، بيروت، 1398هـ، 1978م، ج4؛ نشوار الحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، 1971م، ج2،
- (23) - الثعالبي، عبد الملك: خاص الخاص، شرحه: مأمون بن محي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ، 1994م،
- (24) - الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، (د،ت)،
- (25) - الحموي، ياقوت: معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م؛ - معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ، 1977م.
- (26) - الدواداري، أبو بكر: كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة السنية في أخبار الدولة السنية)، بيروت، 1413هـ، 1992م،
- (27) - الذهبي: شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1424هـ، 2003م،
- (28) - الذهبي، الحافظ: العبر في أخبار من غُبر، دار الكتب العربية، بيروت، تحقيق: محمد السعيد (د.ت)؛ سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: محمد نعيم، 1417هـ، 1996م؛
- (29) - السمعاني، عبد الكريم: الأنساب، دار الكتاب، بيروت، 1408هـ، 1988م.
- (30) - السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، 1384هـ، 1965م،
- (31) - الصابي: الهفوات النادرة، تحقيق صالح الأشر. مجمع اللغة العربية، دمشق. 1967م، ص192.
- (32) - الصفدي: أمراء دمشق، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1403، 1983هـ،
- (33) - الصفدي، صلاح الدين: الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1420هـ، 2000م؛
- (34) - الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، مصر، (د،ت).
- (35) - القفطي: جمال الدين: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406هـ، 1986م.

- (36) - الكتبي، محمد: عيون التواريخ، دار الثقافة، بيروت، 1416 هـ، 1996 م.
- (37) - الكرديزي، عبد الحي: زين الأخبار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006 م.
- (38) - الكندي، محمد: كتاب الولاة والقضاة، مطبعة اليسوعيين، بيروت، 1908 م.
- (39) - مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مكتبة المثنى، بغداد، 1871 م.
- (40) - المسعودي، أبو الحسن بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت 1425 هـ، 2005 م.
- (41) - المقدسي، شمس الدين: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، 1909 م.
- (42) - المقرئزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار. مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، (د، ت)، ج3،
- (43) - النويري، شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت).
- (44) **المراجع:**
- (45) - أكبري، أمير: تاريخ حكومة الطاهريين من البداية إلى النهاية، مؤسسة الأبحاث الإسلامية، طهران، 1387 م.
- (46) - بندي: من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام. الاتحاد العام للكتاب، ط2، 1981
- (47) - حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ج1 القاهرة، 1416 هـ، 1996 م.
- (48) - حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ج1 القاهرة، 1416 هـ، 1996 م.
- (49) - الدوري: العصر العباسي الأول، دار الطليعة، بيروت.
- (50) - رفاعي، أحمد: عصر المأمون، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1346 هـ، 1927 هـ.
- (51) - الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار الملايين، بيروت، 1421 هـ، 2002 م.
- (52) - عزام، خالد: موسوعة التاريخ الإسلامي، (العصر العباسي)، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009 م.
- (53) - القوسي، عطية: الحضارة الإسلامية، ص40: النبراوي، فتحية: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية،
- (54) - ماجد، عبد المنعم: العصر العباسي الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،

1976م، ج1؛ تاريخ الحضارة الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،
1973م،

(55) الرسائل العلمية:

(56) — الكعبي، منجي: الدولة الطاهرية في خراسان والعراق، مركز النشر
الجامعي، تونس، 2005م، أطروحة دكتوراه مقدمة لجامعة السريون،
باريس، 1971م.

المصادر والمراجع:

- (1) ابن عساكر، علي: تاريخ دمشق، تحقيق عمر العموري، دار الفكر، بيروت، 1415هـ-1995م، ج29، ص217.
- (2) ابن عساكر: المصدر نفسه، ج29، ص219.
- (3) ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ-1992م، ج1، ص208.
- (4) الصفدي: الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1420هـ، 2000م، ج17، ص117.
- (5) ابن خلكان: وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، 1398هـ، 1978م، ج3، ص88؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: محمد نعيم، 1417 هـ-1996م، ج10، ص685؛ ابن كثير: البداية والنهاية، دار الهجر للطباعة، 1419هـ، 1998م، ص14، ص307؛ ابن العماد: شذرات الذهب، دار ابن كثير، دمشق، 1408هـ، 1988م، ج3، ص137؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، دار الكتب العربية، بيروت، تحقيق: محمد السعيد (د.ت): ج1 ص319؛ الأعلام، الزركلي، دار الملايين، بيروت، 1421هـ، 2002م، ج4، ص93.
- (6) الصفدي: المصدر نفسه، ص116؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص83.
- (7) أكبري: تاريخ حكومة الطاهريين، مؤسسة الأبحاث الإسلامية، طهران، 1387م، ص173.
- (8) أكبري: المصدر نفسه، ص174.
- (9) الذهبي: تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ص601.
- (10) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص373.
- (11) المهلب أبو المنهال اللغوي، قال عنه الحاكم: صاحب العربية، تلميذ الخليل، أدب عبد الله بن طاهر، وورد معه نيسابور، ومات بها، وله: كتاب النوادر، وكتاب الشعر. انظر: السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، 1384هـ، 1965م، ج2، ص239.
- (12) وكيع ابن الجراح أبو سفيان الرؤاسي الكوفي، الإمام الحافظ، أحد الأعلام، توفي سنة 197هـ. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج9، ص141.
- (13) ابن يسار القاضي، الإمام الحافظ، قاضي الري، أبو زكريا البجلي، توفي سنة (203هـ). انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج9، ص499، 500، ج10، ص684؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1424هـ، 2003م، ج17، ص117.
- (14) الدوري: العصر العباسي الأول، دار الطليعة، بيروت، ص169.

- (15) الياضي: مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتر من حوادث الزمان، ص 74؛ الصفي: الوافي بالوفيات، ص 117.
- ابن كثير: البداية والنهاية، ص 163؛ ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ص 137.
- (16) أكبري: تاريخ حكومة الطاهريين من البداية إلى النهاية، ص 65.
- (17) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 10، ص 684.
- (18) أكبري: تاريخ حكومة الطاهريين من البداية إلى النهاية، ص 170.
- (19) القفطي: جمال الدين: إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج 2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1406هـ، 1986م، ص 384.
- (20) الكعبي: الدولة الطاهرية في خراسان والعراق، مركز النشر الجامعي، تونس، 2005م، أطروحة دكتوراة مقدمة لجامعة السربون، باريس، 1971م. ص 419.
- (21) ابن طيفور: تاريخ بغداد، صححه السيد عزت العطار، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1368هـ، 1949م. ص 55.
- (22) الكعبي: المصدر نفسه، ص 372.
- (23) ابن طيفور: بغداد، ص 92.
- (24) الصفي، صلاح الدين: الوافي بالوفيات. ج 17، ص 117؛ الذهبي: شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1424هـ، 2003م، ص 601.
- (25) ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ص 65.
- (26) الذهبي: تاريخ الإسلام، ص 601.
- (27) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 29، ص 219.
- (28) ابن عساكر: المصدر نفسه، ج 29، ص 219.
- (29) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 3، ص 85.
- (30) بفتح أوله والقاف: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وإفريقية. انظر. الحموي: معجم البلدان، ج 1، ص 388.
- (31) ابن طيفور: كتاب بغداد، ص 81.
- (32) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص 412.
- (33) ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ص 46.
- (34) أكبري: تاريخ حكومة الطاهريين، ص 175.
- (35) قرية مستطيلة من أعمال سميساط، وبها سوق ودكاكين وافرة، وبها حصن كبير على القلعة. انظر: الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ، 1977م. ج 4، ص 497.

- (36) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص600.
- (37) ابن طيفور: بغداد، ص140؛ الطبري، المصدر نفسه، ج10، ص268.
- (38) ابن مسكويه : تجارب الأمم وتعاقب الهمم، دار الكتب العلمية. بيروت، (د،ت)، ص395.
- (39) مدينة المنصورة: مدينة بقرب القيروان من نواحي إفريقية. انظر. الحموي: معجم البلدان، ج5، ص211؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ص210، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، مصر، (د،ت)، ص602.
- (40) الطبري: المصدر نفسه، ج8، ص601.
- (41) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت 1431هـ، 2010م. ج2، ص416.
- (42) اليعقوبي: المصدر نفسه، ج2، ص421.
- (43) الخرمي هذه الطائفة ترجع إلى الطائفة الباطنية الخرمينية، وهم قوم يدينون بما يدينون ويشتهون، وقد لقبوا بذلك؛ لإباحتهم المحرمات من الخمر، وسائر اللذات، ونكاح ذات المحارم، وفعل ما يتلذذون به، فما شبهوا في هذه الإباحة إلا بالمزدكية من المجوس الذين خرجوا في أيام قباز، وأباحوا النساء، وأباحوا سائر المحرمات». انظر: السمعاني، عبد الكريم: الأنساب، دار الكتاب، بيروت، 1408هـ، 1988م، ص243.
- (44) ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ، ص5.
- (45) هرثمة بن أعين، وُلِّيَ مملكة خراسان للرشيد، وكان من رجال الدهر ورؤوس الدولة، توفي سنة (201هـ). انظر. الذهبي: تاريخ الإسلام، ص212.
- (46) عزام، خالد: موسوعة التاريخ الإسلامي، (العصر العباسي)، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009م، ص142.
- (47) كورة من أذربيجان وأران، انظر. الحموي: معجم البلدان، ج1، ص361.
- (48) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المكتبة العصرية، بيروت 1425هـ، 2005م. ج4، ص55، 59.
- (49) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص433.
- (50) سيونيا مقاطعة صغيرة تقع في ارمينيا جوزي، بندي: من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام. الاتحاد العام للكتاب، ط2، 1981م من ص82.
- (51) المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص46، 47.
- (52) الافشين: حيدر بن كاوس قائد تركي من كبار قواد الخليفة المعتصم. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص11.
- (53) المسعودي: مروج الذهب في أخبار من ذهب، ج4، ص47.
- (54) المسعودي: المصدر نفسه، ص48.

- (55) اليافعي: مرآة الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ، 1997م. ج2، ص60، 62.
- (56) وهي لرجل يدعى المازيار بن قارن بن بندار هرمس المسعودي، المصدر نفسه، ص50؛ ابن العماد، شهاب الدين: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ص108.
- (57) أكبري: تاريخ حكومة الطاهريين من البداية والنهاية، ص194.
- (58) وذلك أيام الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب. انظر: ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، (د، ت). ص108.
- (59) كان إقليم طبرستان يسمى مازندران، وهي البلاد السهلية الجبلية الواقعة بجوار خراسان، والممتدة إلى بحر قزوين حتى بلاد الديلم. انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1412هـ، 1992م. ص318-326.
- (60) بضم أوله، وسكون ثاني، مدينة كبيرة من جبال طبرستان وكورة واسعة، وهي أكبر مدينة في جبال هناك. انظر: الحموي: معجم البلدان، ج3، ص104.
- (61) هي جبل من نواحي الري. انظر: الحموي: معجم البلدان، ص475.
- (62) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص80-84.
- (63) ابن النديم: الفهرست، ص479-480.
- (64) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص306.
- (65) الطبري: المصدر نفسه، ج9، ص80.
- (66) ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص297.
- (67) أكبري: تاريخ حكومة الطاهريين من البداية إلى النهاية، ص196.
- (68) الطبري: المصدر نفسه، ج9، ص80، 81؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ، 1997م. ج6، ص495؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص289؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم. ج6، ص503؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج2، ص240.
- (69) برج الاصهبذ وهي لغة لكل من ملك طبرستان وهي مدينة في بلاد الديلم كان يسكنها ملك تلك الناحية، وبينها وبين البحر ميلان انظر. الحموي: معجم البلدان ج1، ص210؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص81؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج6، ص503.
- (70) الطبري: المصدر نفسه، ج9، ص83، 84.
- (71) الدوري: عبد العزيز: العصر العباسي الأول، ص189.
- (72) الطبري: المصدر نفسه، ج9، ص81.
- (73) البلاذري: فتوح البلدان، مؤسسة المعارف، بيروت، 1407هـ، 1987م، ص347.
- (74) قيل إن: القوهيار هو ابن عم المازيار أو أخوه. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص98.

- (75) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص103، 104؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ. ص510؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص289، 292؛ الكريزي، عبد الحي: زين الأخبار، ص199؛ المسعودي: مروج الذهب، ص50.
- (76) الكتبي، محمد: عيون التواريخ، دار الثقافة، بيروت، 1416هـ، 1996م، ص117.
- (77) ماجد، عبد المنعم: العصر العباسي الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976م، ج1، ص413، 416.
- (78) الكريزي: زين الأخبار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006م، ص201.
- (79) الصعاليك جماعة من المشردين واللصوص. انظر. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص434.
- (80) الزواقل وهم قوم بالجزيرة العربية قد خرجوا عن طاعة الخلافة العباسية. انظر. ابن قتيبة: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، ط4، (د، ت)، ص390؛ اليعقوبي: المصدر نفسه، ج2، ص417.
- (81) الأصفهاني، عماد الدين: البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، المكتبة العصرية، بيروت، تحقيق عمر تدمري، 1423هـ، 2002م، ص169.
- (82) اليعقوبي: المصدر نفسه، ج2، ص417؛ الكندي، المصدر نفسه، ص180.
- (83) الصفدي: أمراء دمشق، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1403، 1983هـ، ص44؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج24، ص28.
- (84) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص610.
- (85) الدواداري، أبو بكر: كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة السنية في أخبار الدولة السنية)، بيروت، 1413هـ، 1992م، ص189.
- (86) ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2، ص181.
- (87) حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، مكتبة النهضة المصرية، ج1 القاهرة، 1416هـ، 1996م، ج2، ص202.
- (88) أحد القادة الشجعان بمصر حارب عبيد الله بن السري أمير مصر وهزمه، ثم أصطلاحا، ولي تنيس والحواف، أخرجه عبد الله بن طاهر إلى العراق، ثم عاد به الافشين إلى مصر مقابل أمواله، فلم يدفع له فقتله الافشين سنة (215هـ - 830م) هـ. انظر. الزركلي: الاعلام، ج4، ص300.
- (89) الكندي، محمد: كتاب الولاة والقضاة، مطبعة اليسوعيين، بيروت، 1908م، ص180.
- (90) الكندي: المصدر نفسه، ص182.
- (91) مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مكتبة المثني، بغداد، 1871م، ج3، ص369؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة، ص182.

- (92) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص 417.
- (93) وهُم سكان حي الربض ناحية قرطبة الجنوبية ببلاد الأندلس، والذين نفاهم الحكم بن هشام بعد وقعة الربض بقرطبة، وكان عددهم حوالي (ثلاثة آلاف). انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 8، ص 613؛ اليعقوبي: اليعقوبي، ج 2، ص 417.
- (94) عبد الله بن السري هو عبد الله بن السري بن الحكم بن يوسف، ولي إمارة مصر بعد موت أخيه محمد بن السري، وبايعه الجند سنة (206هـ). انظر: ابن تغري: النجوم الزاهرة، ص 227.
- (95) أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسي المعروف بالأقريطشي الذي نزل جزيرة أقريطش وأفتتح حصناً منها. انظر: الحموي. انظر: معجم البلدان، ج 1، ص 236.
- (96) «أقريطش»، اسم جزيرة في بحر المغرب يقابلها من بر أفريقية، وهي جزيرة كبيرة فيها مدن وقرى وينسب إليها جماعة من العلماء. انظر: الحموي: المصدر نفسه، ج 1، ص 236؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، 1421هـ، 2000 م ص 317.
- (97) رفاعي: عصر المأمون، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1346هـ، 1927هـ، ص 279.
- (98) وكان إلياس عاملاً على هرات من قبل غسان بن عباد، ومن قبل طاهر بن الحسين. انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 418؛ المقرئ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، (د، ت)، ج 3، ص 185؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص 184.
- (99) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 1995م، ص 218.
- (100) بن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ص 242.
- (101) قال الشاعر معلى الطائي يمدح عبد الله بن طاهر: يا أعظم الناس عفواً عند مقدرة وأظلم الناس عند الجود للمال. انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 29، ص 224.
- (102) كان المحذر للمأمون أخيه المعتصم لأنه كان لا يميل إلى عبد الله بن طاهر. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5، ص 484.
- (103) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ص 615؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5، ص 483؛ مجهول: العيون والحداثق، ص 369، 370.
- (104) محمد بن إبراهيم بن أسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو المعروف بابن طباطبا، خرج بالكوفة يدعو إلى الرضا من أبناء علي. انظر: النويري: نهاية الأرب، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت)، ج 22، ص 190.
- (105) - الطبري: المصدر نفسه، ج 8، ص 615؛ 616.

- (106) الطبري: المصدر نفسه، ص616؛ ابن الأثير: المصدر نفسه، ج5، ص483.
- (107) الطبري: المصدر نفسه، ج8، ص616.
- (108) الكندي: كتاب الولاة والقضاة، ص183، 184؛ الطبري: المصدر نفسه، ج8، ص615، 618؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص417، 418.
- (109) عيسى بن يزيد الجلودي: من ولاة الدولة العباسية، ناب عن عبد الله بن طاهر في مصر، وقد أقره المأمون على الإمارة، وحين اشتدت ثورة أهل الحوف عزله المعتصم، توفي بعد سنة (214هـ). انظر: ابن تغري: النجوم الزاهرة، ص204.
- (110) 110 - الدواداري، أبو بكر: كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة السننية في أخبار الدولة العباسية)، ص193.
- (111) 111 - الدواداري: المصدر نفسه، ص189؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ص307؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ص88؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ص603.
- (112) 112 - الكندي: تاريخ الولاة والقضاة، ص183، 184.
- (113) 113 - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص620؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص423.
- (114) 114 - ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج29، ص217.
- (115) الطبري: المصدر نفسه، ج8، ص618؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج10، ص235؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص485؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج3، ص406؛ الأصفهاني: سني ملوك الأرض والأنبياء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د،ت)؛ ص174.
- (116) ابن خلكان: المصدر نفسه، ج3، ص84.
- (117) ابن الجوزي: المصدر نفسه، ج10، ص262؛ الطبري: المصدر نفسه، ج9، ص622؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج3، ص412.
- (118) مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين، ينسب إليها خلق كثير، وهي كثيرة الثمار والزروع، ولها مياه، وينسب إليها كثير من أهل الأدب والحديث. انظر: الحموي: معجم البلدان، ج2، ص545.
- (119) 119 - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص622.
- (120) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج6، ص158؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج2، ص271.
- (121) ابن الأثير: المصدر نفسه، ص152.
- (122) اليافعي: مرآة الجنان، ج2، ص44.
- (123) الطبري: المصدر نفسه، ج8، ص622؛ ابن الأثير: المصدر نفسه، ج5، ص492.
- (124) الطبري: المصدر نفسه، ج9، ص131؛ الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض، ص146.

- (125) ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج2، ص200.
- (126) حيث وقع إلى عمال له شكاهم الرعية بقوله: «قد قدمت إليكم الأعدار، واحتجبت إليكم الإنذار، وليت العتاب بالغاً ما أردت، ولقد هممت بأن أجعل معاتبتني لكم معاقبة، فانتبهوا من سنتكم، وانظروا لأنفسكم، وأحسنوا، بالأكرة، فإن الله تعالى جعل أيديهم لنا طعاماً، وألستهم سلاماً، وظلمهم حراماً، وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون». انظر. الثعالبي، عبد الملك: خاص الخاص، شرحه: مأمون بن محي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ، 1994م، ص133.
- (127) ابن طيفور: كتاب بغداد، ص93.
- (128) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص7، 8.
- (129) الطبري: المصدر نفسه، ج9، ص122.
- (130) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص442.
- (131) والشرطة لغوياً مأخوذة من شرط، أي ذوي علامة، وربما لوضع القائمين بها علامة يعرفون بها، فكان الذي يقوم بها يسمى عادة صاحب الشرطة، وأحياناً والياً، وتطلق هاتان الكلمتان على كثير من الموظفين المسلمين الكبار. انظر. ماجد، عبد المنعم: تاريخ الحضارة الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1973م، ص57. ابن وهب، إسحق: البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفني شرف، مطبعة الرسالة، بيروت، ص326.
- (132) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص16.
- (133) المقدسي: أحسن التقاسيم، دار صادر، بيروت، 1909م، ص311.
- (134) الصابي: الهفوات النادرة، تحقيق صالح الأشتر. مجمع اللغة العربية، دمشق. 1967م، ص192.
- (135) التنوخي: نشوار الحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، 1971م، ج2، ص246.
- (136) البلاذري: فتوح البلدان، ص475؛ الحموي: معجم البلدان، ج4، ص16.
- (137) عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الاول، ص58، 59.
- (138) الكندي: الولاة والقضاة، ص122. والخليفة هو كل من خلف شخصاً، أي حل محله، أو قام مقامه. انظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د، ت)، ج9، ص83.
- (139) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص455.
- (140) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج9، ص549؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص417.
- (141) الطبري: المصدر نفسه، ج8، ص592.
- (142) الطبري: المصدر نفسه، ج9، ص181؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص344.
- (143) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل الزكار، دمشق، 1408هـ، 1988م، ج3، ص1411.
- (144) ابن حبيب: المحبر، مطبعة جمعية دار المعارف، حيدر آباد، 1361هـ، 1942م،

- ص376.
- (145) ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، ص326.
- (146) القوصي، عطية: الحضارة الإسلامية، ص40؛ النبراوي، فتحية: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص121.
- (147) الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، (د، ت)، ص168، 169.
- (148) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص631.
- (149) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص584؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص367.
- (150) الطبري: المصدر نفسه، ج9، ص53.
- (151) التنوخي: الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار الصادر، بيروت، 1398هـ، 1978م، ج4، ص83.
- (152) التنوخي: المستجاد من فعلات الأجواد، تحقيق محمد كرد علي، دار صادر، بيروت، 1992م، ص232.
- (153) الطبري: المصدر نفسه، ج9، ص106.
- (154) المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص52.
- (155) الطبري: المصدر نفسه، ج9، ص131.
- (156) الأصفهاني، حمزة: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص174؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ص306؛ 307؛ الكتبي، محمد: عيون التواريخ، ص149؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ص240؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ص131.
- (157) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج29، ص241.
- (158) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص685. والخانوق هو مرض يصيب الحنجرة. انظر: ابن عساكر: المصدر نفسه، ج29، ص240.
- (159) ابن عساكر: المصدر نفسه، ص241-242.
- (160) الطبري: المصدر نفسه، ص131.
- (161) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص480.

الهجرات العربية وأثرها على التركيبة السكانية في دول البحر الأحمر

أ. مساعد - قسم التاريخ - كلية الآداب -
جامعة الفاشر

د. حليلة عبد الرحمن بكر صندل

المستخلص:

ترجع تاريخ الهجرات البشرية بين دول البحر الأحمر إلى عصور موعلة في القدم سبقت ظهور الإسلام بفترات طويلة وحتى وقت قريب، حيث كان لهذه الهجرات أثرها الكبير في التركيبة السكانية لكل دول حوض البحر الأحمر، فالعوامل الجغرافية والانثروبولوجية والبيئية والسياسية والاقتصادية قد سهلت ومهدت لهذه الهجرات في فترات متباعدة، وقد هدفت هذه الورقة إلى تسليط الضوء على تلك الهجرات وأثارها على مر العصور. وترجع أهمية الورقة إلى إبراز دور هذه الهجرات وأهميتها وأثرها على الجوانب الاجتماعية والثقافية بين دول حوض البحر الأحمر خصوصاً في المراكز التجارية والموانئ البحرية التي تعتبر أماكن تمرکز وانطلاق هذه الهجرات. والمنهج المتبع في هذه الورقة هو المنهج التحليلي الوصفي في سرد وتحليل وتفسير الأحداث ومقارنتها ونقدها للوصول إلى حقائق.

Abstract:

The immigration of human beings dated back between Red Sea countries to olden ages, precedes the appearance of Islam in long periods up to nearest time. These immigrations have great influence on inhabitant structure of all Red Sea countries, the geographical factors, anthropological, environmental, political and economical factors simplified and previewed for these immigrations in course of time. This study aimed to shed light on immigrations and its impact through ages. This study is important for headed to the role of these immigrations, its significance and effect on sociological and cultural sides, between the Red Sea countries, specially in trade centers which considered starting point and focusing places. The study adopted analytical descriptive method to analyze and interpret dilemmas, compare and criticize them, reach to fact. The expected results of this study: reach to traces of immigrations of its all different dimensions and sides which have its role in present and future of these countries.

مقدمة:

الهجرة هي الانتقال الدائم لفرد أو مجموعة ما إلى مكان نائي أو التغيير الدائم لمكان السكن بواسطة فرد أو جماعة ما، أو الانتقال إلى بلد أجنبي من أجل العيش والاستقرار فيه، وقد تكون دوافع الهجرة سياسية أو اجتماعية أو العوامل الاقتصادية، وأكثر مسبباتها هي الحروب والمجاعات والكوارث أو لأسباب دينية، وتتعدد أنواع الهجرات منها بدائية ومنها قسرية أو طوعية حرة. فالهجرات العربية إلى إفريقيا قديمة قدم البشرية ويصعب تحديد علاقة العرب بإفريقيا لأن ذلك كان منذ أمد بعيد، وقد لعب البحر الأحمر دور الرابط الرئيسي والأساسي بين قارتي آسيا وإفريقيا منذ القدم، لأن معظم الهجرات البشرية التي خرجت من جزيرة العرب إلى السواحل الشرقية لإفريقيا، تمت عبر البحر الأحمر، لذلك لم تكن هناك عزلة بين القارتين على مر العصور، كما لم يكن البحر الأحمر حاجزاً يحول دون دخول هذه الهجرات إلى القارة الإفريقية في يوم من الأيام. وقد وصلت بعض الهجرات العربية حتى دول القرن الإفريقي وتجاوزتها جنوباً، كما وصلت إلى السودان ومصر وتوغلت داخل القارة الإفريقية وتجاوزتها إلى شمال وشرق وغرب ووسط القارة السمراء، حيث كان لهذه الهجرات أثر كبير في التركيبة السكانية لدول حوض البحر الأحمر وإفريقيا قاطبة، عندما امتزجت الدماء العربية بالدم الإفريقي الحامي ونتاجت عن ذلك أمم وشعوب وقبائل تجري في عروقها الدماء العربية، كما أن هؤلاء المهاجرين الجدد كانوا يحملون معهم الفكر والثقافة العربية إلى المجتمعات التي هاجروا إليها، لكنها رغم ذلك كانت هجرات صغيرة وفي فترات متباعدة قبل الإسلام، أما بعد مجيء الإسلام فقد ازدادت تلك الهجرات وصارت في شكل موجات وكانت أهدافها سياسية واجتماعية واقتصادية وأعمق أثراً من ذي قبل، خصوصاً في النواحي الثقافية والاجتماعية، فانتشرت بذلك اللغة العربية والدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية وسط المجتمعات الإفريقية، وقامت نتيجة لذلك دول وممالك إسلامية في شمال وغرب ووسط وشرق القارة الإفريقية، كان لها دورها الكبير في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية وسط الأفارقة، وبعد هجرة هذه المجموعات العربية إلى إفريقيا واستقرارهم بالسواحل الشرقية، ازدهرت تجارتهم فاستقروا وأسسوا إمارات عربية في شرق إفريقيا شهد بعظمتها وتحضرها الرحالة العرب والأجانب الذين زاروا هذه البقاع. ونسبة لهبوب الرياح الجنوبية الغربية التي تساعد في حركة السفن شمالاً والرياح العكسية الشمالية الشرقية التي تساعد في حركة السفن وحركة التجارة العالمية جنوباً عبر البحر الأحمر، قد أدى ذلك

إلى تسال مجموعة كبيرة هاجرت إلى الجزر الساحلية والموانئ التي تقع على الساحل الشرقي لإفريقيا، فصارت هذه المناطق مراكز تجارية مهمة استقرت فيها المجموعات العربية المهاجرة وفرضت عليها لغتها وثقافتها وحضاراتها واندمجت في المجموعة الأصلية، وقد هاجرت مجموعات عربية بعد الإسلام من شرق وجنوب شرق الجزيرة العربية واليمن إلى ساحل إفريقيا الشرقي، نتيجة للأحداث التاريخية التي مرت بها الدولة الإسلامية مما زادت من عدد المهاجرين العرب إلى السواحل الشرقية لإفريقيا، ونقلت إلى هذه البلاد الحضارة العربية الإسلامية التي أشاد بها الرحالة القدامى، وكان أهم مظاهرها انتشار اللغة السواحلية في السواحل الجنوبية الشرقية. ظل العرب بهذه السواحل حتى دخول الاستعمار الأوروبي الغربي إلى القارة الإفريقية في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وتذكر المصادر بأن المستعمرين توغلوا إلى داخل القارة فوصلوا حتى أعالي نهر الكونغو ومجاهل إفريقيا وأقاموا مستعمراتهم.

أهمية البحر الأحمر:

البحر الأحمر عبارة عن أخدود يفصل قارتي آسيا وإفريقيا وسمي البحر الأحمر حسب موقعه من السواحل والمدن والموانئ المطل عليها، فعرف ببحر القلزم وبحر أيله والبحر الحجازي وبحر النعام وبحر عيذاب والبحر الفرعوني وبحر جدة وبحر اليمن، أما تسميته بالبحر الأحمر فيرجع إلى اختصار اسمه القديم وهو بحر الملك الأحمر إلى الاسم الحالي البحر الأحمر⁽¹⁾. ونسبة لأهمية البحر الأحمر كمعبر مائي منذ أقدم العصور حيث كان يربط بلاد جنوب الجزيرة العربية ببلاد الهند والحبشة وسواحل إفريقيا الشرقية وآسيا والشرق الأدنى والشرق الأقصى، فصار معبراً للتجارة بين سواحل شرق وشمال شرق إفريقيا مع بلاد العرب، فكان البخور والعاج والأبنوس والعطور تنقل من بلاد الشرق إلى مصر الفرعونية لاستخدامها في المعابد وتحنيط الموتى في العصور القديمة، وفي بداية القرن الأول قبل الميلاد نشطت تجارة المعينيين والسبئيين عبر البحر الأحمر مع سواحل شرق إفريقيا ومصر وسوريا والدول الإغريقية، لكن ما لبثت تجارتهم أن تدهورت بسبب سيطرة البطالمة على تجارة البحر الأحمر فازدهرت حينها تجارة جنوب غرب الجزيرة العربية مع الحبشة عبر البحر الأحمر، لكن الرومان قضوا على تجارة الحبشة مع اليمن وسيطروا على البحر الأحمر واحتكروا تجارته وبذلك قضوا على القرصنة الحبشية التي صارت خطراً يهدد تجارة العرب⁽²⁾. وللبحر الأحمر أهمية اقتصادية عالمية لأنه أهم طرق المواصلات البحرية العالمية قديماً وحديثاً، وذلك للأهمية الاستراتيجية والسياسية بين الشرق والغرب، كما للأهمية الاقتصادية والعسكرية. فقط ربط البحر الأحمر بين السواحل الصومالية مع قلب القارة الإفريقية منذ أقدم العصور، كما ربط بين طرق الملاحة البحرية والبحر المتوسط ويعتبر

هذا الطريق قصر طريق للملاحة عبر المحيط الهندي، فريادة الملاحة البحرية قديماً ترجع للعرب والفراعنة والمصريين أما في عصور ما قبل التاريخ فكانت للفينيقيين وذلك لاكتشافهم للسواحل الإفريقية والبحار والمحيطات⁽³⁾، وهذا يعني أن البحر الأحمر يمثل همزة وصل بين البحار المفتوحة في المحيط الهندي والأطلنطي عبر البحر المتوسط وقناة السويس إضافة إلى تحكمه في مداخل ومخارج البحر المتوسط والخليج العربي والمحيط الهندي، وكل ذلك يرجع لأهمية البحر الأحمر الاستراتيجية لدول القرن الإفريقي وجعله محل اهتمام ومنافسة القوى الدولية⁽⁴⁾ وقد أدى ذلك إلى تسلسل مجموعة كبيرة هاجرت إلى الجزر الساحلية في مافيا وزنجبار وسفالة وكوة وممبسا ودار السلام وغيرها من الموانئ التي تقع على الساحل الشرقي لإفريقيا، فصارت هذه المناطق مراكز تجارية مهمة استقرت فيها المجموعات العربية المهاجرة وفرضت عليها لغتها وثقافتها وحضاراتها واندمجت في المجموعة الأصلية⁽⁵⁾، وقد وصف الرحالة الأوروبيون حضارة هذه المراكز بأنها تفوق الحضارات الأوروبية، وكانت لهذه المراكز حضارات شهد لها الرحالة العرب كذلك كابن بطوطة والمسعودي واليعقوبي⁽⁶⁾، كما وقد هاجرت مجموعات عربية بعد الإسلام من البحرين وعمان والإحساء وحضرموت واليمن إلى ساحل إفريقيا الشرقي نتيجة للأحداث التاريخية التي مرت بها الدولة الإسلامية مما زادت من عدد المهاجرين العرب إلى سوفيالا وكوة وزنجبارو مالندي وسواحل الحبشة والصومال وشرق السودان والصحراء الشرقية في مصر، ونقلت إلى هذه البلاد الحضارة العربية الإسلامية التي أشاد بها الرحالة العرب والأجانب على السواء، وكان أهم مظاهرها انتشار اللغة السواحلية في السواحل الجنوبية الشرقية (مزيج من اللغة العربية واللغات الإفريقية التي كانت سائدة بين سكان الساحل)، وظل العرب بهذه السواحل حتى دخول البرتغاليين إليها في نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي وتذكر المصادر بأنهم توغلوا إلى داخل القارة تحت الضغط البرتغالي فوصلوا حتى أعالي نهر الكنغو وأسسوا مملكة حميد بن محمد المرحي في وقت سيادة النفوذ العربي على هذه السواحل⁽⁷⁾.

الهجرات العربية عبر البحر الأحمر إلى ساحل إفريقيا الشرقي وأثرها:

نتيجة للهجرات البشرية المتباينة الاتجاهات في العصور القديمة تمازجت الأعراق والأجناس وإنصهرت فيما بينهما بدرجات متفاوتة وتشابكت السلالات والأجناس، فقد هاجرت المجموعات العربية من بلاد العرب في عصور موعلة في القدم إلى البلدان المجاورة بسبب الجفاف وجذب المراعي وكان نصيب القارة الإفريقية من هذه الهجرات أكبر، خصوصاً عبر الطريق البري إلى مصر والصحراء الشرقية المصرية والسودانية، وقد بلغت التأثيرات العربية الحميرية غرباً حتى بلاد المغرب، ويرجع سبب هذه العلاقات الإثنية القديمة إلى

التشابه العرقي واللغوي بين الشعوب الإفريقية التي تتحدث اللغات الحامية والشعوب الناطقة باللغات السامية كالعرب والأحباش، وقد أكد الباحثون أن المجموعتين عاشتا في مكان واحد وقد أثبتت الدراسات أن العرب هم أول الشعوب التي هاجرت إلى السواحل الشرقية للقارة الإفريقية. هذه السواحل المكشوفة أو المعرية، وسبب ذلك يرجع إلى سهولة الهجرة وعدم وجود عوائق تحول دون ذلك، سواء كان ذلك بغرض التجارة أو التعدين أو أسباب أخرى، وكان لحركة الرياح الشمالية الشرقية أثر كبير في حركة إبحار السفن والمراكب عبر البحر الأحمر إلى السواحل الإفريقية.⁽⁸⁾ وبعد الاضطرابات السياسية التي شهدتها العالم الإسلامي بعد الغزو المغولي في العام 1258م تضاءلت حركة السفن في الخليج العربي وازدادت أهمية الساحل الإفريقي خصوصاً منتجاتها وسلعها المطلوبة كالذهب والرقيق والعاج والحديد، كما أن السواحل الإفريقية استوعبت سلع الشرق لذلك ازدهرت تجارتها، لأن هذه السواحل تؤدي وظيفة مزدوجة لتفريغ البضائع القادمة من الشرق وشحن السلع الإفريقية لتصديرها إلى الأسواق الآسيوية، وهذا ربما يكون أحد أسباب انتقال الجاليات العربية إلى الساحل الإفريقي واستقرارها، ومما ساعد العرب في القيام بدور التجار الوسيطاء في تجارة إفريقيا مع بلاد العرب عبر المحيط الهندي في العصور الوسطى، فقر الساحل العربي من موارده الطبيعية والزراعية، لذلك استوطن كثير من العرب الساحل الإفريقي⁽⁹⁾. وأهم الهجرات هذه:

الهجرات بين الحبشة وبلاد العرب عبر البحر الأحمر:

كان غزو الأحباش لليمن في العام 523م بسبب حرق الأخدود أو اضطهاد اليهودية لنصارى نجران، فغزا الأحباش اليمن بتوجيه من قيصر الروم، وقد أدى ذلك إلى هجرة عكسية من السواحل الإفريقية إلى جنوب جزيرة العرب، فساد حكم الأحباش لليمن، واضطهادهم للمجموعات العربية فترة من الزمن، حتى ضعف النفوذ الحبشي بتدخل الفرس والقضاء على حكم الحبش في اليمن، فصارت بذلك اليمن ولاية فارسية حتى مجيء الإسلام، وقد أدى ذلك إلى هزيمة الأحباش وأسرهم وتقسيمهم على القبائل اليمنية مما زاد عدد الرقيق الأحباش في جزيرة العرب. كما أن هذه الهجرات العكسية تركت آثاراً سياسية واقتصادية وثقافية عميقة في المجتمعات التي دخلتها هذه الهجرات، حيث تم نقل بعض السمات الثقافية الحبشية الإفريقية إلى بلاد العرب خصوصاً في مجال الثقة والثقافة والتراث⁽¹⁰⁾ وكان معظم جنود مكة في الجاهلية من رقيق الحبشة وكانت قريش دوماً تستعين بالأحباش في حراسة قوافلها التجارية وكانت تسميهم العسكر، وكان شرق السودان آنذاك خاضعاً لحكم مملكة

أكسوم الحبشية، فرغم أنها لم تتمكن من السيطرة الكاملة على بلاد البجة إلا أنها حكمت حتى الجزء الجنوبي الغربي حتى سواكن الحالية⁽¹¹⁾ ازدادت الهجرات العربية إلى إفريقيا أكثر بعد مجيء الإسلام ثم صارت الحبشة أرض الهجرة قبل يثرب وكانت هجرة المسلمين الأوائل حيث هاجروا هجرتين في العام 610 ميلادية، فكانت الهجرة الأولى والثانية للمسلمين إلى ساحل إفريقيا الشرقي لمجاورة أصحمة النجاشي ملك الحبشة، كان عن طريق ميناء شعبية⁽¹²⁾ فظلوا آمنين في رعاية وعدل النجاشي ملك أكسوم الحبشية، ولم يعد المسلمون إلى بلادهم إلا بعد أربعة عشر عاماً في العام 629 وقد تأثروا بعادات وتقاليد وتراث الأحباش وخالطوهم⁽¹³⁾، فعلاوة على الدور الذي قام به بلال رضي الله عنه هناك مهجع الحبشي مولى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول شهيد في واقعة بدر ويسار ذلك المولى الحبشي الذي كان يتعهد المسجد النبوي بالنظافة والرعاية وهو من المبشرين، وأم أيمن حاضنته صلى الله عليه وسلم وجميع الموالى الأحباش الذين أكرمهم الإسلام⁽¹⁴⁾ وذلك لحبهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وإخلاصهم للإسلام، وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظلت الهجرات والعلاقات تتوالى بين بلاد العرب والحبشة عبر البحر الأحمر حتى عهد الخلفاء الراشدين وعهد الأمويين والعباسيين وكانت العلاقات بين الطرفين تسوء أحياناً وتحسن أحياناً أخرى⁽¹⁵⁾، فأصبح العرب يترددون أكثر إلى الحبشة بعد الهجرة الثانية وقويت علاقتهم بها وذكرت المصادر أن أول مسلم استقر بعد ذلك في الحبشة هو ود بن هاشم المخزومي في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه⁽¹⁶⁾

كما أن الأحداث السياسية في الدولة الإسلامية قد أدت إلى زيادة الهجرة إلى الحبشة والاستقرار بها لخصوبتها واعتدال مناخها وتنوع مواردها مما شجع المهاجرين إليها أكثر وكانت العلاقة بين الحبشة والدولة الإسلامية ودية فلم تكن الحبشة أرض حرب كما وصى النبي ﷺ بذلك، لكن الاحتكاك بين الطرفين بدأ في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب عندما تعرضت ميناء جدة لغارات الحبش فرد المسلمون ذلك العدوان بإرسال الخليفة عمر سرية من المسلمين في سنة 20هـ يقودها علقمة المدلجي⁽¹⁷⁾ وفي خلافة عبد الملك بن مروان اضطر المسلمون لاحتلال جزر دهلك في عام 83هـ بالقرب من مصوع لمراقبة تحرك الأحباش، وبذلك اشتهرت جزيرة دهلك كمركز لمراقبة الأحباش، وقد وجدت بها آثار عربية إسلامية تثبت الوجود العربي الإسلامي حيث هاجر العرب واستقروا بالسهول الساحلية المحيطة بأرض الحبشة تحولت المراكز التي أقامها المسلمون في السواحل الشرقية لإفريقيا إلى ممالك إسلامية أطلق

عليها اسم دول الطراز الإسلامي التي امتدت على طول الساحل الإفريقي من مصوع شمالاً إلى إقليم أوجادين جنوباً ومن رأس غور دفواي شرقاً إلى أطراف الحبشة في الغرب، وكانت لها دورها في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في شرق ووسط إفريقيا⁽¹⁸⁾.

الهجرات العربية إلى شرق السودان:

دخلت السودان الشرقي هجرات سامية نزحت من جزيرة العرب إلى سواحل البحر الأحمر الغربية فعقدت معاهدات يراها البجة أنها مجحفة في حقهم فينتقضوها، فتقطع بذلك صلات العرب التجارية بشرق السودان ثم تتواصل، وقد فتحت تلك المعاهدات بلاد البجة أمام الهجرات العربية لغرض التعدين والتجارة معاً، وقد أدى ذلك إلى تعاقدات صلح بين المجموعات البجوية والمجموعات العربية التي قطنت أرضهم عدة مرات⁽¹⁹⁾، وبعد سقوط الدولة الأموية هربت مجموعات من الأمويين إلى أرض البجة خوفاً من بطش العباسيين إلى جزر دهلك بشرق السودان، فتوغل بعضهم في بلاد النوبة والسودان النيلي. ولما جاء العباسيون احتلوا جزر باضع ودهلك للوقوف في وجه القراصنة الأحباش واعتداءاتهم على الساحل الغربي للجزيرة العربية ودخولهم جدة في العام 153هـ/ الموافق 770 ميلادية، وحسبما ورد في آراء الرحالة العرب أمثال بن حوقل والمسعودي فإن الوجود العربي على الساحل الشرقي للسودان كان منذ أمد بعيد قبل الإسلام لكنه تطور وازداد بعد مجيء الإسلام⁽²⁰⁾، وأهم القبائل العربية التي استقرت بشرق السودان وامتزجت بسكانها هي ربيعة التي دخلت عن طريق مصر أيام الخليفة المتوكل العباسي وأثر جزء من القبيلة الهجرة جنوباً إلى شرق السودان واستقر بأرض المعدن وعيذاب، وقد أشار إليهم اليعقوبي قائلاً: (وأكثر من بالعلاقي قوم من ربيعة من بني حذيفة من أهل اليمامة انتقلوا إليها بالعيالات والذرية⁽²¹⁾) وكان لربيعة دورها السياسي والاجتماعي والاقتصادي بشرق السودان، ومن القبائل الوافدة كذلك القيسية التي دخلت شرق السودان أيضاً من مصر واستقرت بأرض المعدن وتحالفت مع ربيعة وتصاهروا مع البجة، ومن القبائل المهاجرة كذلك بنو هلال وقد ذكر المقرئزي قائلاً (وبنو هلال بطن من بني عامر وكان أهل بلاد الصعيد كلها من عيذاب ومن القبائل المهاجرة قريش وهوازن وقبيلة بلي التي امتزجت بالبجة وجهينة ورفاعة من بطون سليم) وكلهم وفدوا عن طريق مصر والكواهلة الذين وفدوا عبر البحر الأحمر مباشرة منهم البشاريون الذين ينتمون إلى مجموعة كاهل العربية وينتسبون إلى بشر بن مروان بن اسحق بن ربيعة الذي نسب إلى الصحابي زبير بن عوام وهم

أبناء عمومة هاجروا إلى السودان واختلطوا مع المجموعة البجوية⁽²²⁾ وامتزجوا مع الإبل فصاروا أباله لكنهم يتحدثون اللغة البجاوية إلى جانب العربية، هذه المجموعات لم تستقر جميعها بأرض المعدن بل تنقلت بأرض البجة واستمرت هذه الهجرات لفترات متباعدة من قبل الإسلام حتى العصر الحديث، حيث هاجر الزبيدية والرشايدة في العام 1846م وتنقلوا في شرق السودان حتى وصلوا غرباً إلى كردفان ودارفور، إلا أنهم لم يمتزجوا بغيرهم، وكانت معظم هذه المجموعات المهاجرة دافعها التعدين أو التجارة أو الأهداف السياسية كمساندة الدولة الإسلامية⁽²³⁾، ومن المجموعات العربية التي هاجرت وقدمت من حضرموت واستقرت في شرق السودان وامتزجت بالبجة الأرتيقة وهم ينتسبون إلى جمال الدين بن العلوبة الذي يرجع بنسبه إلى سيدنا علي بن أبي طالب⁽²⁴⁾. ومنهم الأمراء وينتسبون إلى الكواهلة أبناء كاهل ويرجعون بنسبهم أيضاً إلى الزبير بن العوام (1) وينقسمون إلى قسمين: الأمراء أبناء عامر وأبناء عمار وهم العصارنة وعرفوا أيضاً بأبناء عثمان أما الفروع الأخرى فيطلق عليهم العثامنة⁽²⁵⁾. أما الهدندوة فهم يدعون بأنهم ينتسبون إلى العباس ثم هاجروا إلى شرق السودان واختلطوا بالبجة، وهم يمثلون أغلبية المجموعات البجوية وينقسمون إلى ثلاثة فروع، ومنهم الحلانقة وهم من المجموعات العربية التي هاجرت مبكراً من الجزيرة العربية إلى شرق السودان في القرن السابع الميلادي وينتسبون إلى قبيلة هوازن العربية ومن قبائلهم ذات الأصول العربية البنو عامر والحباب من بني مخزوم وغيرها من المجموعات الإثنية⁽²⁶⁾، هذه المجموعات هاجرت عبر عدد من الموانئ على ساحل البحر الأحمر واستقرت بها وكان أهمها:

ميناء سواكن وهي المنفذ الوحيد إلى أجزاء كثيرة من إفريقيا، ومنها انطلقت قوافل التجارة إلى كل أجزاء القارة الإفريقية فكان لها أهميتها الاقتصادية والسياسية والثقافية، وبعد مجيء الإسلام إلى السودان صارت سواكن نقطة تركز وانطلاقة القوافل، وثغر مهم من ثغور البحر الأحمر حتى نهاية القرن التاسع عشر، وقد شاركت سواكن ميناء عيذاب في تجارة البحر الأحمر منذ ازدهارها وكانت تمر بها التجارة الكارمية في طريقها إلى مصر، أي أنها تؤدي دوراً بارزاً في العلاقات التجارية بين بلاد اليمن وشرق السودان عن طريق ميناء عدن، وقد خضعت لسيطرة المماليك في العام 1071م لكن رغم ذلك ظلت تمارس نشاطها الاقتصادي والتجاري مع بلاد العرب والدويلات المسيحية لذا يمكن القول أن سواكن قد ساهمت في توطيد العلاقات الاقتصادية بين شرق السودان، حضرموت، عدن، الهند والصين واستقر بها

عدد من التجار وجعلوها مركزاً لتجارتهم وامتزجوا بأهلها وتصاهروا معهم⁽²⁷⁾. ومن الموانئ التي ازدهرت في شرق السودان ميناء باضع وتذكر المصادر أن المجموعات العربية هي التي أسستها لتثبيت أقدامهم في شرق السودان وقد ذكر المسعودي أن باضع كانت ملجأً للأمويين الهاربين من مذابح العباسيين، كما يضيف ياقوت الحموي أن باضع كانت لها صلات تجارية واسعة وأن أهلها يتحدثون بلغة الأحباش⁽²⁸⁾. لقد لعب التجار العرب في باضع دوراً مهماً في التبادل التجاري بين الداخل والخارج، وكان معظم سكانها من العرب الذين فروا من بلادهم لأسباب سياسية أو اقتصادية أو دينية، وقد صارت باضع جسراً يعبره العرب إلى أرض المعدن، وقد تدهور هذا الميناء في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي بسبب الخراب الذي ألحقه بني عامر بها والجفاف الذي أصاب منطقة الظهير مما أدى إلى تحول القوافل إلى ميناء عيذاب⁽²⁹⁾.

ازدهر ميناء عيذاب بعد خراب باضع بسبب الحماية التي وجدها من الدولة الإسلامية وميناء عيذاب من الموانئ التي تقع في أرض البجة في شرق السودان وقد ذكرها الرحالة القدامى أمثال البلاذري، اليعقوبي، ابن حوقل وابن بطوطة. وكانت تردها السلع من الحبشة وزنجبار واليمن عن طريق البحر الأحمر إلى عيذاب ومنها إلى سواحل البحر المتوسط.. وقد ازدهرت ميناء عيذاب أكثر بسبب تطور العلاقات الاقتصادية بين بلاد العرب وشرق السودان عندما تحولت قوافل الحج من مصر وبلاد المغرب من طريق سيناء إلى ميناء عيذاب بسبب الحملات الصليبية في الشام وفلسطين، مما شجع الصليبيين لضربها وخرابها واستهدفوا بذلك ضرب اقتصادها فبدأت عيذاب في التدهور، كما أدى نشوب الخلاف بين القبائل العربية التي تقيم في عيذاب (جهينة ورفاعة) إلى تعطيل الملاحة في الميناء وعدم استتباب الأمن فيها حتى انتهت في العام 1426 على يد السلطان برسباي المملوكي⁽³⁰⁾. هذه الموانئ التي ورد ذكرها كان لها دورها وأهميتها القصوى في التجارة واستقبال المهاجرين من الساحل الغربي للجزيرة العربية ككل .

الهجرات العربية عبر مصر:

كانت علاقة القبائل العربية بالجزء الجنوبي لمصر علاقة قديمة قبل الفتح الإسلامي، فالبحر الأحمر الذي يمثل حاجزاً يفصل بين مصر والسودان لم يحول دون الهجرات العربية إلى مصر، فقد خرج العرب من جزيرتهم القاحلة في موجات للبحث عن حياة أفضل نحو بلاد الشام وبلاد الرافدين ونهر النيل، وقد سلك المهاجرون العرب طريق سيناء أولاً ثم البحر الأحمر، ففي العام 3500 ق.م دخلت هجرات عربية إلى مصر وتوالت تلك الهجرات في عهد الأسرات الأولى والثانية في سنة 3200 ق.م وتمركزوا في الصحراء الشرقية وصاروا سكان مصر وساهموا في البناء البشري والحضاري⁽³¹⁾، ثم توالت

هجرات حمير ومجموعات بدوية إلى تلك الأجزاء الشرقية حتى أطلق عليها ابن بطوطة أثناء زيارته لمصر في 448م (بلاد العرب) لكثرة سكانها منهم، كما حكمت مجموعات عربية مدينة طيبة في مصر. وفي عهد دولتي سبأ ومعين قويت تجارة مصر مع التجار العرب عبر البحر الأحمر، مما أدى إلى استقرار أعداد كبيرة منهم في مصر حتى عهد البطلمة والرومان، وقد أثر ذلك في العلاقات الثقافية بين الطرفين مما أدى إلى تأثير اللغة العربية في اللغة المصرية القديمة بصورة أكبر⁽³²⁾. وبالمقابل هاجر بعض المصريين إلى مكة ويثرب قبل الإسلام. وعندما جرف سيل العرم جزءاً من الكعبة في العام 606م، أي قبل البعثة بخمس سنوات، أعاد بناءها مصري كان يقيم في مكة اسمه باقوم، وهذا يدل على تبادل الهجرات بين مصر وبلاد العرب⁽³³⁾. وهذا يعني أن العرب عرفوا مصر قبل ظهور الإسلام واختلطوا بأهلها على مر العصور، الأمر الذي مهد الطريق أمام الغزو الإسلامي لفتح مصر ورفع راية الإسلام فيها، فكان فتح مصر في العام 640م/18هـ في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين، فجاءت الجماعات المهاجرة ومعها القرآن الكريم بتعاليمه واللغة العربية والثقافة الإسلامية العربية، وقد وصى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يستوصوا خيراً بالمصريين قائلاً (إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم صهراً ورحماً) وذلك لصلات ماريّا القبطية زوجة النبي (ﷺ) بالمسلمين وصلة السيدة هاجر زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام بهم، وقد حول ذلك مجرى التاريخ المصري كله وتحولت مصر إلى ولاية إسلامية بعد أن اعتنق سكانها الدين الإسلامي وفرحوا بحكم المسلمين الذين خلصوهم من حكم الرومان واضطهادهم⁽³⁴⁾. وبعد اكمال عملية الفتح تدفقت الهجرات العربية والمؤثرات العربية الإسلامية بقوة إلى السودان وادي النيل وشمال إفريقيا وذلك لصلات مصر التجارية الواسعة بالأقطار الإفريقية وبعد أن أكمل عمر بن العاص فتح مصر بمشاركة كبيرة من القبائل العربية التي قطنت الجانب الشرقي منها مع القبائل التي جاءت مع الجيش الفاتح وتضامنت مع بعضها وتنافست وإتخذت كل قبيلة عربية موقفاً خاصاً بها عرفت (بالخطة) واشتهرت بذلك قبائل قريش ومزينة وخزاعة واسلم وغفار وجهينة وثقيف وعبس وجرش وكنانة وليث والعنقاء ومهرة وغيرها⁽³⁵⁾ وكان لكل قبيلة دور سياسي لحماية مصر من كل أطرافها فوجدت هذه المجموعات القبلية في صعيد مصر البيئة التي تناسبهم فاتخذوا نقاطاً لحماية ولايتهم والدفاع عنها من الأعداء، وكانت هذه فرصة العرب لاختلاطهم بالمصريين طيلة ثلاثة قرون حتى نهاية الدولة العباسية⁽³⁶⁾. ومن الموانئ التي لعبت

دوراً في الهجرات إلى مصر ميناء القلزم الذي يقع على الحافة الشرقية للبحر الأحمر بالقرب من السويس، وهو الميناء الثاني لمصر بعد الإسكندرية آنذاك، فصار معبراً مهماً للهجرات العربية عبر البحر الأحمر في عصر الخلافة الراشدة والدولتين الأموية والعباسية، حيث نشطت حركة التجارة في البحر الأحمر بسبب اهتمام الخلفاء بتجارة الشرق وتأسيسهم محطات تجارية على الساحل الشرقي لإفريقيا وكان ميناء القلزم المصري إضافة إلى أهميته التجارية -التي تجمع فيها تجار الشرق بين الهند وعدن - صار ميناء القلزم داراً لصناعة السفن وقاعدة بحرية مهمة لمصر، وتذكر المصادر أنها كانت تحت سيطرة مجموعات بجوية وكانت تنقل منها البضائع إلى الإسكندرية⁽³⁷⁾. كما نشطت الحركة التجارية المصرية المطلة على البحر الأحمر في ميناء القلزم كذلك في عهد الفاطميين فدعمه الفاطميون حتى صار الميناء الأول لمصر لإبحار الحجاج المصريين والمغاربة، وخزانة مصر ومعونة الحجاج حسب قول المقدسي حتى منتصف القرن الخامس الهجري، ثم خرب وحل محله ميناء السويس ثم عيذاب والقصير، كما اهتم الفاطميون بالتجارة الشرقية (الكارمية) عبر البحر لأحمر فازدهرت بذلك موانئ البحر الأحمر الغربية وغطت على المراكز التجارية العالمية⁽³⁸⁾.

الهجرات العربية إلى الصومال وساحل شرق إفريقيا:

تمتد سواحل الصومال مسافات طويلة على البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندي، فموقعها استراتيجي على المحيط الهندي، ويشرف الصومال على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر المعروف بباب المندب⁽³⁹⁾. وكان ارتباط الصوماليين بالعرب يرجع لعلاقة قديمة منذ فجر التاريخ، ربما يرجع لدولة سبأ العربية، وقد كتب عنها معظم الرحالة القدامى كابن حوقل والقلقشندي وغيرهم، عندما هاجرت إليها جاليات عربية بعد انهيار سد مأرب، لذلك كانت صلاتها ببلاد العرب قديمة، كما هاجرت إليها مجموعات عربية من التجار والفارين في فترة الخلافة الراشدة والدولة الأموية بحكم تلك العلاقة القديمة وكما أن هجرات عدد من الفرق الشيعية قد وجدت طريقها إلى الساحل الصومالي، ومع انتشار الإسلام واللغة العربية والثقافة الإسلامية فيها، تعددت الفرق والمذاهب الإسلامية في الصومال والساحل الشرقي وكثر الدعاة الأئمة ورجال الطرق الصوفية والشيعية، مما كان لها دورها في نشر الإسلام في الصومال وما جاورها. ومن أهم مراكز الدعوة الإسلامية فيها هرر ومقديشو وغيرها، فشكل بذلك مسلمو الصومال أكبر مجموعة إسلامية في شرق إفريقيا. فكان من أهم الآثار انتشار الإسلام في الصومال وانتشار اللغة

العربية والثقافة الإسلامية وانتشار الصوفية والفرق الإسلامية بين الصوماليين، وقد حاول الاستعمار الأوروبي إضعاف علاقة الصومال بالعالم الإسلامي فنجح الغرب في ذلك (40).

أثر التواصل بين بلاد العرب وإفريقيا :

ازدادت الصلات العربية الإفريقية نمواً واتسعت دائرتها وقويت فعاليتها بانتشار الإسلام من منبعها بجزيرة العرب إلى شمال ووسط وغرب إفريقيا، فصار الإسلام بذلك سنداً سياسياً ودعماءً روحياً ونسقاً ثقافياً، وازدادت هجرات العرب المسلمين إلى إفريقيا بالفتوحات الإسلامية لمصر وشمال إفريقيا، ففتح المسلمون بذلك صفحات جديدة في تاريخ صلاتهم وعلاقاتهم الثقافية بينهم وبين المجتمعات المحلية الإفريقية، فأثروا فيهم وتأثروا بهم، وكان من نتائج ذلك قيام الممالك الإسلامية في شمال ووسط وغرب إفريقيا، (41)، وقد لعب العلماء المسلمون دوراً عظيماً في بناء صرح الحضارة الإسلامية ووحدت الفكر الإسلامي، وصارت اللغة العربية في كثير من الممالك هي اللغة الرسمية ولغة العبادة والتجارة والمعاملات والتواصل السياسي والدبلوماسي بين الحكومات، كما أن جهود هؤلاء العلماء المسلمين في الرحلات العلمية لطلاب العلم ورحلات الحج قد ساعدت إلى حد كبير في التلاحم الروحي بين المسلمين في العالمين العربي والإفريقي، كما أن التجارة كان لها دورها في دعم العلاقات وتأمين الوضع الاستراتيجي بين الطرفين (42).

ونسبة لمتانة العلاقات العربية الإفريقية، هاجر سكان بلاد القرن الإفريقي (الصومال وبلاد الحبشة وإرتريا) وكذلك شرق السودان إلى الجزيرة العربية بغرض الحج والتجارة ونهل العلم فصاروا أكثر تأثراً بالثقافة الإسلامية، حيث أمد الإسلام العرب بسياج ديني فكري ساعدهم على خلق وحدة وطنية وعلى ازدهار نهضة ثقافية، فخرجوا لنشر الدين من الشمال والغرب والشرق ونشروا الإسلام في أجزاء كبيرة من القارة الإفريقية وقد أدى ذلك إلى حدوث نقلة نوعية في تاريخ العلاقات الثقافية بين العرب وسكان إفريقيا مما أدى إلى ازدهار التجارة والهجرات البشرية، كما قاموا بنشر العقيدة الإسلامية وبسط العرب نفوذهم السياسي في أرجاء كثيرة من إفريقيا وساعد انتشار الإسلام على رواج كثير من مظاهر الثقافة العربية في القارة الإفريقية

الخاتمة:

سعت الدراسة لمعرفة الأهمية التاريخية والاقتصادية والاستراتيجية للبحر الأحمر كمعبر مائي ورابط مهم على مر العصور، كما سعت الدراسة لتوضيح واستعراض بعض النماذج للهجرات العربية التي وفدت إلى القارة

الإفريقية والهجرات العكسية من القارة الإفريقية إلى بلاد العرب عبر البحر الأحمر في فترات متباعدة، واستقرارها في عدد من المواطن الإفريقية شرقها وشمالها وغربها، وأثر تلك الهجرات المتباعدة عبر البحر الأحمر إلى القارة الإفريقية ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، نسأل الله تعالى أن يتوحد ويلتئم شمل الأمة الإسلامية عربها وأفارتها في بوتقة الإسلام بعيداً عن القبلية والجهوية والعنصرية، وما قامت الحضارة الإسلامية وازدهرت ووصلت إلى مصاف العالمية إلا بجهود كل المسلمين بمختلف ألوانهم وأجناسهم وألسنتهم استناداً لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الآية 13 من سورة الحجرات.

نتائج الدراسة:

من النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

1. أن البحر الأحمر قد لعب دور الرابط الأساسي بين إفريقيا وبلاد العرب في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.
2. أن المجموعات العربية المهاجرة قد نقلت الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية واللغة العربية إلى المجموعات التي هاجرت إليها وتحول المجتمع إلى إسلامي رغم أنهم لم تكن نشرة الدعوة الإسلامية هدفهم الأول.
3. أن البحر الأحمر لم يكن حاجزاً يحول دون الهجرات المتبادلة بين ساحل إفريقيا وشرق بلاد العرب منذ فجر التاريخ.
4. المهاجرون إلى ساحل إفريقيا الشرقي قد وجدوا بيئة خصبة ومناخاً ملائماً فأثروا البقاء على العودة إلى أوطانهم الأولى.
5. إن المجتمعات الإفريقية التي هاجرت إليها المجموعات العربية قد رحبت بالمهاجرين الجدد مما سهل في انصهارهم في المجتمعات المحلية ونقلوا عاداتهم وثقافتهم وإرثهم الثقافي إليهم.
6. لعبت الموانئ التي تقع على ساحل البحر الأحمر دورها الاقتصادي والثقافي واستوعبت تلك الهجرات التي دخلت عبرها إلى القارة الإفريقية.

التوصيات :

1. توصي الدراسة إلى وحدة الصف الإسلامي وعدم تقسيم الأمة الإسلامية إلى عرب وغير عرب وإقامة كيان موحد يضم صفوف المسلمين بعيداً عن الحدود السياسية والحوافز الجهوية والعنصرية.
2. محاربة النعرات القبلية والإثنية والجهوية بين المسلمين من سكان دول حوض البحر الأحمر.

المصادر والمراجع:

- (1) السيد عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 1993م، ص4
- (2) المرجع نفسه، ص6
- (3) شوقي عطا الله الجمل المرجع السابق، ص9
- (4) شوقي عطا الله الجمل، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشاكلهم، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة 1995، ص10
- (5) المرجع نفسه، ص18
- (6) حمدي عبدالرحمن، تحديات العلاقات العربية الإفريقية
- (7) Email – asimtath @ indox. Com
- (8) شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص6
- (9) المرجع نفسه، ص6 ص 10
- (10) المرجع نفسه، ص18
- (11) شوقي عبدالقوي، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية 41هـ/661م – 904هـ/1498م عالم المعرفة – سلسلة كتب ثقافية شهرية تصدرها المجلس العربي للثقافة والفنون والآداب – الكويت العدد 155 1990م، ص130.
- (12) المرجع نفسه، ص9
- (13) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، أهل بلال، جذور الاسلام التاريخية في الحبشة، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط1 1995م، ص161.
- (14) المرجع نفسه ص 246 .
- (15) عبدالرحمن حسب الله، المرجع السابق ص12
- (16) الطبري الرسل والملوك ج1 ص32
- (17) بن هشام محمد بن عبدالملك بن هشام، كتاب سيرة رسول الله (ص) ج1، ص32، ص352
- (18) محمد بن جرير الطبري الطبري، الرسل والملوك ج5 ص289
- (19) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، (بحث في السيرة النبوية)، الدار السودانية للكتب القاهرة، ط20، 2009م 48-50
- (20) زاهر رياض، تاريخ أثيوبيا، 1966، ص56
- (21) ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي مكرم (630هـ/1213م، الكامل في التاريخ، مصر، ج3 ص38

- (22) شوقي الجمل وآخرون، تاريخ المسلمون في إفريقيا، ص 26
- (23) عبدالرحمن حسب الله الحاج، المرجع السابق، ص 12
- (24) المرجع نفسه، ص 20
- (25) اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، مطبعة العربي النجف، 1358هـ ج 2، ص 555
- (26) محمد عوض محمد، السودان ووادي النيل- السودان الشمالي، سكانه وقبائله ط 2، القاهرة، 1956، ص 69.
- (27) عبدالرحمن حسب الله، المرجع السابق ص 107.
- (28) عبدالوهاب عبدالحميد عمر، البجة في شرق السودان وتاريخهم الإسلامي، مطابع العملة المحدودة، الخرطوم 2017م، 39
- (29) المرجع نفسه، ص 40
- (30) محمد عوض محمد، المرجع سابق، 112
- (31) محمد صالح ضرار، تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الدار السودانية للكتب، القاهرة 1968م، ص 76
- (32) ياقوت الحموي الرومي، معجم البلدان ج 2 ص 40
- (33) عبدالرحمن حسب الله الحاج، المرجع السابق، ص 66
- (34) المرجع نفسه، ص 68
- (35) 31-ممدوح عبدالرحمن عبدالرحيم الربطي، دور القبائل العربية في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية وأثرها في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، 21هـ-58هـ / 641-969م، مكتبة متبولي، القاهرة، ص 26
- (36) عبدالله البري، القبائل فيمصر خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار الكتاب، القاهرة مصر، 1967م، ص 19-21 .
- (37) ممدوح عبدالرحمن- 1996م، ص 35
- (38) عبدالله البري / مرجع سابق ص 49
- (39) ممدوح عبدالرحمن الربطي، المرجع السابق ص 35
- (40) عبدالله البري، القبائل العربية ص 49
- (41) السيد عبدالعزيز سالم، ص 140
- (42) المرجع نفسه ص، 141
- (43) شوقي الجمل، المرجع السابق ص 33
- (44) المرجع نفسه ص 33

- (45) يوسف فضل حسن، دراسات في تاريخ السودان وإفريقيا وبلاد العرب، ج3،
سوداتك المحدودة، 2007م ص 76
- (46) المرجع نفسه، نفس الصفحة

8- المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية :

- (1) بن الأنثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي مكرم (630هـ/1213م، الكامل في التاريخ، ج3، دار الصادر، بيروت، 1955م .
- (2) ابن حوقل : أبوالقاسم محمد الغدادي ت 350/961م، كتاب صورة الأرض، ضمن المكتبة الجغرافية، ليبدن 1967م .
- (3) ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، ج3، نشر دي خويه، ليبدن 1882م
- (4) اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، ج2، مطبعة العربي، النجف، العراق، 1358هـ،
- (5) محمد بن جرير الطبري، الرسل والملوكت 310هـ/ج1، ج5، نشر دي خويه، ليبدن 1881-1883م
- (6) ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبدالله الحموي الرومي ت 626هـ/1229م، معجم البلدان ج2، القاهرة 1906م .

ثانياً: المراجع العربية :

- (1) شوقي عطا الله الجمل، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشاكلهم، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة 1995.
- (2) عاصم فتح الرحمن الحاج، أهمية البحر الأحمر الاستراتيجية للأمن الوطني السوداني، سودايل ابريل 2010م.
- (3) حمدي عبدالرحمن، تحديات العلاقات العربية الإفريقية
- (4) Email – asimtath @ indox. Com
- (5) شوقي عبدالقوي، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية 41هـ/661م – 904هـ/1498م عالم المعرفة – سلسلة كتب ثقافية شهرية تصدرها المجلس العربي للثقافة والفنون والآداب – الكويت العدد 155 1990م .
- (6) 5عبدالعزیز عبدالغني إبراهيم، أهل بلال، جذور الإسلام التاريخية في الحبشة، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ط1 1995م .
- (7) زاهر رياض، الإسلام في أثيوبيا في العصور الوسطى، دار المعرفة، القاهرة 1966م .
- (8) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، (بحث في السيرة النبوية)، الدار السودانية للكتب القاهرة، ط20، 2009م
- (9) محمد عوض محمد، السودان ووادي النيل- السودان الشمالي، سكانه وقبائله ط2، القاهرة، 1956 .
- (10) عبدالوهاب عبدالحميد عمر، البجة في شرق السودان وتاريخهم الإسلامي، مطابع العملة المحدودة، الخرطوم 2017م

- (11) ممدوح عبدالرحمن عبدالرحيم الربطي، دور القبائل العربية في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية وأثرها في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، 21هـ-58هـ / 641-969م، مكتبة متبولي، القاهرة
- (12) عبدالله البُري، القبائل في مصر خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار الكتاب، القاهرة مصر، 1967م.
- (13) محمد صالح ضرار، تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الدار السودانية للكتب، القاهرة 1968م .
- (14) يوسف فضل حسن، دراسات في تاريخ السودان وإفريقيا وبلاد العرب، ج3، سوداتك المحدودة، 2007م ص 76

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

-Trimingham.J.S-Islam In East Africa.Oxford.1964-

رابعاً:الدوريات:

- 1-مجلة الإسلام في إفريقيا _مجلة فصلية محكمة جامعة مهمة بالإسلام وقضايا المسلمين في إفريقيا- العدد العاشر 2017م

علاقة المسلمين بالحبشة في عصري النبوة والخلافة الراشدة

أ. التاريخ الإسلامي وحضارته المساعد قسم
التاريخ - كلية الآداب - جامعة ذمار - اليمن .

د. أفراح علي جبران ناجي السنباني

المستخلص:

جمعت العرب والحبشة علاقات قديمة، نظراً لأن البحر الأحمر يمثل نقطة اتصال بينهما، وتباينت تلك العلاقة في فترات متلاحقة، بين التقارب تارة، والعداء أخرى، وقد تعمقت بشكل كبير في الحقبة الإسلامية وتحديداً في العهد النبوي، وعلى وجه الخصوص في السنة الخامسة للبعثة، وذلك عندما اختارها النبي صلى الله عليه وسلم لتكون قاعدة جديدة، يهاجر إليها أصحابه، ونتطرق إلى العلاقات المكية قبل الإسلام وبعده، ونسلط في هذا البحث الضوء على موضوع الهجرة، ونتناوله من جميع جوانبه بشيء من التفصيل، ثم نتناول حياة المسلمين في الحبشة ومدى تأثر المسلمين بالأحباش، وتأثيرهم فيهم. ونتطرق إلى علاقة المسلمين بالأحباش في عهد الدولة الإسلامية، والتي تحولت بعد وفاة النجاشي من جهة الأحباش من التقارب إلى العداء.

الكلمات المفتاحية: العرب - الحبشة - المسلمين - علاقات - الهجرة - تقارب - عداء.

Abstract:

The Arabs and Abyssinia had ancient relation, due to their point of contact across the Red Sea. This relationship had varied at successive intervals, from closeness to hostility. In the Islamic era, this relationship deepened considerably, particularly in the fifth year of the mission, when the Abyssinia was selected by the Prophet as a new base for his followers. In this research paper, we explore the pre-Islamic and post-Islamic relations. We will also highlight the issue of migration and addressing it in all its aspects in some details. Moreover, we will address the life of Muslims in Abyssinia and to which extent Muslims were influenced by Abyssinian people and vice versa. We also show the relation of the Muslims with the Abyssinians during the Islamic State, which after the death of the Negus (on the part of the Abyssinians) shifted from rapprochement to hostility.

Keywords: Arabs, Abyssinia, Muslims, Relationships, Migration, Rapprochement, Hostility.

البحر الأحمر التسمية والأهمية:

اكتسب البحر الأحمر أهمية بالغة، نظراً لموقعه الاستراتيجي، لأنه يتوسط ثلاث مناطق حيوية في العالم، ويُعد من الممرات المائية التي تربط بين شمال الكرة الأرضية بجنوبها وشرقها، وقد بدأ اهتمام العرب بالبحر الأحمر منذ زمن بعيد، كونه يربط المناطق بعضها ببعض، وبالنسبة للجزيرة العربية والحبشة فإنه نقطة الاتصال بينهما⁽¹⁾. أما عن سبب تسميته البحر الأحمر بهذا الاسم فهو نتيجة لكثرة الطحالب، والأعشاب البحرية، التي تأخذ في غالبها اللون الأحمر فتعكسه على لون المياه⁽²⁾، ويتميز بتقلب الرياح والتيارات، وتباين أعماقه بين الضحالة والعمق الشديد، كل هذا جعل الملاحة فيه خطيرة، وتعد مغامرة يخافها المرء، ولذا لا يتم الإبحار فيه إلا نهاراً⁽³⁾، وتتحكم حركة الرياح الموسمية في توقيت الرحلات واتجاهها، وكان لدى العرب معرفة واسعة بها منذ القدم، ولذا احتكروا التجارة مع الهند وما يليها من آسيا لفترات طويلة⁽⁴⁾.

العلاقة المكية الحبشية قبل الإسلام :

ارتبطت مكة بالحبشة بعلاقات مختلفة وذلك بحكم موقعها القريب من مكة، فأرض الحبشة تقع على هضبة مرتفعة، على بحر القلزم⁽⁵⁾ وتحده بلاد الزنج⁽⁶⁾، وحدودها البحرية بين النوبة⁽⁷⁾، وبحر القلزم⁽⁸⁾، الذي يحده من الغرب شبه الجزيرة العربية، ويسمى بحر الحبشة، ويُعرف باسم البحر الأحمر⁽⁹⁾ وكل ملك للحبشة يطلق عليه نجاشي⁽¹⁰⁾، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الحبشة بنو حام بن نوح⁽¹¹⁾، وهناك فرق بين الأحباش والأحبابش أما الأحباش فهم عرب من بطون كنانة، وكان الحليس بن عمرو رئيساً عليهم، وليسوا من الحبشة⁽¹²⁾، والأحبابش جماعة كبيرة من أهل مكة وأطلق عليهم هذا الاسم؛ لأن أصلهم من رقيق الحبشة والسواحل الإفريقية المقابلة لجزيرة العرب⁽¹³⁾.

علاقة تجارية:

تنوعت العلاقة بين العرب والحبشة في مجالات عدة، ومنها علاقة تجارية، فقد جمعت العرب مع الحبشة صلات تجارية قديمة، لأن بلاد الحبشة تقابل بلاد الحجاز ولا يفصل بينهما سوى البحر⁽¹⁴⁾، وكانت تجارة قريش لا تتعدى حدود مكة وما حولها⁽¹⁵⁾، ثم بدأت العلاقات التجارية والمتمثلة بإيلاف قريش، وكان هاشم بن عبد مناف⁽¹⁶⁾، هو أول من سنها، وذلك عندما أخذ لأهل مكة عهداً من ملوك الشام فتاجروا آمنين، ثم فعل أخيه عبد شمس بن عبد مناف⁽¹⁷⁾، الشيء نفسه مع صاحب الحبشة، وإليها

كان متجره، وأخذ ابني عبد مناف الآخرين الاتفاق مع ملوك اليمن، ومن ملوك العراق للتجارة معهم آمنين، وبذلك كانت لقريش رحلتان الأولى رحلة الشتاء وكانت إلى اليمن والحبشة والعراق، والثانية رحلة الصيف إلى الشام⁽¹⁸⁾، وهناك موانئ مهمة على الطريق التجاري البحري، وتعد مكة هي أهم مدن الحجاز نتيجة لموقعها الجغرافي والديني لحج الناس والعمرة إليها في كل عام⁽¹⁹⁾، وكذلك ميناء جدة الحجاز، لأنه من أقرب المدن الساحلية إلى مكة، فيستقبل الحجاج والسلع⁽²⁰⁾، وبالمقابل هناك مدن إفريقية مهمة ومنها عيذاب وهي مدينة حسنة وتُعد مجمع التجار براً وبحراً، وأهلها يتعاملون بالدرهم عدداً ولا يعرفون الوزن⁽²¹⁾، وسواكن وهي بلد مشهور على ساحل بحر الجار وهي قريبة من جزيرة عيذاب ترفأ إليها سفن القادمين من جدة⁽²²⁾، وفيها مرسى وتسير السفن منها إلى سواكن وتسير منها السفن إلى جزيرة باضع وهي مدينة في ساحل البجاه والحبشة وأهلها مسلمون⁽²³⁾، وقرب عيذاب دهلوك وهي جزيرة مشهورة لدى التجار⁽²⁴⁾، وهناك أيضاً ينبع وهي إحدى مراسي الجار⁽²⁵⁾، الواقعة على يمين من الرضوى⁽²⁶⁾، بالنسبة للقادمين من المدينة إلى البحر الأحمر⁽²⁷⁾.

السلع التجارية:

وهناك تبادل للسلع بين مكة والحبشة، ومن منتجات مكة التي تُجلب إلى الحبشة الديباج، والتوابل، والتمر⁽²⁸⁾، وكانت هناك سلع قادمة إلى بلاد العرب من الحبشة مثل العسل والشمع إلى جانب الرقيق⁽²⁹⁾، الذي يجلب تحديداً من جزيرة دهلوك يحمل منه العبيد والإماء إلى سائر الآفاق ومنها الحجاز ومكة التي كان أهلها يستحسنونهم⁽³⁰⁾، وقيل من الزيلع يتوزع رقيق الحبشة على بلاد الإسلام الساحلية⁽³¹⁾، وخصيان الحبشة كانوا أفضل الخصيان لدى أهل مكة وغيرهم⁽³²⁾، ومن منتجات الحبشة إلى جانب الرقيق اللؤلؤ⁽³³⁾.

علاقة لغوية:

جمعت العرب والحبشة، صلات لغوية قديمة تحدث عنها جواد علي⁽³⁴⁾، بشيء من التفصيل بقوله: «وأما تقارب الحبشية من اللهجات العربية الجنوبية وكتابة الأحباش حتى اليوم بقلم شبيه بالمسند، فلا يكون دليلاً قاطعاً على هجرة الساميين من إفريقية عن طريق الحبشة إلى جزيرة العرب؛ إذ يجوز العكس، وقديماً هاجر الساميون من العربية الجنوبية إلى الحبشة. والساميون هم الذين كُونوا دولة «أكسوم» التي كانت تتكلم باللغة «الجعزية»، وهي لغة سامية، كما أن قلمها الذي يشبه قلم المسند هو وليد القلم العربي الجنوبي. وكتابات «يها» «يحا» المكتوبة بالمسند، في حد ذاتها دليل على أثر

العرب الجنوبيين في الإفريقيين «الكوشيين»، وهذه الكتابات حديثة عهد بالنسبة إلى كتابات السبئيين، كما يمكن اعتبار تشابه أسماء بعض الأماكن القديمة في الحبشة مع نظائر لها في اليمن ووجود معبد في الحبشة خُصَّ بالإله «المقة» إله سبأ العظيم، وأمور أخرى دينية ولغوية وأثرية، واعتراف الأحباش بأنهم من نسل ملكة سبأ «بلقيس»، وأن «حبشت» التي أخذ الأحباش منها اسمهم في اللغة العربية هي مقاطعة تقع في العربية الجنوبية في رأي أكثر العلماء، وأن «الأعاز» أصحاب اللغة الجعزية هم أقدم مَنْ هاجر من اليمن إلى الحبشة، ووجود صلات قديمة بين الساحلين الإفريقي والعربي».

علاقة تقارب:

ربطت مكة بالحبشة علاقة ودية إلى درجة أن عبد المطلب⁽³⁵⁾، حَكَم النجاشي فيما حَدث بينه وبين حرب بن أمية⁽³⁶⁾، وذلك عندما كان لعبد المطلب يهودي أجاره، وأثناء تسوقه في أسواق مكة رآه حرب بن أمية، فاغتاظ وألب عليه فتیان قريش فقتلوه، فظل عبد المطلب يبحث عن قتلته أجيره، حتى عرفهم وعلم بما حدث، فجاء إلى حرب يُأنبه ويطالب بدم من أجاره، فرفض تسليم قاتليه وأخفاهم وتغالظا في القول حتى تنافرا، واختارا النجاشي صاحب الحبشة ليكون بينهما لكنه أبى أن يتدخل في الأمر⁽³⁷⁾.

علاقة عداوة:

وقد اختلفت العلاقة بين مكة والحبشة، فبعد أن كانت ودية، أصبحت علاقة عداوة وتعود بداية تلك العلاقة إلى عهد قديم، وتحديدًا منذ سيطرة الأحباش على اليمن بسبب إحراق ذو نواس⁽³⁸⁾، نصارى نجران في الأخدود، واستنجاد أهلها بالأحباش⁽³⁹⁾، الذين دخلوا اليمن وسيطروا عليها فترة طويلة وذلك قبل الإسلام⁽⁴⁰⁾، وقد اختلف في تحديد فترة سيطرتهم ف قيل استمر ذلك لمدة 70 عاماً⁽⁴¹⁾، وقيل 72 سنة⁽⁴²⁾، وقيل 40 عاماً⁽⁴³⁾، وأثناء حكم أبرهة أراد صرف الناس عن الكعبة، ولذا بنى لهم كنيسة القليس، وكان ينقل إليها آلات البناء كالرخام والحجارة المنقوشة بالذهب من بقايا قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام، وحرص أن تكون الكنيسة في كامل بهائها، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والابنوس⁽⁴⁴⁾، كل ذلك الاهتمام لجعل الناس يحجوا إليها ولكنهم لم يفعلوا، بل أن أحد العرب دخل إليها وأحدث فيها، ونتيجة لذلك قرر أبرهة أن يتوجه بجيشه إلى الكعبة لهدمها، ولكنه بعد أن اقترب منها، أرسل الله عليه عذابه وقد جاء ذلك مفصلاً في القرآن الكريم⁽⁴⁵⁾، وذلك في سورة سميت بالفيل قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ»⁽⁴⁶⁾، وأهلكهم الله في منطقة كتانة⁽⁴⁷⁾.

العلاقات المكية الحبشية بعد الإسلام: الهجرة إلى الحبشة:

تعود جذور العلاقات التاريخية بين المسلمين والأحباش في الفترة الإسلامية، إلى القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، والتي تمثلت بالهجرة إلى الحبشة (48).

معنى الهجرة:

وهناك معاني عديدة للهجرة، وما ينطبق على هجرة المسلمين إلى الحبشة يتمثل بالهجرة من دار كفر غير آمن إلى دار كفر آمن، وكذلك هي هجرة إلى الله وفي سبيله تنفيذاً لأمره سبحانه وتعالى في قوله عز من قائل: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» (49).

الهجرة الأولى:

الهجرة الأولى للمسلمين إلى الحبشة كانت في السنة الخامسة للبعثة (50)، وكان عددهم 11 رجلاً، و4 نسوة، (51)، وكان عثمان بن مظعون (52) هو أميرهم (53).

أسباب الهجرة:

إذن النبي ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة، وهناك عدة أسباب جعلته يتخذ هذا القرار، ومن تلك الأسباب انتشار الإسلام، وكثرة عدد المسلمين، وتناقل الناس الحديث عن الإسلام، ولذا خشي كفار قريش من ذلك، وأرادوا إرجاع الناس عن دينهم، ولذا عمدوا إلى تخويف الناس من نتيجة اتباعهم للدين الجديد وأن عاقبته وخيمة، وقاموا بالفعل بالإجراء العملي لردع الناس، فقام كل منهم بتعذيب من تحت يده من المسلمين، بشدة وقسوة، فَرَّقَ النبي ﷺ لحالهم، وأشار عليهم الرسول ﷺ بأن يخرجوا إلى أرض الحبشة حتى يجعل الله لهم فرجاً ومخرجاً (54).

* تمادت قريش في إيذاء المستضعفين المؤمنين وتعذيبهم، والمبالغة في إهانتهم (55)، على الرغم من أنه كان لهم النصيب الأكبر إلا أنه لم يقتصر الأذى عليهم، بل طال الجميع بمن فيهم النبي ﷺ (56)، وبذلك ندرك أن إيذاء المستضعفين لم يكن الدافع الوحيد وراء قرار الهجرة بدليل أن من هاجروا لم يكونوا مستضعفين ممن انصب عليهم أغلب العذاب بل من أشرف القوم وأبناء سادتها فكان أغلب المهاجرين من قبائل قريش، فمنهم من هاجر بمفرده، ومنهم من صحب معه أهله (57)، فقد هاجر إلى الحبشة عدد من المسلمين، وتجهز أبو بكر الصديق رضي الله عنه مهاجراً، ولكن النبي ﷺ أنشأه عن ذلك بقوله: «على رسلك فإنني أرجو أن يؤذن لي، فقال أبو بكر أو ترجوه» (58)، ومن المهاجرين عثمان بن عفان وكان أول المهاجرين مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ (59)، وذلك لأنه رسول الله ﷺ أمره بذلك حين

قال له: «أخرج برقية معك قال: أخال واحد منكما يصبر على صاحبه»⁽⁶⁰⁾. وبعد خروجهم تأخر على النبي ﷺ خبرهم، وكان يخرج لعل خبراً يصله عنهم⁽⁶¹⁾، فقدمت امرأة من قريش، فقالت: «يا محمد قد رأيت ختنك ومعه امرأته فقال على أي حال رأيتهما، قالت رأيته حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة وهو يسوقها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما الله إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط»⁽⁶²⁾، ومن المهاجرين أيضاً السكران بن عمرو⁽⁶³⁾، وأخيه عبدالله وهما إخوة أحد سادة قريش وهو سهيل بن عمرو⁽⁶⁴⁾، وأختهما أم كلثوم بنت سهيل بن عمر هاجرت مع زوجها⁽⁶⁵⁾، وعبد الرحمن بن عوف وهو من كبار تجار قريش⁽⁶⁶⁾، وعمر بن سعيد بن العاص⁽⁶⁷⁾، وأخوه خالد⁽⁶⁸⁾،

*- فراراً بالدين وخشية الفتنة فيه⁽⁶⁹⁾، وذلك بعد ظهور الإسلام، وتزايد أتباعه، والداخلين فيه، وكثر حديث الناس عنه، لذا قام أهل قريش بتعذيبهم وحبسهم، لكي يفتنوا في دينهم، ويتراجعوا عنه، فهذا عمار بن ياسر الذي مارس كفار قريش عليه أنواع من العذاب، ثم قيل له إن السبيل إلى الخلاص من العذاب، هو سب محمد وأن يقول في اللات والعزى خيراً ففعل، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي، وأخبره بما حدث فسأله عن قلبه فأجاب بأنه مطمئن بالإيمان، عندها قال له عليه الصلاة والسلام «إِنْ عَادُوا فَعَدُّ»⁽⁷⁰⁾، فأُنزل الله سبحانه وتعالى قوله الحق: «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ»⁽⁷¹⁾.

*- نشر الإسلام هو من الأسباب المهمة للهجرة، بعد أن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يلقاه أصحابه من شدة تعذيب كفار قريش، لكي يفتنوا في دينهم ويعيدوهم إلى ملتهم، خشي أن يقضى على الدعوة وعندها أمر أصحابه بأن يهاجروا وحد لهم مكان الهجرة، وأشار إلى الحبشة⁽⁷²⁾، فلو كان الغرض فقط الفرار من الأذى لعاد المسلمون إلى المدينة، بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها، وتأسيس الدولة الإسلامية، ويتضح أن نشر الإسلام هو هدف الهجرة جلياً في قصة أبي موسى، الذي علم بهجرة النبي إلى المدينة وهو في اليمن، خرج ومعه بضع وخمسين رجلاً في سفينة، فألقتهم سفينتهم بفعل الرياح الشديدة إلى النجاشي بأرض الحبشة، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم، فقال جعفر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هاهنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا⁽⁷³⁾، فأقاموا عنده حتى قدموا إلى المدينة بعد خيبر⁽⁷⁴⁾.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن هجرة أبناء قبائل قريش وليس المستضعفين فيها كان له أهداف منها، ضمان حماية قبائلهم لهم في حال تمكنت قريش من إرجاعهم، وذلك لأنهم في مجتمع يقيم وزناً للقبيلة ويرعى النسب، وهناك جانب آخر ترك أثر بالغ في معظم قبائل قريش، وهو أن مكة ضاقت بأبنائها، فلم يعد أمامهم من خيار سوى الخروج للبحث عن الأمان في مكان آخر، وكان الهدف الأسمى للهجرة هو نشر الدين الإسلامي في منطقة جديدة.

لماذا الحبشة:

اختار النبي ﷺ لأصحابه الهجرة إلى الحبشة، لعدة أسباب منها: لأن

فيها ملك لا يظلم عنده أحد⁽⁷⁵⁾، وبالتالي هجرتهم كانت طلباً للأمان والعيش بسلام واطمئنان، وهناك أسباب اقتصادية، وذلك أن التجارة كانت عماد الاقتصاد القرشي، والحبشة تعتبر من مراكز التجارة في الجزيرة العربية بما فيها مكة، فقد عرفها بعض المسلمين عندما ذهبوا إليها في التجارة، أو ذكرها لهم من ذهب إليهم قبلهم، فلا بد أن هجرة المسلمين إليها، واستقرارهم فيها سيؤثر عليهم وذلك لأنها كانت متجراً لقريش⁽⁷⁶⁾، يجدون فيها الكثير من الرزق⁽⁷⁷⁾. هناك سؤال قد يتبادر إلى الذهن وهو لماذا لم يتوجه المسلمون إلى المدينة؟ وهنا يمكن القول بأن ذلك لم يحدث لأن المدينة كان من السهل على قريش الوصول إليها والقضاء على المسلمين فيها، أو إعادتهم إلى مكة، ونستدل على ذلك أنه بعد هجرة الرسول ﷺ إليها كانت المدينة هدفاً لقريش محاولة القضاء على المسلمين وذلك منذ بداية هجرتهم، لم تألوا قريش جهداً في محاولاتها للقضاء على المسلمين، والتي استمرت على مدار خمس سنوات بداية من بدر ثم أحد والأحزاب ثم الحديبية، وكأن النبي ﷺ بعثهم إلى الحبشة لكي يكون لهم مركز آخر يلجئون إليه في حال هُزم المسلمون، ودام الكفار المدينة، ولكن بعد أن أمنوا وانتشرت الدعوة في الحبشة بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى جعفر ومن معه بالقدوم إلى المدينة في السنة السابعة⁽⁷⁸⁾. ولأن الحبشة أكثر أماناً للمسلمين من غيرها، لأنها بعيدة عن سيطرة قريش، ولا تدين لها بأي تبعية كباقي القبائل المجاورة، ولأنها أرض صدق، وبها ملك عادل⁽⁷⁹⁾، وهذه الصفات هي من الأمور المهمة لضمان الأمان في أي بلد كان، بالإضافة إلى محبة النبي ﷺ للحبشة ويعود ذلك لعدة أسباب منها: لأنه كان يعرف عنها الكثير من خلال ما سمعه من حاضنته أم أيمن الحبشية، أنهم يدينون بالنصرانية وهي أقرب الديانات للإسلام من الوثنية، ولوجود ملك عادل ويتصف بالصلاح⁽⁸⁰⁾.

طريق الهجرة:

خرج المهاجرون من مكة، متسللين سراً حتى وصلوا إلى مرفأ «الشَّعْبِيَّة»⁽⁸¹⁾، على ساحل الحجاز⁽⁸²⁾، وبعد وصولهم إلى البحر بين ماش وراكب، استأجروا سفينة إلى الحبشة بنصف دينار لكل شخص⁽⁸³⁾، واتخذوا من الشعبية ممرأ لهم للوصول إلى جزيرة دهلك (*) ومنها استمروا في المضي⁽⁸⁴⁾، حتى وصل المسلمون إلى ميناء مصوع، ويطلق عليها باضع⁽⁸⁵⁾، وهي معروفة بهذا الاسم⁽⁸⁶⁾، وهي من سواحل جزيرة دهلك، التي تبعد عن الحبشة نصف يوم للوصول إلى النجاشي⁽⁸⁷⁾، وكانت هجرتهم شاقة، ومحفوفة بالمخاطر، وهناك من مات من المسلمين في الطريق إليها بسبب أن أفعى نهشته⁽⁸⁸⁾، واستمر المسلمون في رحلتهم حتى استقر بهم المقام في مدينة كعب وهو دار مملكة الحبشة⁽⁸⁹⁾، وإليها كان يتاجر العرب⁽⁹⁰⁾، وفيها النجاشي⁽⁹¹⁾، ملك الحبشة الذي آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهو من ولد حبش بن كوش بن حام⁽⁹²⁾.

عودة المهاجرين:

هاجر المسلمون إلى الحبشة مرتين، استمرت هجرتهم الأولى شهرين شهر شعبان ورمضان وقدموا في شوال من السنة الخامسة للبعثة⁽⁹³⁾، وذلك عندما بلغهم أن أهل مكة سجدوا، ودخلوا في الإسلام جميعاً، ولكنهم عندما اقتربوا من مكة علموا بأن الخبر غير صحيح، فلم يستطع أي منهم دخولها إلا متخفياً أو في جوار رجل من قريش⁽⁹⁴⁾، وكانوا 33 رجلاً⁽⁹⁵⁾، فدخل عثمان بن عفان بجوار أبي احيحة سعيد بن العاص⁽⁹⁶⁾، وأعلن للناس أنه في جواره، فلا يتعرض له أحد، ودخل، وعثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة⁽⁹⁷⁾، وقد مكث فترة ثم رد عليه جواره، فراجعته ولكنه أصر حتى بعد تعرضه للأذى كرر المغيرة عرضه بأن يدخل في جواره فأبى⁽⁹⁸⁾، وهناك من تعرض للحبس والتعذيب بعد عودته من الحبشة، من قبل ذويه ومنهم على سبيل المثال سلمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم⁽⁹⁹⁾ رضي الله عنه، الذي كان قديماً في الإسلام بمكة، وما إن عاد إليها من الحبشة قام أبو جهل بحبسه و ضربه و وتركه دون طعام أو ماء، ولشدة ما لقيه من إيذاء كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعو له في الصلاة و القنوت⁽¹⁰⁰⁾.

الهجرة الثانية:

بعد عودة المسلمين من الحبشة اشتد أذى قريش لهم، وكثر البلاء على المسلمين، عندها أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة الثانية إلى الحبشة، وبعث معهم جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون مهاجرون حتى اجتمع منهم هناك 83 رجلاً⁽¹⁰¹⁾، و 18 امرأة، وقيل 19⁽¹⁰²⁾، وكان خالد بن العاص⁽¹⁰³⁾، أول من خرج إلى الحبشة، واستمر المسلمون في الحبشة بضعة عشرة سنة⁽¹⁰⁴⁾.

على الرغم مما أورده الطبري⁽¹⁰⁵⁾، بأن المسلمين خرجوا من مكة متسللين سراً، ولكن ربما أنه يقصد الهجرة الأولى إلى الحبشة، لكن الهجرة الثانية يبدو أنها كانت علنية، ويتضح لنا ذلك من خلال ما روته أم عبدالله بنت أبي حتمه⁽¹⁰⁶⁾، مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قالت: «إنا لنرحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر لبعض حاجته، إذ أقبل عمر وهو على شركه حتى وقف علي، وكنا نلقى منه البلاء أذىً وشدة، فقال: أتنتلقون يا أم عبد الله ؟ قالت: قلت: نعم والله لنخرجن في أرض الله، فقد آذيتونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا فرجاً. قالت: فقال: صحبتكم الله⁽¹⁰⁷⁾».

موقف قريش من المهاجرين:

حاولت قريش اللحاق بالمهاجرين ولكنها لم تدرکہم⁽¹⁰⁸⁾، وبعد بدر رأى المشركون أن تأرهم بأرض الحبشة، وأرادوا إرجاع المهاجرين، ولذا بعثت

قريش لإعادتهم عمرو بن العاص، وعبدالله بن أبي ربيعة، وحملوا معهم هدايا للنجاشي⁽¹⁰⁹⁾، ومنها فرساً وجبة من الديباج⁽¹¹⁰⁾، وكان أفضل ما يأتيهم من مكة الأديم⁽¹¹¹⁾، فجمعوا لهم الكثير منه، ولم يتركوا بطريقاً من البطارقة إلا أهده هدية⁽¹¹²⁾.

فلما بلغ رسول الله ﷺ ذهابهم، أرسل إلى النجاشي كتاباً حمله عمرو بن أمية الضمري⁽¹¹³⁾، في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتاباً جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الاصحم ملك الحبشة، سلام عليك، فإنني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى [بن مريم] روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحسنة، فحملت بغيره من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخه، وإنني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالة على طاعته، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني، فإنني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم ودع التجبر فإنني أدعوك وجنودك إلى الله»⁽¹¹⁴⁾.

اتفق عمرو بعد وصوله إلى الحبشة مع البطارقة، أنه عندما يكلم النجاشي في أمر القادمين إليه، أن يشيروا عليه بتسليمه إياهم، وبالفعل عندما حدث عمرو النجاشي بشأنهم قال: «البطارقة صدق فقومهم أعلم الناس بهم، وأشاروا عليه أن يسلمهم إياهم ليعيدوهم إلى بلادهم»⁽¹¹⁵⁾، عندها غضب النجاشي وقال: «لا والله أبداً لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسن جوارهم ما جاوروني»⁽¹¹⁶⁾، ثم أرسل النجاشي إليهم فقدموا إليه وتحدث بالنيابة عنهم جعفر بن أبي طالب، فسأله النجاشي عن دينهم وما يأمرهم به، وعن من جاءهم به، وبماذا يأمرهم، وعما ينهاهم⁽¹¹⁷⁾، فأجابه جعفر عن كل ما سأله عنه النجاشي، ثم ذكر أنهم هربوا إلى بلاده، واختاروه عن سواه⁽¹¹⁸⁾.

لم يكف عمرو عن المحاولة، وعاد في اليوم الثاني، وأخبره أن المسلمين يقولوا في عيسى قولاً عظيماً، فاستدعى المسلمين وسألهم عما يقولونه فيه، فرد عليه جعفر: «نقول فيه ما جاء به نبينا أنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم فحضر النجاشي يده إلى الأرض وتناول منها عوداً وقال ما عدا عيسى ما قلت هذا العود، ثم قرأ عليه جعفر بن أبي طالب صدر سورة مريم⁽¹¹⁹⁾، بعدها رفض النجاشي تسليم المسلمين لعمرو

ومن معه، ورد هداياهم⁽¹²⁰⁾، وقال النجاشي: «فو الله لو رشوني دبراً من ذهب ما قبلته»⁽¹²¹⁾، والدبر: الجبل، وقال اذهبوا آمنين⁽¹²²⁾، وقيل أن قريش أرسلت عمرو بن العاص مرة أخرى ومعه عمارة بن الوليد⁽¹²³⁾. ولكن جل محاولاتهم باءت بالفشل.

الأحداث في الحبشة وموقف المسلمين:

سجل التاريخ موقف الأحباش من النجاشي الذي حذره البطارقة من خلع أهل الحبشة له، بسبب تأييده للمسلمين وذلك بعد ما تحدث جعفر عن عيسى بن مريم، وقال إنه لم يزد ابن مريم عن ما قاله جعفر وزن العود الذي كان بيده⁽¹²⁴⁾، فاجتمعت الحبشة وخرجوا على النجاشي وقالوا له: «إنك فارقت ديننا»⁽¹²⁵⁾، وعند ذلك أرسل النجاشي إلى جعفر، وهياً لهم سفناً، وطلب منهم أن يركبوا عليها، ويمكثوا فيها فإن هُزم يمضوا إلى حيث أرادوا، وأن انتصر عليهم يثبتوا كما هم⁽¹²⁶⁾، وهنا يذكر المسلمون موقفهم من هذا الحدث، حيال ذلك خوفاً من أن يهزم النجاشي، ويأتي ملك غيره يسيء إليهم، ولذلك تضرعوا إلى الله بالدعاء لله بأن ينصر النجاشي على عدوه، فأراد المسلمون أن يعرفوا ما يحدث وأرادوا أحداً أن يذهب ليأتي بالأخبار، فعرض الزبير بن العوام عليهم أن يذهب، وكان حديث السن، فنفعوا له قربة فجعلها في صدره، وسبح عليها في النيل⁽¹²⁷⁾، حتى خرج من شقه الآخر، فحضر الواقعة فانتصر النجاشي وقتل منائمه، ولشدة فرح الزبير جاء إلى المسلمين وهو يلوح لهم بردائه ويقول: «ألا فابشروا، فقد أظهر الله النجاشي»⁽¹²⁸⁾، وقيل أن الزبير بن العوام قاتل معه عدوه⁽¹²⁹⁾، فلما نصر الله النجاشي على عدوه مكث المسلمون عنده في خير منزل حتى عادوا إلى المدينة⁽¹³⁰⁾.

يُذكر أن أهل الحبشة لم يخوضوا مع النجاشي حرباً، بل تراجعوا عن خلعه بعد أن ذكره أنه أحق الناس بهم، وأن سيرته فيهم خير سيرة فأيدوه في قوله، فسألهم عن سبب عدائهم له، فأجابوه بأنه فارق دينهم، وزعم أن عيسى عبده ورسوله، فسألهم عن قولهم هم فيه، فقالوا هو ابن الله، فوضع النجاشي يده على صدره وقال بأن عيسى بن مريم لم يزد على هذا، وكان يعني الكتاب الذي وضعه في قبائه عند المنكب، وفيه الشهادتين، وأن عيسى رسول الله وروحه، وكلمة ألقاها إلى مريم، فكان يعني ما كتب فرضوا وانصرفوا⁽¹³¹⁾.

من خلال ما سبق نجد أن هجرة المسلمين إلى الحبشة، بعد إذن النبي ﷺ لهم رأفة بهم ورحمة لهم لشدة ما وجدوه من قريش من قهر وتعذيب ليرجعوا عن دينهم، ولكنهم صبروا على الأذى وأنواع العذاب، في سبيل الله، ويقيناً منهم أنهم على الحق، فكان لهم إلى الحبشة هجرتين، فمنهم من

هاجر في المرة الأولى⁽¹³²⁾، ومنهم هاجر في الثانية فقط⁽¹³³⁾، وآخرون هاجروا الهجرتين⁽¹³⁴⁾، وبالمقابل لم يكن مكثهم في الحبشة إجباراً بل أن لهم حرية الخروج منها كلاً منهم متى ما أراد⁽¹³⁵⁾، ولذا عاد بعض المهاجرين إلى مكة، ومكثوا فيها ثم هاجروا منها إلى المدينة⁽¹³⁶⁾، ومنهم من رجع إلى المدينة قبل جعفر⁽¹³⁷⁾، والبقية مكثت مع جعفر لأن النبي ﷺ أمره بالإقامة، حتى عادوا إلى المدينة في السنة السابعة⁽¹³⁸⁾.

المسلمون في الحبشة:

بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة وجدوا لدى ملكها ملجأ وحسن جوار⁽¹³⁹⁾، وعاشوا بأمان واطمئنان⁽¹⁴⁰⁾، فعبدوا الله بحرية في جوار النجاشي⁽¹⁴¹⁾، وكان لهم عنده مكانة⁽¹⁴²⁾، وبسبب الأمان الذي وجدوه هناك وتحفيزاً للمستضعفين للهجرة والفرار بالدين، قال عبدالله بن الحارث:

يا راكبا بلغن عني مغلة من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ من عباد الله مضطهد ببطن مكة مقهور ومفتون
إنا وجدنا بلاد الله واسعة جى من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحياة ولا زي الممات وعيب غير مأمون⁽¹⁴³⁾.

ذكرت أم سلمة رضي الله عنها حال المسلمين بعد وصولهم إلى الحبشة بأنهم جاؤوا بها النجاشي، وكان لهم خير جار، فأمنوا على دينهم، وعلى أنفسهم لا يؤذون ولا يسمعون من أحد شيئاً يكرهونه⁽¹⁴⁴⁾، وذلك لأن النجاشي حذر من التعرض لهم فقال: «من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة يؤذيهـم بها، فقد غرم ومعناها هلك⁽¹⁴⁵⁾، والمعنى مطابق لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾⁽¹⁴⁶⁾، وقال النجاشي: «أذهبوا فأنتم سيوم بأرضي»⁽¹⁴⁷⁾، والسيوم: الآمنون، وبما أنه أمنهم فإن من سبهم فقد غرم، وأكد النجاشي بأنه لن يسمح بأن يؤذى رجل من المسلمين، ولو أعطى له مقابل السماح بذلك جبل من ذهب فقال: «من سبكم غرم ما أحب أن لي دبراً من ذهب وأنني أذيت رجلاً منكم»⁽¹⁴⁸⁾، فكانوا يعيشون بين أهل الحبشة بحرية وأمان، ويؤكد ذلك، ما رواه بعض المهاجرين للرسول صلى الله عليه وسلم، عندما طلب منهم إخباره عما رأوه هناك، فبدأوا يحدثوه أن عجوزاً من رهبانهم مرت بهم، وهي تحمل فوق رأسها قله بها ماء، فجاء فتى من الحبشة ودفعها، فوقعت المرأة وانكسرت القلة، وعندها نهضت العجوز ولامته على فعله، وذكرته بحسابه يوم القيامة⁽¹⁴⁹⁾.

على الرغم من الحياة الآمنة التي عاشها المسلمون في الحبشة، إلا أن هناك سؤالاً يتبادر إلى الذهن، ما هي الموارد التي كانوا من خلالها يلبون

احتياجاتهم، ومن هنا نورد أن المهاجرين تمكنوا من تلبية متطلبات الحياة في الحبشة يعود الفضل لأمر عده منها: الأموال التي كانت تُرسل لهم من مكة، وعلى سبيل المثال يُذكر أن أبا طالب كان يتعهد جعفر باللطف والنفقة حتى مات، فكان ينفقها هو وجماعة من المسلمين أقاموا معه، وجماعة من الأحباش الذين أسلموا⁽¹⁵⁰⁾، ومن خلال ما ذكر يبدو أن الأموال المرسلة من مكة كانت كثيرة، إلى درجة أن تغطي نفقات كل هؤلاء. بالإضافة إلى ذلك فقد أمر النجاشي للمسلمين بما يصلحهم من الرزق⁽¹⁵¹⁾، وإلى جانب هذا وذاك، وبما أن المسلمين لديهم خبرة قديمة في التجارة منذ القدم، لذا يعتقد أنهم مارسوها لتغطية نفقاتهم، ولضمان حياة كريمة لهم، ولكي لا يكونوا عالة على أحد، مع أنه لم ترد رواية تؤكد هذا إلا أننا نرجح ذلك، مستنديين إلى حال المسلمين عندما هاجروا إلى المدينة، رغم إكرام الأنصار لهم، وعرضهم عليهم مقاسمتهم كل شيء، إلا أنهم فضلوا الكسب بأنفسهم، وعدم الاتكال على أحد، ونزل عبد الرحمن بن عوف عند سعد بن الربيع الذي آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه⁽¹⁵²⁾، فعرض سعد عليه أن يقاسمه أمواله، إلا أنه رفض وقال له: «بارك الله لك في أهلك ومالك دلني على السوق...»⁽¹⁵³⁾.

عاش المسلمون في الحبشة حوالي 16 سنة، ومن المسلمين من ولد بالحبشة، وهناك أشياء يفعلها المسلمون بهذه المناسبة فلا بد أن أهل الحبشة تأثروا بهم في ذلك، وأول من ولد هناك عبد الله بن عبد أسد⁽¹⁵⁴⁾، وكذلك ولد لجعفر بن أبي طالب هناك ثلاثة أولاد⁽¹⁵⁵⁾، وولدت لأبي سلمة بن عبد الأسد زينب⁽¹⁵⁶⁾، ومحمد بن حاطب كان مولده هناك⁽¹⁵⁷⁾، وعمرو بن سلمة المخزومي ولد في الحبشة⁽¹⁵⁸⁾، وولد هناك محمد بن حذيفة⁽¹⁵⁹⁾، وسعيد بن خالد بن سعيد بن العاص ولد في الحبشة⁽¹⁶⁰⁾، وتوفي بعض المسلمين في الحبشة منهم المطلب وحطاب ابنا الحارث⁽¹⁶¹⁾، ومنهم زوجة جهم بن قيس بن شرحبيل⁽¹⁶²⁾، والسكران بن عمرو مات مسلماً في الحبشة⁽¹⁶³⁾، وزوجة عمرو بن سعيد بن العاص ماتت بالحبشة، وكذلك امرأة الحارث بن خالد⁽¹⁶⁴⁾.

الإسلام في الحبشة :

يعود سبب التقارب بين النجاشي والمسلمين إلى ما يُذكر بأنه كان ملك الحبشة لديه ولد واحد، وهو، في حين أن أخاه كان له 12 ولداً، ولذا رأت الحبشة التخلص من الملك لقلة أولاده، وتولية أخاه الذي سيتوارث ملك الحبشة بعده ابناؤه لفترة طويلة لكثرت عددهم، وبالفعل قتلوا الملك، ونصبوا أخاه ملكاً عليهم، ونشأ النجاشي في كنف عمه، وتميز بشدة الذكاء، والحزم مما جعله يحظى بمنزلة كبيرة لدى عمه، فخشيت الأحباش أن يملكه عليهم، وعندها يقتلهم لقتلهم لأبيه، وحدثوا عمه أن يقتله، فاستنكر قولهم فقبل

ذلك قتلوا أباه، والآن يريدون قتله، ورأى أن يخرجوه من الحبشة أفضل من قتله، فخرجوا به وباعوه قيل لرجل من العرب، وفي اليوم نفسه حدث مطر شديد وخرج الملك فأصابته صاعقة وقتلته، فتملك ابنه بعده وكان أحق، ولم يستقيم أمر الحبشة فرأوا أنه لا يقيم أمرهم إلا ابن الملك الذي باعوه، فخرجوا في طلبه، فوجدوه وأرادوا أخذه، فطلب التاجر ماله فرفضوا إعطائه شيئاً عندها قال النجاشي: «أما أن تعطوه ماله، أو تعيدوا له عبده»، فأعطوه ماله، فكان ذلك أول ما عُرف من عدله رضي الله عنه وملكوه عليهم⁽¹⁶⁵⁾.

ويمكن أن يكون ذلك التقارب هو سبب إسلام النجاشي عندما كتب النبي صلى الله عليه وسلم، رسالة إليه يدعو إلى الإسلام، بعثها مع عمرو بن أمية الضمري، فأسلم النجاشي وكتب إليه رسالة جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله ﷺ من النجاشي أضحمة بن أبجر سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته أشهد أنك رسول الله وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين وقد بعثت إليك أريحا ابني فأني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن أتيك فعلت يا رسول الله»⁽¹⁶⁶⁾.

انتشر الإسلام في الحبشة على الرغم من أن أكثر أهلها نصارى⁽¹⁶⁷⁾، لأن الإسلام فيها لم يكن وليد اللحظة دخل إليها عن طريق التجار المسلمون منذ زمن بعيد فأسلمت أطرافها من كل اتجاه، وذلك الانتشار كان برغبة أهلها وليس إجباراً، وذلك عن طريق الدعوة الفردية، واحتكاك المسلمين بأهلها بحكم السكن والجوار⁽¹⁶⁸⁾، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الخلافة في قريش والحكم في الأنصار والدعوة في الحبشة»⁽¹⁶⁹⁾، وقد شارك النجاشي نفسه في نشر الإسلام، فكان حديثه مع عمرو بن العاص بشأن النبي ﷺ، عندما طلب منه عمرو أن يرسل معه المهاجرين إليه ليقتلهم، فقال له: «تسألني أن أعطيك رهط نبي الله الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى بن عمران عليه السلام لتقتلهم»⁽¹⁷⁰⁾، وقيل أن ذلك حدث عندما أرسل النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري ليجhez إليه من عنده من مهاجرة الحبشة، فطلب عمرو منه قتله، عندها استنكر وقال إنه لن يقتل رسول من يأتيه الناموس⁽¹⁷¹⁾، وقيل أن عمرو كان صديقاً للنجاشي ودائم التردد عليه، فقال له ذات مرة: «يا عمرو، كيف يعزب عنك أمر ابن عمك؟ فوالله إنه لرسول الله حقاً. قال عمرو: أنت تقول ذلك؟ قال: أي والله، فأطعني»⁽¹⁷²⁾، وبعد رجوع عمرو بن العاص من الحبشة جلس في بيته، فاستغرب الناس، وسأله عن سبب فعله، فذكر لهم أن النجاشي يزعم أن محمد نبي⁽¹⁷³⁾، ووقع في قلبه الإسلام، وخرج عمرو من الحبشة قاصداً المدينة، وذلك سنة 6 هـ⁽¹⁷⁴⁾، وقيل كان ذلك في شهر صفر سنة 8 هـ⁽¹⁷⁵⁾، وكل هذه الروايات تؤكد أن إسلام عمرو بن العاص كان بسبب النجاشي، وحديثه معه.

الأحباش في الدولة الإسلامية:

حظي الأحباش في مكة بحرية في الاحتفال، والقيام بعاداتهم الشعبية، وذلك في حضور المتفرجين من العرب والمسلمين، ويؤكد ذلك ماروته السيدة عائشة رضي الله عنها حين قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفعني فأنظر إلى لعب الحبشة»⁽¹⁷⁶⁾، وكانوا يلعبون بحرابهم في المسجد⁽¹⁷⁷⁾، فزجرهم عمر رضي الله عنه وحصبهم بالحصي، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتركهم وشأنهم⁽¹⁷⁸⁾، وعندما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، كان الأحباش يزفنون بين يديه، وهم يرقصون بحرابهم فرحاً بقدومه⁽¹⁷⁹⁾، ويقولون محمد عبد صالح⁽¹⁸⁰⁾، وربما ذلك الاحتفال بقدم النبي ﷺ هو نتيجة المعاملة الحسنة التي عاملهم بها رسول الله ﷺ، وكل المسلمين، وهنا نوضح بعض الأمثلة لأشخاص من الحبشة كانت لهم مكانة عالية لدى المسلمين، ومنهم العبيد والإماء من أهل الحبشة الذين كان لهم مكانة مرموقة في الإسلام، الذي لم يفرق بين المسلمين حر كان أم عبد، إلا على أساس التقوى فقط، وليس هناك اعتبار لغير ذلك، لقوله صلى الله عليه وسلم في خطبته: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»⁽¹⁸¹⁾.

أكرم الإسلام والمسلمون أهل الحبشة المسلمين فعلى سبيل المثال أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، واستمرت بخدمته، وقد اعتقها وزوجها، وكان ﷺ يزورها ويقول: «هي أُمي بعد أُمي»⁽¹⁸²⁾، واستمر أبو بكر وعمر بعد ذلك بإكرامها وزيارتها⁽¹⁸³⁾، ومن الأحباش بلال بن رباح الذي أعزه الله بالإسلام وهو مولى أبو بكر الصديق، وكان أبوه من سبي الحبشة⁽¹⁸⁴⁾، قال النبي ﷺ: «السباق أربعة أنا سابق العرب وبلال سابق الحبشة...»⁽¹⁸⁵⁾، وكان بلال مؤذن النبي ﷺ، ولم يؤذن لأحد بعده⁽¹⁸⁶⁾، ولذا قال ﷺ: «...والأذان في الحبشة...»⁽¹⁸⁷⁾، ولكنه رغم مكانته في الإسلام لم ينكر أنه عبد حبشي وذلك عندما كان وأخوه أبو رويحة في بلاد الشام، وذهبا يخطبان، من أهل بيت من اليمن فقال: «أنا بلال وهذا أخي عبدان من الحبشة كنا ضالين فهدانا الله وكنا عبيدين فأعتقنا الله إن تنكحونا فالحمد لله وإن تمنعونا فالله أكبر»⁽¹⁸⁸⁾، ومن أهل الحبشة وحشي الذي عرض عليه مولاه العتق مقابل قتل حمزة بن عبد المطلب، ففعل وبعد إسلامه ندم على فعلته، ورغم فعله العظيم بقتل عم النبي ﷺ، ومن أعز الله الإسلام بإسلامه، وبعد قدومه على رسول الله ﷺ سأله أن يحدثه عن قتله حمزة، فحدثه فطلب منه رسول الله أن ينصرف عنه، ولكي يكفر وحشي عن فعلته، قام بقتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة بنفس الحربة⁽¹⁸⁹⁾، وقال وحشي: «فإن كنت قتلتها فقد قتلت خير الناس وشر الناس»⁽¹⁹⁰⁾. وهذا عبد من الحبشة يُعرف بالأسود الحبشي، الذي ذكر للنبي ﷺ

أن الله فضلهم على الأحباش باللون ، والنوبة ، واستفسر أنه إن أسلم وحسن إسلامه هل يرافقه في الجنة؟ فذكر له رسول الله أنه في الجنة يُرى الأسود من مسيرة ألف عام، عندها بكى الحبشي فرحاً، وعندما مات دفنه النبي ﷺ بنفسه⁽¹⁹¹⁾.

تميزت علاقة المسلمين بالأحباش في عهد النجاشي بالود، والإحسان، وإكرام الأحباش في المدينة، عرفاناً لما قدمه النجاشي للمهاجرين في الحبشة، ولذا عندما قدم وفد النجاشي إلى رسول الله ﷺ، قام بنفسه يخدمهم، فطلب منه الصحابة أن يفعلوا هم ذلك بدلاً عنه، رفض وقال: «إنهم كانوا لأصحابي مكرمين، وإني أحب أن أكافئهم»⁽¹⁹²⁾.

علاقة النجاشي بالنبي ﷺ:

ثبتت أم حبيبة بنت أبي سفيان على دينها، وكانت زوجة عبد الله بن جحش الذي تنصر في الحبشة وظل كذلك حتى مات هناك⁽¹⁹³⁾، وجزاء لثباتها وصبرها أراد النبي ﷺ أن يتزوجها فبعث إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري، يطلب منه أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان⁽¹⁹⁴⁾، وذلك في سنة 7هـ تزوجها⁽¹⁹⁵⁾، وذكرت أم حبيبة، أن النجاشي أرسل إليها جارية له، وبعد أن أذنت لها بالدخول أخبرتها أن الملك يخبرها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إليه أن يزوجه إياه، ففرحت واستبشرت، وأعطت الجارية سوارين وخدمتين وخواتم من فضة كانت عليها، جزاء لما بشرتها به⁽¹⁹⁶⁾، وقيل أعطتها خمسين مثقالاً، فأمرها النجاشي أن تعيدها لأم حبيبة ففعلت⁽¹⁹⁷⁾، ثم قالت لأم حبيبة أن الملك يطلب منها أن توكل من يزوجه، فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص، فطلب النجاشي من المسلمين في الحبشة أن يحضروا، ولما اجتمعوا أخبرهم بطلب رسول الله ﷺ منه تزوجه أم حبيبة، وأن النجاشي أعطاها 400 دينار مهرأً لها، ووضعها بين يد القوم، وتكلم خالد بأنه قد زوجه إياها⁽¹⁹⁸⁾، وقدمت أم حبيبة إلى المدينة بعد خير⁽¹⁹⁹⁾، ومعها بركة الحبشية⁽²⁰⁰⁾.

بعث النجاشي ابن أخيه ذو مخمر، وقيل ذو محبر إلى النبي ﷺ ليعلمه⁽²⁰¹⁾، وقيل بعث النجاشي ابنه، واسمه أريحا⁽²⁰²⁾، ومعه ستين من أهل الحبشة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، من الحبشة في سفينة فغرق بهم⁽²⁰³⁾، وذكر أن أبا نيزر من ولد النجاشي فرغب في الإسلام صغيراً فأتى رسول الله ﷺ⁽²⁰⁴⁾، وعندما بلغ النبي ﷺ موت النجاشي استغفر له ونعاه، وخرج إلى المصلى وقال مات رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيك، وصلى عليه صلاة الغائب⁽²⁰⁵⁾، عن أبي هريرة، ﷺ قال: «نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة اليوم الذي مات فيه فقال استغفروا لأخيك»⁽²⁰⁶⁾، وعندما مات النجاشي كان يتحدث الرسول ﷺ إنه لا يزال يرى على قبره نور⁽²⁰⁷⁾، وقد مات النجاشي بعد فتح خير⁽²⁰⁸⁾.

علاقة المسلمين بالحبشة بعد وفاة النجاشي:

تغيرت علاقة المسلمين بالحبشة بعد وفاة النجاشي، بعد أن كانت السمة البارزة لها هي التقارب والود أصبحت علاقة عداوة فقد أغار الأحباش وتحديداً أهل الشعبية الذين قدموا في مراكب، وقاموا بمهاجمة أطراف الدولة الإسلامية وعلى وجه الخصوص جدة سنة 9هـ/630م⁽²⁰⁹⁾، فلما بلغ رسول الله ﷺ الخبر بعث سرية بقيادة علقمة بن مجزر المدلجي (ت20هـ/640م) في ثلاثمائة رجل حتى انتهى إلى جزيرة في البحر فخاض إليهم فهربوا منه، ثم انصرف⁽²¹⁰⁾، وكانت آخر علاقة للمسلمين والأحباش في حياة النبي ﷺ.

وعلى الرغم من مواجهة عدوان الأحباش، والسعي للتصدي له بكل حزم، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرص على ألا تحدث مواجهة بين المسلمين والأحباش، إن لم يتم اعتداء على المسلمين من قبلهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «دعوا الحبشة ما ودعوكم، وتركوا الترك ما تركوكم»⁽²¹¹⁾.

فاستقر الحال بعد عهد النبي ﷺ حتى عهد عمر تجددت هجمات الأحباش على الدولة الإسلامية، وذلك في سنة 16هـ حدثت أول مواجهة عسكرية بين المسلمين والأحباش، والتي نتج عنها الحد من هجمات الأحباش في ميناء بَاضِع «مصوع» بقيادة أبو محجن الثقفي⁽²¹²⁾، الذي بعثه الخليفة لصد اعتدائهم⁽²¹³⁾، وقيل أن ذلك حدث سنة 20هـ عندما أغارت الأحباش وتحديداً أهل ربعات وهي المدينة العظمى للحبشة على المسلمين، فبعث عمر رضي الله عنه إليهم علقمة بن محرز المدلجي في جمع كثير من المسلمين، فلما اقتربوا من ربعات كانوا قد سمموا المياه فمات أكثرهم ونجا علقمة مع قليل من جنده⁽²¹⁴⁾.

مكانة مهاجري الحبشة في الدولة الإسلامية

عاد المسلمون المهاجرون من الحبشة إلى المدينة في السفينتين اللتين بعثهما النجاشي إلى رسول الله مع جعفر⁽²¹⁵⁾، وكانوا آخر من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري، فحملهم في سفينتين فقدم بهم عليهما وهو بخير بعد الحديبية⁽²¹⁶⁾، وقد عادوا إلى المدينة عن طريق جزيرة «القراف»، وهي مرسى لبلاد «الحبشة»⁽²¹⁷⁾؛ وتُعد أقرب الجزر الواقعة قبالة ثغر «الجار»⁽²¹⁸⁾، الذي يبعد عن «المدينة المنورة» مسافة يوم وليلة⁽²¹⁹⁾. في صفر سنة 7هـ⁽²²⁰⁾، وكان عددهم 40 رجلاً⁽²²¹⁾، وقيل كانوا 18 شخصاً⁽²²²⁾، وقيل 16 رجلاً⁽²²³⁾، فكانت فرحة النبي صلى الله عليه وسلم بقدومه كبيرة، لا تقل عن فرحته بفتح خيبر حتى أنه احتار بأيهما يسر⁽²²⁴⁾، وقد أفصح عن ذلك بقوله: «مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَشَدُّ فَرَحًا

فَتَحَّ خَيْبَرَ أَوْ قُدُومِ جَعْفَرٍ»⁽²²⁵⁾، وعانقه وقبل ما بين عينيه، وكان مع جعفر بن أبي طالب أربعين رجلاً، فأسهم لهم النبي ﷺ من غنائم خيبر فأعطى للفرس سهمين ولصاحبه سهم⁽²²⁶⁾، بعد أن استشار في ذلك المسلمين وقبلوا به⁽²²⁷⁾، وقدموا بهدايا وتحف من النجاشي للرسول ﷺ⁽²²⁸⁾،

ونظراً للغربة ومرارتها، ومعاناة المسلمين المهاجرين فيها، فقد أقر رسول الله ﷺ للمسلمين هجرة واحدة ولأهل الحبشة هجرتين، وصرح بذلك عليه الصلاة والسلام بعد أن حدثته أسماء بنت عميس بما حدث بينها وبين عمر بن الخطاب ﷺ، عندما لقيها عمر ﷺ فقال: «نعم القوم أنتم، لولا أنكم سُبِقْتُمْ بالهجرة، فنحن أفضل منكم. فقالت: كنتم مع رسول الله ﷺ يُعَلِّمُ جاهلكم وَيَحْمِلُ راجلكم، وَفَرَزْنَا بديننا، ولسْتُ براجعة حتى أدخل على رسول الله ﷺ، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله إني لقيتُ عُمَرَ فقال كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: «لَكُمْ هِجْرَتُكُمْ مَرَّتَيْنِ، هِجْرَتُكُمْ إِلَى الْحَبَشَةِ وَهِجْرَتُكُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ»⁽²²⁹⁾، وذكر أنها قالت لعمر رضي الله عنه كنا في دار - أو في أرض - البعداء البغضاء في الحبشة، وذلك في الله وفي رسوله، وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شرباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، وكنا نحن نؤذى ونخاف...⁽²³⁰⁾، وقد تزوج النبي ﷺ أم سلمة وهي من مهاجرات الحبشة، وكانت قبله عند السكران بن عمرو الذي مات بمكة بعد رجوعه معها من الحبشة⁽²³¹⁾.

تولية المهاجرين:

تمتع مهاجرو الحبشة بالقدرة والكفاءة ولذا تقلدوا بعض المناصب، وعلى سبيل المثال خالد بن سعيد بعد أن رجع من الحبشة، كان يكتب للرسول ﷺ، وهو الذي كتب كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف⁽²³²⁾، وكذلك أبو عبيدة بن الجراح الذي اختاره أبو بكر رضي الله عنه أحد أمراء الجيش لفتح الشام، واستمر كذلك حتى مات في خلافة عمر ﷺ⁽²³³⁾، معيقب بن أبي فاطمة تولى منصب كاتب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وولاه أيضاً على بيت المال في عهده⁽²³⁴⁾، وعتبة بن غزوان من عمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البصرة⁽²³⁵⁾، وولي النعمان بن عدي على ميسان⁽²³⁶⁾، وتقديراً لمهاجري الحبشة ممن شهد أحد، فرض لهم عمر بن الخطاب ﷺ، أربعة آلاف درهم لكل رجل⁽²³⁷⁾، وقد رتب أهل التاريخ الصحابة على طبقات، فكان مهاجرو الحبشة هم الطبقة الثالثة⁽²³⁸⁾، أما في عهد عمر ﷺ فقد اهتم بالأحباش، وحرص على أن يأخذوا حقهم المكفول لهم، وتحديدأ فيما يخص الدواوين فقد حفظ عمر ﷺ حق الأحباش، وذلك عندما دون الدواوين في الشام، فضم ديوان الحبشة، ولم يبق بالشام حبشي إلا صار ديوانه مع خثعم وذلك عندما طلب بلال بن رباح منه يجعل ديوانه مع أبي رويحة عبدالله بن عبد الرحمن الخثعمي، الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين بلال عندما هاجر إلى المدينة⁽²³⁹⁾

تأثير المسلمين بأهل الحبشة:

بحكم العلاقات الطويلة والاحتكاك المستمر بحكم الهجرات القديمة إلى إفريقيا والعكس فقد استخدم العرب بعض الكلمات الحبشية في حياتهم وعلى سبيل المثال: كلمة المنبر التي يذكر أنها كلمة حبشية وكانت في الأصل (ونبر) وتعني كرسي أو سدة كبيرة لكرسي الملك، ثم حولت الواو إلى ميم فأصبحت منبر، ولا زالت مستخدمة حتى اليوم⁽²⁴⁰⁾، وكذلك لفظ الجبت والذي يعني بلسان الحبشة شيطان والطاغوت الكاهن، والمشكاة والمقصود بها الكوة بلسان الحبشة، بالإضافة إلى كلمة هرج والتي ذكرت في قول النبي ﷺ بأن بين يدي الساعة أيام الهرج وفيها يزول العلم ويظهر الجهل، والهرج القتل بلسان الحبشة⁽²⁴¹⁾.

قالت أم خالد بنت خالد قدمت من أرض الحبشة وهي جويرية وعليها قميص أصفر وقد أعجب الجارية قميصها وقد كانت فهمت بعض كلام الحبشة فراطنها رسول الله ﷺ بكلام الحبشة بقوله سنه سنه⁽²⁴²⁾، وذكر أن رسول الله ﷺ كساها خميصاً لها أعلام فجعل رسول الله ﷺ يسمح الأعلام بيده ويقول سنه سنه⁽²⁴³⁾، قال الحميدي يعني حسن حسن. وقد أخذ المسلمون المهاجرون إلى الحبشة منه فكرة النعش، فقد صنعت له أسماء بنت عميس كما رأت بأرض الحبشة لزينة بنت جحش، وكانت أول من عمل لها نعشاً⁽²⁴⁴⁾، وقيل أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: «يا أسماء إنني قد استقبحت ما يصنع بالنساء إنه يُطرح على المرأة الثوب فيصفها. فقالت أسماء:» يا بنت رسول الله ﷺ ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة فدعت بجرائد رطبة فحننتها، ثم طرحت عليها ثوباً. فقالت فاطمة رضي الله عنها: ما أحسن هذا وأجمله لا يُعرف به الرجل من المرأة، وأمرتها أن تفعل لها ذلك بعد وفاتها، فاستنكر الناس وعبر البعض بقوله أنها فعلت لها مثل هودج العروس، فردت على الجميع بأن فاطمة رضي الله عنها هي من أمرتها بما فعلت، فتركوها وشأنها⁽²⁴⁵⁾، وعندما مرض رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، واشتد وجعه حتى أغمى عليه فتشاورت نساء في لدهن اللدود نوع من الأدوية وهو ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم. وكانت فيهن أسماء بنت عميس، فلدهن فلما أفاق قال: «ما هذا فعل نساء جئن من هاهنا» وأشار إلى أرض الحبشة⁽²⁴⁶⁾.

رغم أنه لم يذكر شيئاً عن تأثير المسلمين في الأحباش إلا أن ذلك من البديهي أن يحدث نتيجة للفترة التي مكثوها هناك، وولد لهم أثناء تلك الفترة مواليد وللمسلمين عادات في هذه المناسبة، وكذلك منهم من توفي بأرض

الحبشة وكذلك لدى المسلمين أمور يقومون بها في مثل هذا الحدث، ونظراً لاختلاطهم بأهل الحبشة، فمن الممكن جداً أنهم قد أخذوا منهم بعض الأمور كما فعل المسلمون.

الخاتمة:

- ارتبطت الحبشة بالعرب بحكم موقعهما الواقع على البحر الأحمر، الذي مثل نقطة اتصال بينهما، مما أدى إلى تنوع العلاقات بينهما عموماً، والمكية الحبشية على وجه الخصوص في مجالات متباينة بين الاقتصاد، والعداء تارة، والود أخرى.
- اختار النبي ﷺ الحبشة، لتكون قاعدة جديدة للمسلمين، وذلك نظراً لعدة أسباب منها: وجود الحاكم العادل المتمثل في النجاشي، الذي عُرف بالصلاح، ولأن الحبشة بعيدة عن سطوة قريش فلا تربطهما معاهدات كما باقي مناطق الجزيرة العربية.
- على الرغم من أن من أسباب الهجرة تعذيب قريش للمستضعفين خصوصاً وإيذاء باقي المسلمين بطرق مختلفة، إلا أن مهاجري الحبشة لم يكونوا من تلك الفئة، بل من أبناء أشراف وسادة قريش وقبائلها، وذلك لضمان حمايتهم أن تمكنت قريش من إرجاعهم، ولكي تكون هجرتهم هزة قوية لقريش التي ضاقت مكة بأبنائها.
- هاجر المسلمون إلى الحبشة هجرتين، فمنهم من هاجر في الهجرة الأولى، ومنهم في الثانية، والبعض هاجر في الهجرتين، وكانت للمهاجرين عموماً مكانة في الدولة الإسلامية، ولم يكن بقاؤهم فيها أو مغادرتهم لها إلزاماً، فكل منهم يخرج منها متى ما أراد، فمنهم من عاد إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة، ومنهم من هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها، والبعض الآخر وهم آخر المهاجرين رجعوا في السنة السابعة بعد خيبر، بعد أن بعث الرسول ﷺ إلى النجاشي بشأن عودتهم.
- وجد المسلمون في الحبشة الأمان واطمأنوا بفضل النجاشي الذي كان لهم خير جار، والذي حذر من التعرض للمسلمين بقول يكرهونه، وأن من فعلها فقد هلك، وبفضل ذلك، وعاشوا هناك في أمان، يعبدون الله بحرية دون خوف من أحد.
- انتشر الإسلام في الحبشة مبكراً عن طريق التجار المتوجهين إليها قبل الهجرة، ولكن إسلامهم أصبح بشكل أكبر بعد استقرار المسلمين بينهم، فأسلم عدد من أهل الحبشة بمن فيهم النجاشي الذي أسهم في نشر الإسلام وكان إسلام عمرو بن العاص بسبب حديثه معه مراراً.
- استطاع المسلمون تلبية متطلبات حياتهم في الحبشة من خلال الأموال التي كانت تأتيهم من مكة، بالإضافة إلى ما حباهم به النجاشي من رزق، ولا أعتقد أنهم استمروا عالة ينتظرون عطاء هذا وذاك، لأن المسلم لا ينبغي أن يكون كذلك، بل نرجح أنهم امتهنوا التجارة بحكم خبرتهم القديمة فيها، لتوفير حياة كريمة لهم.
- حدث تأثر وتأثير بين المسلمين والأحباش، وذلك بحكم السكن والجوار فهناك بعض

المفردات التي تناقلها المسلمون، ويعود أصلها إلى الحبشة، وكذلك فكرة النعش التي أخذها المسلمون منهم، ويعتقد أن الأحباش أيضاً قد تأثروا بالمسلمين وأخذوا عنهم بعض الأشياء، خصوصاً أن من المسلمين من ولد له أبناء هناك، وبعضهم توفي في الحبشة وهذه مناسبات لها طقوسها.

- حظي الأحباش بمكانة في الإسلام الذي لم يفرق بين حر وعبد، ولا يوجد فيه اعتبار للون، وإنما المعيار الوحيد الذي يفرق بين هذا وذاك من المسلمين، هو التقوى ولا شيء سواه.

- ربطت النجاشي بالرسول ﷺ علاقة ودية، حتى إنه طلب منه أن يزوجه أم حبيبة، والنجاشي من أعطى مهرها، وأرسل النجاشي الهدايا، وأكرم كل منهم للطرف الآخر حفظاً للمعروف بينهم، حتى أن النجاشي أرسل ابنه، وقيل ابن أخيه ليعلم النبي صلى الله عليه وسلم، لكن هذه العلاقة تغيرت بعد وفاة النجاشي، وتحولت إلى عدا، فقد هاجم الأحباش الدولة الإسلامية مرتين الأولى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والثانية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أولا المصادر:

- ابن الاثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت630هـ/1232م):
_ ابن الاثير: أسد الغابة، د.د، د.ط، د.ت.
_ الكامل في التاريخ ، تحقيق / أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ/1987م.
_ الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت250هـ/863م):
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق ودراسة / علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، د.ت.
ابن إسحاق، محمد بن إسحاق:
_ السيرة النبوية ، د.د، د.ط، د.ت.
الأشبيلي: أبو محمد عبد الحق (ت581هـ/1180م):
_ الأحكام الشرعية. تحقيق / أبو عبد الله حسين بن عكاشة، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1422هـ - 2001م.
الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي المعروف بالكافي (ت339هـ/950م):
_ مسالك الممالك، وهو معول على كتاب صور الأقاليم، دار صادر، بيروت، طبع بمدينة ليدن المحروسة، 1937م.
الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت430هـ/1038م):
معرفة الصحابة، د.د، د.ط، د.ت،
البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعدي (ت256هـ/869م):
_ الجامع الصحيح ، تحقيق / مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت ، ط3، 1407 - 1987م.
البصري، أبو زيد عمر بن شبة النميري (ت262هـ/675م):
_ اخبار المدينة ، تحقيق/ علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية بيروت،: 1417هـ-1996م.
_ تاريخ المدينة النبوية، تحقيق / فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، د.ط، د.ت.
ابن بطوطة ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي (ت779هـ/1377م):*_
تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف بـ ”رحلة ابن بطوطة“، تحقيق / محمد عبد المنعم العريان، مراجعة / مصطفى القصاص، دار احياء العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ/1987.
_ البغوي، أبو القاسم عبد الله بن محمد (ت317هـ/927م):
معجم الصحابة ، تحقيق / محمد الأمين بن محمد الجكني ، مكتبة دار البيان، الكويت ، د.ط، د.ت.
_ البكري: عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ/1094م):

- المسالك والممالك ، تحقيق وتقديم وفهرسة / ادريان فان ليوفن واندري فيري، الدار العربية للكتاب، د.م، د.ط، د.ت.
- _ البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/892م):
- انساب الأشراف ، قراءة/ صبحي نديم المار ديني، تحقيق / محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، د. ط، 1418هـ/1997م.
- _ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت458هـ/1050م): ،
- السنن الكبرى ، وفي ذيله الجوهر النقي لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر اباد، ط1، 1344هـ.
- _ الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت279هـ/892م):
- سنن الترمذي، تحقيق /أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت
- _الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت405هـ/1014م):
- المستدرك على الصحيحين، تحقيق /مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1411 - 1990م.
- _ابن حجر: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ/1448م):
- تهذيب التهذيب، د. د، د.ط، د.ت.
- _ الحميري، محمد بن عبد المنعم الحميري (ت727هـ/1326م):
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق /إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ،بيروت، ط2، 1980م.
- _ الحميري، نشوان بن سعيد (ت573هـ/1177م):
- خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التابعة، د.د، د.ط، د.ت.
- _ ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني:
- مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ط، د.ت.
- _الحنفي، أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء الملكي:
- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، تحقيق / علاء إبراهيم، وأيمن نصر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424 / 2004م.
- _ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي (ت367هـ/977م):
- صورة الارض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، د.م، د.ط، 1992م
- _الخزرجي، علي بن الحسين الخزرجي:
- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، د.د، د.ط، د.ت.
- _ أبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م):
- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، د.ت.

- _ ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري (ت 240هـ / 854م):
تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق / أكرم ضياء العمري، دار القلم ، مؤسسة الرسالة ،
دمشق، بيروت، ط2، 1397هـ.
- _ الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي (ت 748هـ / 1347م):
العبر في خبر من غير ، تحقيق / ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب
العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- _ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت 250هـ / 884م):
الطبقات الكبرى ، دار صادر، بيروت، لبنان د.ط، 1377هـ / 1957م.
- _ السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي المتوفى سنة 581 / 1185م):
الروض الأنف في شرح غريب السير، د.د، د.ط، د.ت
- _ الشافعي، محمد بن عمر بحرق الحضرمي (ت 930هـ / 1523م) :
حداائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ، تحقيق / محمد غسان نصوح عزقول،
دار الحاوي، بيروت، 1998م.
- _ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت
360هـ / 970م):
المعجم الكبير، إعداد / عبدالله عبد الهادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. د.ط،
1414هـ / 1993م.
- _ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ / 922م):
تاريخ الامم والملوك، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1407هـ.
- _ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري (ت 463هـ / 1070م):
الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق / شوقي ضيف، وزارة الأوقاف المصرية، لجنة
إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط1، 1415هـ / 1995م.
- _ ابن العربي، أبوبكر محمد بن عبدالله بن أحمد بن العربي المعافري (ت 543هـ / 1148م):
العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ،
تحقيق / محي الدين الخطيب، ومحمود مهدي الاستانبولي ، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2،
1407 / 1987م.
- _ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني المكي (ت 832هـ / 1428م):
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق / فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت. ، ط2،
1405هـ / 1985م.
- _ ابو الفداء: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ / 1374م):
تاريخ أبو الفداء، تحقيق / علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408 هـ / 1988م.
- _ المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت.

- _ الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت 347هـ / 970م):
المعرفة والتاريخ، تحقيق / خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت. د، ط، د.ت.
- _ ابن قتيبة: أبو عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ / 889م):
المعارف، د. د، د.ط، د.ت.
- _ القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ / 1283م):
آثار البلاد وأخبار العباد، د.د، د.ط،
- _ القزويني عبد الكريم بن محمد الرافعي:
التدوين في أخبار قزوين، ضبط بعضه وحقق متنه / عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، بيروت. د، ط، د.ت، 1402هـ / 1987م.
- _ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله (ت 821هـ / 1418م):
صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق / يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق الطبعة الأولى، 1987م، 4 / 264.
- _ ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ / 1372م):
البداية والنهاية، تحقيق / علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ / 1988م.
- _ الكسبي، عَبْدُ بَنِ حُمَيْدِ بْنِ نَصْرِ (ت 249هـ / 863م):
المنتخب من مسند عبد الحميد، د.د، د.ط، د.ت.
- _ ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 257هـ / 888م):
سنن ابن ماجه، مكتبة أبي المعاطي، د.م، د.ط، د.ت.
- _ ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب ابن محمد الشيباني:
تاريخ المستبصر، د.د، د.ط، د.ت.
- _ محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله:
ذخائر العقبى، عن نسخة دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ط، 1356هـ
- _ مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261هـ / 874م):
صحيح مسلم، باب رد المهاجرين إلى الانصار، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت.
- _ ابن منظور: محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت 711هـ / 1311م):
مختصر تاريخ دمشق، د.د، د.ط، د.ت.
- _ المقدسي، مطهر بن طاهر (ت 507هـ / 1113م):
البدء والتاريخ وينسب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، طبع بمدينة باريز، د.ط، 1899م.
- _ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت 303هـ / 915م):
سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406-1986.

- _ النووي، أبي زكريا محيي الدين بن شرف (ت676هـ / 1277م):
تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق / مصطفى عبد القادر عطا، د.د، د.ط، د.ت.
- _ ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري (ت213هـ / 847م): السيرة النبوية، تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ.
- _ ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر (ت749هـ / 1348م):
عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب.
- _ خريدة العجائب وفريدة الغرائب، د.د، د.ط، د.ت.
- _ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله بن عبدالله الرومي البغدادي (ت626هـ / 1229م):
معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- _ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن يعفر بن وهب بن واضح (ت284هـ / 897م):
تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- ثانياً المراجع:**
- بكر بن عبدالله أبو زيد:
_ خصائص جزيرة العرب، د.د، د.م، ط2، 1421هـ.
- جواد علي:
_ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، د.م، ط4، 1422هـ / 2001م.
- _ الحربي، عاتق بن غيث بن زوير البلادي:
_ الْمَعَالِمُ الْجُغَرَفِيَّةُ الْوَارِدَةُ فِي السَّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، د.د، د.ط، د.ت،
_ ابن سعيد المغربي: أبو الحسن علي بن موسى:
_ الجغرافيا، د.د، د.ط، د.ت.
- _ الشحود، علي بن نايف:
_ الفتنة في عهد الصحابة، د.د، د.ط، د.ت.
- _ الصافي، محمد حسين:
_ العلاقات التجارية بين الشرق والغرب عبر البحر الأحمر القرن 8 هجرية / رسالة دكتوراه،
جامعة صنعاء، 1429هـ / 2008م.
- _ الصلابي، علي محمد محمد:
_ السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، د.د، د.ط، د.ت.
- _ عثمان صالح سبي:
_ جغرافية إريتريا، دار الكنوز الأردنية، بيروت، 1983م.
- _ اللهيميد، سليمان بن محمد:
_ الأنوار في سيرة النبي المختار بطريقة سؤال وجواب بقلم، د.د، د.ط، د.ت.
- _ محيي الدين أحمد امام:
_ في رحاب البيت العتيق، د.د، د.ط، د.ت.

المصادر والمراجع:

- (1) ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر (ت749هـ / 1348م): عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص112.
- (2) عثمان صالح سبي، جغرافية إريتريا، دار الكنوز الأردنية، بيروت، 1983م، ص12.
- (3) ابن بطوطة ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي (ت779هـ / 1377م): تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف بـ "رحلة ابن بطوطة"، تحقيق / محمد عبد المنعم العريان، مراجعة / مصطفى القصاص، دار احياء العلوم، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ / 1987: رحلة، 238.
- (4) الصافي، محمد حسين: العلاقات التجارية بين الشرق والغرب عبر البحر الأحمر القرن 8 هجرية / ، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، 1429هـ / 2008م. 61.
- (5) بحر القلزم هو شعبة من بحر الهند أوله من بلاد البربر والسودان الذين ذكرنا في بحر الزنج وعدن ثم يمتد مغربا وفي أقصاه مدينة القلزم قرب مصر وبذلك سمي بحر القلزم ويسمى في كل موضع يمر به باسم ذلك الموضع فعلى ساحله الجنوبي بلاد البربر والحبش وعلى ساحله الشرقي بلاد العرب. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله بن عبدالله الرومي البغدادى (ت626هـ / 1229م) : معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د.ط، د:ت، 1 / 344،
- (6) بلاد الزنج: جزء من بحر الهند الذي يشمل على بر واسع وجزر كبيرة وواسعة فيها اشجار كثيرة لكنها غير مثمرة، ولهم مدن اجلها مقديشو وسكانها عرباء، وهم مسلمون طوائف لا سلطان لهم ولكن لهم شيخ يأترون بأمره؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، 1 / 343.
- (7) النوبة: بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر وهم نصارى أهل شدة في العيش أول بلادهم بعد أسوان يجلبون إلى مصر فيباعون بها، ومدينة النوبة اسمها دمقلة وهي منزل الملك على ساحل النيل وطول بلادهم مع النيل ثمانون ليلة، وشرقي النوبة أمه تدعى البجة وبين النوبة والبجة جبال منيعة شاهقة، والنوبة أصحاب إبل ونجائب وبقر وغنم وللكهم خيل عتاق وللعمامة براذين ويرمون بالنبل عن القسي العربية وفي بلادهم الحنطة والشعير والذرة ولهم نخل وكروم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، 5 / 309.
- (8) لاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي المعروف بالكافي (ت339هـ / 950م): مسالك الممالك، وهو معول على كتاب صور الأقاليم، دار صادر، بيروت، طبع بمدينة ليدن المحروسة، 1937م، 4. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادى (ت367هـ / 977م): صورة الارض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، د.م، د.ط، 1992م، 20.

- (9) بكر بن عبدالله أبو زيد: خصائص جزيرة العرب، د. د. م. ط 2، 1421 هـ، 7.
- (10) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774 هـ / 1372 م): البداية والنهاية، تحقيق / علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1408 هـ / 1988 م، 1/ 98، 11/ 243.
- (11) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت 360 هـ / 970 م): المعجم الكبير، إعداد / عبدالله عبد الهادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. د. ط، 1414 هـ / 1993 م، 6 / 404.
- (12) أبو الفداء: أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت 732 هـ / 1331 م): المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت، 1 / 69.
- (13) جواد علي: المفصلي تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، د. م. ط 4، 1422 هـ / 2001 م، 2 / 132.
- (14) ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، د. د. ط، د. ت، 1/ 4.
- (15) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله (ت 821 هـ / 1418 م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق / يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق الطبعة الأولى، 1987 م، 4 / 264.
- (16) هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وامه عاتكة بنت مره بن هلال، أول تولى السقاية والرفادة، وقد حفر بئر لبني عبد الدار، وكان موسراً جواداً، واشتهر بتقديمه طعام الثريد لقومه، كان تاجراً، واشتهرت التجارة في عهده، فكان زعيم تجارة قريش، وتوفي متاجراً في غزة وقبره هناك، الكامل، 1/ 155، 249. جواد علي، المفضل، 7 / 67، 9 / 65، 13 / 192.
- (17) عبد شمس بن عبد مناف بن عبد الدار، امه عاتكة بنت مره بن هلال، من سادة قريش هو من حفر بئر خم بمكة، وبئر الطوى وغيرها، المفضل 13 / 191، 192.
- (18) البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ / 892 م): انساب الأشراف، قراءة / صبحي نديم المار ديني، تحقيق / محمد فردوس العظم، دار الیقظة العربية، دمشق، د. ط، 1418 هـ / 1997 م، 1 / 26. ابن كثير: البداية والنهاية، 2 / 311.
- (19) (19) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني المكي (ت 832 هـ / 1428 م): العقد الثمين في تاريخ البلد الامين، تحقيق / فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، 1405 هـ / 1985 م، 3 / 253.
- (20) الصافي: العلاقات، 61.
- (21) ابن الوردي: عجائب الدنيا، 115.
- (22) ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت، 3 / 276.
- (23) الحميري، محمد بن عبد المنعم الحميري (ت 727 هـ / 1326 م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق / إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط 2، 1980 م، 332.

- (24) ابن سعيد المغربي: أبو الحسن على بن موسى، الجغرافيا، د.د، د.ط، د.ت، 22
- (25) ابن الجاور: تاريخ المستبصر، 2 / 276.
- (26) رضوى: جبل بالقرب من المدينة على سبعة مراحل، وعلى مسيرة يوم من ينبع. ياقوت الحموي: معجم البلدان، 3 / 51.
- (27) ياقوت الحموي: معجم البلدان، 2 / 92، 93.
- (28) الصافي: العلاقات، 193.
- (29) الصافي: المرجع نفسه، 65.
- (30) الحميري: الروض المعطار، 45.
- (31) ابن سعيد المغربي: الجغرافيا، 1 / 12.
- (32) ابن الوردي: عجائب البلدان، 112. ابن أبي الفداء: المختصر، 1 / 61. ابن سعيد المغربي: الجغرافيا، 1 / 12.
- (33) الحميري الروض المعطار، ص 332.
- (34) المفصل 2 / 237.
- (35) من وجهاء قريش وسادتهم قريش، المفصل، عُرف عند أهل مكة بشيبة الحمد لكثرة حمد الناس له، وسبب تسميته عبد المطلب نسبة إلى عمه المطلب الذي حمله من يثرب إلى مكة وكان يقول هذا عبدي أو عبد لي فسمي عبد المطلب لذلك، وكان وجيهاً في قومه لأنه كان يتولى السقاية والرفادة، ويثر زمزم، وهو أول من تعبد بغار حراء، وذلك طوال شهر رمضان، وتوفي وقد تجاوز 80، وبعد وفاته لم تقم أسواق في مكة أياماً كثيرة جواد علي: المفصل، 6 / 204، 7 / 74، 81.
- (36) من سادة قريش، وأشرفها وهو والد أبو سفيان، وكان ممن يقرأ ويكتب، وهو من شعراء قريش، ومن المحاربين وأصحاب الرأي في الحروب، هو قائد قريش في حرب الفجار، والكنيف في الجاهلية، جواد علي المفصل 9 / 250، 15 / 117.
- (37) البلاذري: انساب الأشراف، 1 / 32. ابن الأثير: الكامل، 1 / 147.
- (38) وهو زرعة ذو نواس بن تبان أسعد أبي كرب بن ملك يكرب بن زيد بن عمرو في رأي الإخباريين، وهو قيل هو يوسف ذو نواس بعد تهوده في رأيهم أيضاً. كان من أبناء الملوك، وهو آخر ملك حميري، وقيل سمي ذو نواس لأنه كانت له ذؤابتان تنوسان على عاتقه. جواد علي: المفصل، 4 / 244.
- (39) الحميري: خلاصة السير، 1 / 52.
- (40) ابن الوردي: عجائب البلدان، 112.
- (41) ابن كثير: البداية والنهاية، 6 / 337.
- (42) الخزرجي، علي بن الحسين الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، د.د، د.ط، د.ت، 1 / 1.

- (43) البكري: عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ/1094م): المسالك والممالك، تحقيق وتقديم وفهرسة / ادريان فان ليوفن واندرى فيري، الدار العربية للكتاب، د.م، د.ط، د.ت، 72.
- (44) ياقوت الحموي: معجم البلدان، 4/ 395.
- (45) الازرقى، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت250هـ/863م): اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق ودراسة / علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، د.ت، 105/1_115.. محيى الدين أحمد إمام: في رحاب البيت العتيق، د.د، د.ط، د.ت، 19.
- ابو الفداء: المختصر، 1/ 161.
- (46) سورة الفيل: آية 1.
- (47) ابن الجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب ابن محمد الشيباني: تاريخ المستبصر، د.د، د.ط، د.ت، 16.
- (48) ابن كثير: البداية والنهاية، 3/ 393.
- (49) سورة النساء، آية 97.
- (50) البلاذري: انساب الأشراف، 1/ 85. ابن الأثير: الكامل، 1/ 265. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ / 922م): تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ، 1/ 402.
- (51) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت250هـ/884م): الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، لبنان د.ط، 1377هـ/1957م، 1/ 204. ابن الأثير: الكامل، 1/ 265. ابن الوردي: تاريخ، 101. ابو الفداء: المختصر، 1/ 177.
- (52) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الجمحي. يكنى أبا السائل، أمه سخيلة بنت العنيس بن أهبان بن حذافة بن جمح، وهي أم السائب وعبد الله ابني مظعون، أسلم أول الإسلام، قال ابن إسحاق: أسلم عثمان بن مظعون بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى مع جماعة من المسلمين. ابن الاثير: أسد الغابة، د.د، د.ط، د.ت، 2/ 255.
- (53) المقدسي، مطهر بن طاهر (ت507هـ/1113م): البدء والتاريخ وينسب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، طبع بمدينة باريز، د.ط، 1899م، 1/ 230.
- (54) ابن اسحاق، محمد بن اسحاق: السيرة النبوية، د. د، د.ط، د.ت، 1/ 74. ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت213هـ / 847م): السيرة النبوية، تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد، دارالجيل، بيروت، ط1، 1411هـ، 2/ 164.
- (55) ابن كثير: البداية والنهاية، 3/ 84. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت463هـ/1070م): الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق / شوقي ضيف، وزارة الأوقاف المصرية، لجنة إحياء التراث

- الإسلامي، القاهرة، ط1، 1415هـ/1995م، 7. ابن الوردي: تاريخ، 101. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م): تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، د.ت، 3 / 8.
- (56) الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت405هـ/1014م): المستدرک علی الصحیحین، تحقیق /مصطفی عبد القادر عطا، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط1، 1411 - 1990م، 2 / 679.
- (57) ابن عبد البر: الدرر، 2 / 34. الطبري: تاريخ الرسل، 1 / 403. الحاكم: المستدرک، 3 / 403. ابن منظور: محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت711هـ/1311م): مختصر تاريخ دمشق، د.د، د.ط، د.ت، 16 / 72.
- (58) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعدي (ت256هـ/869م): صحيح البخاري الجامع الصحيح، دار الشعب، القاهرة، ط1، 1407 - 1987م، 3 / 128، 5 / 72، 7 / 187.
- (59) (59) ابن العربي، أبوبكر محمد بن عبدالله بن أحمد بن العربي المعافري (ت543هـ/1148م): العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق / محي الدين الخطيب، ومحمود مهدي الاستانبولي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1407 / 1987م، 1 / 71. ابن قتيبة: أبو عبد الله بن مسلم الدينوري {ت276هـ/889م}: المعارف، د.د، د.ط، د.ت، 42. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، 3 / 143.
- (60) الحاكم: المستدرک، 4 / 50.
- (61) الطبراني: المعجم الكبير، 1 / 61.
- (62) الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (المتوفى: 347هـ): المعرفة والتاريخ، تحقيق / خليل المنصور، دار الکتب العلمیة، بیروت، 3 / 284. الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق / عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ط1، 1407هـ - 1987م، 1، 183، 184.
- (63) لسكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ابن لؤي، أخو سهيل بن عمرو، وهو من مهاجرة الحبشة، هاجر إليها ومعه امرأته سودة بنت زمعة، وتوفي هناك، وقيل رجع السكران إلى مكة فمات بها قبل الهجرة إلى المدينة، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم على زوجته سودة بنت زمعة. ابن الأثير: أسد الغابة، 1 / 460.

- (64) هو أبو يزيد سهيل ابن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري، أحد سادات قريش وأشرافهم وخطيبهم، أسره المسلمون يوم بدر، وعلى يديه انبرم الصلح يوم الحديبية، ثم أسلم يوم الفتح. النووي، أبي زكريا محيي الدين بن شرف (ت676هـ/1277م): تهذيب الأسماء واللغات، 1/336، تحقيق / مصطفى عبد القادر عطا، د.د، د.ط، د.ت.
- (65) البلاذري: انساب الأشراف 1 / 94، 95. ابن عبد البر: الدرر، 11.
- (66) ابن كثير: البداية والنهاية، 7/183.
- (67) عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو أمية القرشي الأموي، المعروف بالأشدرق، يقال إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه، وعن عمر وعثمان وعلي وعائشة، وحدث عنه بنوه، واستنابة معاوية على المدينة، وكذلك يزيد بن معاوية، وكان من سادات المسلمين، ومن الكرماء المشهورين، يعطي الكثير، ويتحمل العظام. ابن كثير: البداية والنهاية، 8/341.
- (68) ابن عبد البر: الدرر، 7.
- (69) الطبري: تاريخ الأمم، 1/402. ابن الأثير: الكامل، 1/265. الذهبي: تاريخ الإسلام، 1/184. ابن خلدون: العبر، 3/8.
- (70) ابن الأثير: الكامل، 1/261.
- (71) سورة النحل، آية 106.
- (72) ابن عبد البر: الدرر، 2. الصلابي: السيرة النبوية، 282.
- (73) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوحي، 4/110. محب الدين الطبري: أحمد بن عبدالله: ذخائر العقبي، عن نسخة دار الكتب المصرية، ونسخة الخزنة التيمورية، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ط، 1356هـ، 213.
- (74) ابن كثير: البداية والنهاية، 3/9.
- (75) ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، مسند أحمد، 4/295، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ط، د.ت. ابن عبد البر: الدرر، 7، 10. ابن الأثير: الكامل، 1/264. الذهبي: تاريخ الإسلام، 1/184. الطبري: تاريخ الامم، 1/403.
- (76) ابن عبد البر: الدرر، 10. ابن خلدون، العبر، 3/4. الصلابي، علي محمد محمد، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، د.د، د.ط، د.ت، 285.
- (77) الطبري: تاريخ الأمم، 1/402.
- (78) الصلابي: السيرة النبوية، 285.
- (79) الطبري: تاريخ الأمم، 1/547.
- (80) الصلابي: السيرة النبوية، 286.
- (81) الشعبية: مرفئ على ساحل بحر الحجاز، كان مرفئ مكة وسفنها قبل جدة، وهو

- مرفئ السفن من ساحل الحجاز في القرن السابع الهجر / الثالث عشر الميلادي ياقوت الحموي: معجم البلدان، 3/ 350، 351. وكانت تقصده السفن؛ للتزويد بما تحتاج إليه، ولتفرغ فيه ما تأتي به من سلع من «أفريقيا» وسواحلها الشرقية إلى «الحجاز». جواد علي: تاريخ العرب، 7/ 115.
- (82) الطبري: تاريخ الامم، 1/ 402.
- (83) ابن سعد: الطبقات، 1/ 204. ابن كثير البداية والنهاية، 3/ 84. ابن الوردي، تاريخ، 101.
- (*) دهلك: وهي جزيرة في بحر اليمن وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، 2/ 492.
- (84) الطبري: تاريخ الامم، 1/ 402، الحميري: الروض المعطار، 244.
- (85) باضع: وهي جزيرة في ساحل البجاه، والحبشة وأهلها مسلمون. الحميري: الروض المعطار، 332.
- (86) الحربي، عاتق بن غيث بن زوير البلادي: المعالم الجغرافية الواردة في السنة النبوية، د. د. ط، د. ت، 80.
- (87) الحميري: الروض المعطار، 244.
- (88) البلاذري: أنساب الأشراف، 1/ 86. الحاكم: المستدرک، 3/ 552.
- (89) الحميري: الروض المعطار، 332. البكري: المسالك والممالك، 1/ 267. ابن الوردي: خريدة العجائب، 1/ 28.
- (90) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن يعفر بن وهب بن واضح (ت 284هـ / 897م): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت، 1/ 75.
- (91) النجاشي هو اسم الملك على الحبشة، والنجاشي المعني هنا هو اصحمة بن بحر اسلم في عهد النبي وحسن إسلامه، وتوفي في الحبشة قبل فتح مكة، وكان عبداً صالحاً، لبيباً زكياً، عادلاً عالماً. اسد الغابة، 1/ 38، 62. ابن كثير: البداية والنهاية، 3/ 98.
- (92) الحميري: الروض المعطار، 332.
- (93) البلاذري: أنساب الأشراف، 1/ 98. ابن الأثير: الكامل، 1/ 265. اللهيبيد، سليمان بن محمد: الأنوار في سيرة النبي المختار بطريقة سؤال وجواب بقلم، د. د. ط، د. ت، 21.
- (94) المقدسي: البدء والتاريخ، 230. ابن عبد البر: الدرر، 11. ابن الأثير: الكامل، 1/ 265.
- (95) ابو الفداء: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ / 1372م): تاريخ أبو الفداء، تحقيق/ علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1408 هـ / 1988م، 1/ 178. الطبري: تاريخ الامم، 1/ 407.
- (96) سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، رئيساً في قريش، يقال له ذو

التاج، لأنه كان إذا لبس العمامة، لا يعتَم أحد يومئذ إعظاماً له، وسمي بذِي التاج لنفس السبب، مات مشركاً قبل بدر. ابن كثير: البداية والنهاية، 8/ 91. ابن حجر: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ/ 1448م): تهذيب التهذيب، 4/ 43، د. د. ط، د. ت.

(97) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، من أشرف مكة وساداتها، وقد عرف بين قومه بـ"العدل". وذكر أنه إنما عرف بذلك؛ لأنه كان يعدل قريشاً كلها، فكانت قريش تكسو الكعبة جميعها، ويكسوها الوليد وحده، وذلك لثرائه وغناه، وكان من المستهزئين الرسول والاسلام، من اصحاب الرأي في قريش، استشير فيما يقولوه عن القرآن، والنبي صلى الله عليه وسلم فقال بل قولوا وانا اسمع فاقترحوا شاعر وكاهن، فقال والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لجني فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لان تقولوا هذا ساحر. ابن كثير البداية والنهاية، 3/ 79. جواد علي: المفصل، 7/ 107.

(98) البلاذري: أنساب الأشراف، 1/ 98. ابن كثير: البداية والنهاية، 3/ 113. الطبراني: المعجم الكبير، 7/ 416.

(99) (99) أخو أبي جهل بن هشام، أسلم سلمة قديما وهاجر إلى الحبشة، وبعد رجوعه حبس في مكة، ثم هرب ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الخندق، وكان معه بها، وقد شهد أجنادين وقتل بها. ابن كثير البداية والنهاية، 7/ 40. (100) الحاكم: المستدرک، 3/ 281.

(101) المقدسي: البدء والتاريخ، 230. ابن الأثير: الكامل، 1/ 266. ابو الفداء: المختصر، 177/ 1. ابن خلدون: العبر، 3/ 4. الذهبي: تاريخ الإسلام، 1/ 185. الطبري: تاريخ الامم، 1/ 403.

(102) اللهيميد: الانوار، 22.

(103) خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي. وهو ابن أخي الحارث وأبي جهل ابن هشام، وقتل أبو العاص يوم بدر كافراً. واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على مكة، لما عزل عنها نافع بن عبد الحارث الخزاعي، واستعمله عليها عثمان بن عفان رضي الله عنه. ابن حجر: اسد الغابة، 1/ 307.

(104) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، 16/ 70.

(105) الطبري، تاريخ الأمم، 1/ 401.

(106) لم أجد لها ترجمة فيما اطلعت عليه من تراجم.

(107) ابن الأثير: الكامل، 1/ 268. الحاكم: المستدرک، 4/ 65. ابن هشام: السيرة النبوية، 2/ 187. الذهبي: تاريخ الإسلام، 1/ 181.

(108) الطبري: تاريخ الامم، 1/ 402.

- (109) المقدسي : البدء والتاريخ، 231.
- (110) الذهبي: تاريخ الإسلام، 1 / 188، 2 / 129.
- (111) الأديم هو الجلد المدبوغ، ابن منظور: لسان العرب، مادة آدم، 34.
- (112) ابن حنبل، مسند أحمد حديث الهجرة، 1 / 202. ابن عبد البر: الدرر، 36. أبو الفداء: المختصر، 1 / 177. الذهبي: تاريخ الإسلام، 1 / 192.
- (113) عمرو بن أمية الضمري وهو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إلياس بن عبد بن ناشرة بن كعب بن جدي بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، يكنى أبا أمية ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده عينا إلى قريش فحل حبيب بن عدي من حبشته، وبعثه وكيلا ورسولا إلى النجاشي مهاجري ، قديم الإسلام ، من مهاجرة الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة، حليف قريش. الاصفهاني، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله (ت430 هـ / 1038م): معرفة الصحابة، د.د، د.ط، د.ت، 14 / 179.
- (114) الطبري: تاريخ الامم، ج2، ص29. ابن كثير: البداية والنهاية ، 3 / 104. ابن خلدون: العبر، 36، 37. القلقشندي: صبح الأعشى، 6 / 245، 264.
- (115) ابن حنبل، مسند أحمد، حديث الهجرة، 1 / 202. ابن الأثير: الكامل، 1 / 266.
- (116) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، 1 / 202، حديث الهجرة.
- (117) ابن عبد البر: الدرر، 36.
- (118) المقدسي: البدء والتاريخ، 231.
- (119) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، 1 / 202، حديث الهجرة. المقدسي: البدء والتاريخ، 231. الطبري: تاريخ الامم، 1 / 405.
- (120) ابن عبد البر: الدرر، 36.
- (121) ابن عبد البر: الدرر، 35.
- (122) الذهبي: تاريخ الإسلام، 2 / 132.
- (123) أحمد بن حنبل، 1 / 461، مسند عبدالله بن مسعود. الذهبي: تاريخ الإسلام، 2 / 133. اليعقوبي: تاريخ، 1 / 115.
- (124) ابن كثير: البداية والنهاية، 3 / 93.
- (125) ابن كثير: المصدر نفسه، 3 / 97.
- (126) ابن كثير: المصدر نفسه، 3 / 97.
- (127) وهو فرع من النيل الكبير يدخل في بلاد الحبشة ويسمى النيل الأزرق، ويسيل من هضبة الحبشة إلى بلاد السودان الحربي المعالم الجغرافية ، 207.
- (128) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، 1 / 202، حديث الهجرة. ابن كثير: البداية والنهاية، 3 / 95. ابن عبد البر: الدرر، 38. ابن الأثير: الكامل 1 / 267. الذهبي: تاريخ الإسلام، 2 / 132، 133.

- (129) البلاذري : أنساب الأشراف / 1 / 86.
- (130) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، 1، 202، حديث الهجرة.
- (131) ابن كثير: البداية والنهاية، 3 / 97.
- (132) الحاكم :المستدرک، ج3، ص 354.
- (133) البلاذري: أنساب الأشراف، 1 / 93، ص95.
- (134) الحاكم :المستدرک، 3 / 406، 4 / 19.
- (135) ابن كثير: البداية والنهاية، 3 / 95.
- (136) ابن عبد البر: الدرر، 11. ابن كثير: البداية والنهاية، 7 / 182.
- (137) البلاذري: أنساب الأشراف، 1 / 91، 94.
- (138) ابن عبد البر: الدرر، 64. ابن خلدون: العبر، 3 / 40.
- (139) الحربي: المعالم الجغرافية، 80.
- (140) المقدسي: البدء والتاريخ، 230. ابن كثير: البداية، 3 / 95.
- (141) الذهبي: تاريخ الإسلام، 1 / 185.
- (142) اليعقوبي: تاريخ، 1 / 114.
- (143) الذهبي: تاريخ الإسلام، 1 / 185.
- (144) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، 1 / 202، حديث الهجرة. ابن عبد البر: الدرر،
36. الطبري: تاريخ الامم، 1 / 402. ابو الفداء : المختصر، 1 / 77. الذهبي: تاريخ
الإسلام، 2 / 129.
- (145) ابن عبد البر: الدرر، 35. ابن الأثير : الكامل، 1 / 268.
- (146) سورة الفرقان ، آية 65.
- (147) احمد بن حنبل، مسند أحمد، 1 / 202، حديث الهجرة.
- (148) الذهبي : تاريخ الإسلام، 1 / 194.
- (149) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 257هـ / 888م) : سنن
ابن ماجه ، مكتبة أبي المعاطي، د.م، د.ط، د.ت، 5 / 142، كتاب الفتن. محب الدين
الطبري: ذخائر العقبى، 214.
- (150) البلاذري: أنساب الأشراف، 1 / 85.
- (151) الذهبي: تاريخ الإسلام، 1 / 190.
- (152) ابن هشام : السيرة النبوية، 2 / 327.
- (153) البخاري صحيح البخاري، 5 / 1952.
- (154) الحنفي، أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء الملكي: تاريخ مكة المشرفة
والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، تحقيق / علاء إبراهيم، وأيمن نصر،
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424 / 2004م، 223.

- (155) البلاذري : أنساب الاشراف، 1 / 85. ابن كثير: البداية والنهاية، 7 / 307. اليعقوبي: تاريخ، 1 / 115.
- (156) البلاذري: أنساب الأشراف، 1 / 91. الحاكم : المستدرک، 4 / 19.
- (157) البلاذري: أنساب الأشراف، 1 / 93. ابن أبي زرعة: تاريخ أبي زرعة، د.د، د.ط، د.ت، 1 / 76.
- (158) ابن كثير البداية والنهاية، 8 / 356. البغوي، أبو القاسم عبد الله بن محمد (ت317هـ / 927م): معجم الصحابة ، تحقيق / محمد الأمين بن محمد الجكني ، مكتبة دار البيان، الكويت ، د.ط، د.ت، 3 / 236، 4 / 134.
- (159) ابن قتيبة: المعارف، 61. الذهبي: تاريخ الإسلام، 1 / 184. البغوي: معجم الصحابة، 4 / 224.
- (160) الحاكم : المستدرک، 3 / 277. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 16 / 74.
- (161) البلاذري: أنساب الأشراف، 1 / 91.
- (162) البلاذري: أنساب الأشراف، 1 / 87. ابن عبد البر: الدرر، 63.
- (163) ابن قتيبة: المعارف، 29، 61. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، 3 / 181.
- (164) ابن عبد البر: الدرر، 63.
- (165) الذهبي تاريخ الإسلام ، 1 / 195.
- (166) القلقشندي: صبح الأعشى، 6 / 455. الذهبي: المصدر نفسه ، 2 / 129.
- (167) ابن سعيد المغربي: الجغرافيا، 1 / 12. البكري: المسالك والممالك، د.د، د.ط، د.ت، 1 / 277.
- (168) الحربي: المعالم الجغرافية، 80.
- (169) السيوطي: تاريخ الخلفاء، 1 / 15.
- (170) المقدسي: البدء والتاريخ، 290.
- (171) الشافعي، محمد بن عمر بحرق الحضرمي (ت930هـ / 1523م) : حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ، تحقيق / محمد غسان نصوح عزقول، دار الحاوي، بيروت، 1998م، 330.
- (172) الشحود، علي بن نايف: الفتنة في عهد الصحابة، د.د، د.ط، د.ت، 130.
- (173) الذهبي: تاريخ الإسلام، 1 / 220.
- (174) الشافعي: حقائق النوار 330.
- (175) الشحود: الفتنة في عهد الصحابة، 130.
- (176) الاصبهاني: تاريخ اصبهان، 1 / 76، 254.
- (177) أحمد بن حنبل، مسند أحمد ، 5 / 56.
- (178) البخاري: صحيح البخاري، 4 / 40، 7 / 48.

- (179) الكِسِّي، عَمِيدُ بْنُ حَمِيدٍ بْنِ نَصْرِ (ت249هـ): المنتخب من مسند عبد الحميد، د.د، د.ط، د.ت، 271/1.
- (180) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مسند انس بن مالك 3 / 153، 161.
- (181) البخاري: صحيح البخاري، 5 / 411.
- (182) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت261هـ/ 874م): صحيح مسلم، باب رد المهاجرين إلى الانصار، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت، 5 / 162.
- (183) ابن كثير: البداية والنهاية، 6 / 367.
- (184) ابن الأثير: الكامل 1 / 261. ابن الوردي: تاريخ، 141.
- (185) الحاكم: المستدرک، 3 / 321. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، 10 / 449. البصري، أبو زيد عمر بن شبة النميري (ت262هـ/ 675م): اخبار المدينة، تحقيق/ علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية بيروت: 1417هـ- 1996م، 1 / 110.
- (186) ابو الفداء: المختصر، 1 / 113. تاريخ أبو الفداء، 1 / 251.
- (187) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت279هـ/ 892م): سنن الترمذي، تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، 5 / 772. الاشبيلي: أبو محمد عبد الحق (ت581هـ / 1180م): الاحكام الشرعية. تحقيق / أبو عبد الله حسين بن عكاشة، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1، 1422هـ - 2001م، 4 / 489.
- (188) البلاذري: انساب الأشراف، 1 / 81. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، 16 / 22.
- (189) الطبري: تاريخ الامم، 1 / 418.
- (190) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت458هـ/ 1050م): السنن الكبرى، وفي ذيله الجوهر النقي لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر اباد، ط1، 1344هـ، 9 / 97.
- (191) ابن الأثير: أسد الغابة، 1 / 52.
- (192) ابن كثير: البداية والنهاية، 3 / 99.
- (193) البغوي: معجم الصحابة، 5 / 21. الحاكم: المستدرک، 4 / 21. ابو الفداء: المختصر، 1 / 94. ابن كثير: البداية والنهاية، 2 / 416، 8 / 31.
- (194) ابو الفداء: تاريخ أبو الفداء، 1 / 213. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، 3 / 185.
- (195) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 1 / 119.
- (196) ابن كثير: البداية والنهاية، 4 / 164.

- (197) ابن خلدون: العبر، 3 / 37.
- (198) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت 303هـ/915م): سنن النسائي ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406 - 1986م، 6 / 119، القصد في الاصدقة. الحاكم: المستدرک، 2 / 198. ابن الأثير: الكامل، 1 / 317، ص375. ابو الفداء: المختصر، 1 / 94. ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق، 3 / 173، 207.
- (199) الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي (ت748هـ / 1347م): العبر في خبر من غير ، تحقيق / ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، 8.
- (200) ابن كثير: البداية والنهاية، 5 / 248.
- (201) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، 4 / 90.
- (202) الذهبي: تاريخ الإسلام ، 1 / 220.
- (203) الطبري: تاريخ الأمم، 2 / 29. ابن خلدون: العبر ، 3 / 37.
- (204) ياقوت الحموي: معجم البلدان، 4 / 175.
- (205) ابن كثير: البداية والنهاية، 3 / 98. البصري : اخبار المدينة ، 1 / 94.
- (206) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوحي، 2 / 111.
- (207) ابن هشام: السيرة النبوية، 2 / 184.
- (208) ابن كثير: البداية والنهاية، 3 / 98.
- (209) المقدسي: البدء والتاريخ، 288.
- (210) ابن سعد: الطبقات، 2، 163. ابن قتيبة: المغازي، 1، 395.
- (211) النسائي، سنن النسائي، 6 / 43، غزوة الترك والحبشة. ابن كثير : البداية والنهاية، 4 / 117.
- (212) ابو محجن الثقفي، عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي. وقيل: اسمه مالك بن حبيب. وقيل: عبد الله بن حبيب. وقيل: اسمه كنيته. أسلم حين أسلمت ثقيف سنة تسع في رمضان. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم. ابن الاثير: اسد الغابة، 3 / 240.
- (213) الطبري: تاريخ الأمم، 2 / 475.
- (214) الحميري: الروض المعطار، 1 / 332.
- (215) (215) الحاكم : المستدرک، 3 / 266. القزويني: التدوين في اخبار قزوين، 16 / 73.
- (216) (216) السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي المتوفى سنة 581 / 1185م): الروض الأنف في شرح غريب السير، د.د، د.ط، د.ت، 4 / 104. الطبري:

- تاريخ الأمم ، 1/ 409. الحاكم : المستدرک، 3/ 526.
- (217) 217 (ابن كثير: البداية والنهاية، 3/ 613، 614.
- (218) 218 («الجار» مدينة على ساحل بحر «الْقُلُوم»، بينها وبين «المدينة المنورة» يوم ليلة، وبينها وبين «إيله» عشرة مراحل، وتقع قبالتها جزيرة تسمى «القراف»، وهي مرسى لبلاد «الحبشة»، اليعقوبي البلدان 213، 217.
- (219) انظر موقع الجار وجزيرة قراف، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 2/ 92، 93.
- (220) ابو الفداء: تاريخ أبو الفداء، 1/ 213. ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري (ت 240هـ/ 854م) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق / أكرم ضياء العمري، دار القلم ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، بيروت ، ط2، 1397هـ، 11.
- (221) البصري، ابن شبه أبو زيد عمر بن شبه النميري (ت 262هـ/ 675م): تاريخ المدينة النبوية، تحقيق / فهيم محمد شلتوت، دارالفكر، د.ط، د.ت، 1/ 118.
- (222) ابن خلدون: العبر، 3/ 40.
- (223) الطبري: تاريخ الأمم، 1/ 409.
- (224) البلاذري: أنساب الأشراف، 1/ 85. ابن عبد البر: الدرر، 63. ابو الفداء: المختصر، 1/ 64. ابن قتيبة: المعارف، 45. اليعقوبي: تاريخ، 1/ 125. ابن كثير: البداية والنهاية، 3/ 98.
- (225) البيهقي: السنن الكبرى، 7/ 101.
- (226) البلاذري: فتوح البلدان، د.د، د.ط، د.ت، 32. البصري: تاريخ المدينة المنورة، 121. ابو الفداء: المختصر، 1/ 94. البصري: اخبار المدينة، 1/ 118.
- (227) ابن الوردي: تاريخ، 1/ 120.
- (228) ابن كثير: البداية والنهاية، 3/ 98، 5/ 265.
- (229) مسلم، صحيح مسلم من فضائل جعفر، 7/ 173. الحاكم: المستدرک، 3/ 234.
- 234 البصري: تاريخ المدينة المنورة، 1/ 339. الشحود : الفتنة في عهد الصحابة، 461. البصري: اخبار المدينة، 1/ 270.
- (230) الاشبيلي: الاحكام الشرعية، 4/ 459. محب الدين الطبري: ذخائر العقبى، 213، 214.
- (231) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، 3/ 181.
- (232) ابن كثير: البداية والنهاية، 5/ 265. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، 3/ 330، 6/ 129.
- (233) البلاذري: أنساب الأشراف، 1/ 96.
- (234) ابن قتيبة: المعارف، 72. ابن الأثير: الكامل، 2/ 107، 280.
- (235) البلاذري: أنساب الأشراف، 1/ 86. الحاكم: المستدرک، 3/ 292. ابن كثير: البداية والنهاية، 7/ 57.

- (236) 236 () البلاذري: أنساب الأشراف، 1 / 93. القزويني عبد الكريم بن محمد الرافعي: التدوين في أخبار قزوين ، ضبط بعضه وحقق متنه / عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، 1402هـ / 1987م، 1 / 232. القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ / 1283م): آثار البلاد وأخبار العباد ، د.د، د.ط، د.ت، ص189. ياقوت الحموي: معجم البلدان، 5 / 242.
- (237) البلاذري: فتوح البلدان، 550.
- (238) ابو الفداء : المختصر ، 1 / 106. تاريخ أبو الفداء، 1 / 237.
- (239) البلاذري: أنساب الأشراف ، 1 / 83. القزويني، عبد الكريم بن محمد الرافعي: التدوين في أخبار قزوين ، ضبط بعضه وحقق متنه / عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، 1402هـ / 1987م، 1 / 445.
- (240) عبدالله سالم نجيب : تاريخ المساجد الشهيرة، 228.
- (241) لبخاري، صحيح البخاري، 6 / 57، 124، 9 / 61.
- (242) الحاكم: المستدرک، 3 / 279.
- (243) البخاري: صحيح البخاري، 5 / 64. الحاكم: المستدرک، 2 / 72.
- (244) ابن كثير: البداية والنهاية، 5 / 216. ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق، 3 / 182.
- (245) الحاكم : المستدرک، 3 / 177. البيهقي: السنن الكبرى، 4 / 34. محب الدين الطبري: ذخائر العقبي، 53.
- (246) 246 () ابن حنبل، مسند أحمد، 6 / 438. محب الدين الطبري، ذخائر العقبي، 192.

الاتجاهات السياسية والفكرية في العراق خلال القرن الرابع عشر الهجري

المملكة العربية السعودية

د. علي بن حسن أحمد بانافع

المستخلص:

يهدف البحث إلى تتبع الاتجاهات السياسية والفكرية في العراق خلال القرن الرابع عشر الهجري، من خلال الدراسة والبحث لأبرز الأحزاب السياسية والجمعيات أو التيارات الفكرية، وما رافق ذلك من أنظمة حاكمة، واضطرابات سياسية، أو انقلابات عسكرية. اقتضت طبيعة البحث أن يبدأ بتوطئة عن حال العراق في القرن الثالث عشر الهجري، وأبرز التغيرات السياسية والفكرية في عهد المماليك، ثم العثمانيين، كظهور فكر عربي متميز الملامح، وبروز جملة من مخترعات العصر الحديث. تنبع أهمية البحث من كونه يعمل على استقراء التاريخ والأحداث الماضية للاستفادة منها في العصر الحاضر، والتعرف على الاتجاهات السياسية والفكرية في العراق خلال القرن الرابع عشر الهجري، وتوثيق الأحداث التاريخية في العصر الحديث توثيقاً صحيحاً وخاصة لبلد مثل العراق الذي تتنازع طوائف شتى ذات أيديولوجيات مختلفة. اتبع البحث المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال استقراء الاتجاهات السياسية والفكرية في العراق ثم دراسة النتائج وتحليلها. ومن أهم النتائج التي خلص إليها البحث: شهد العراق في القرن الثالث عشر الهجري ظهور فكر عربي متميز الملامح، وبروز جملة من مخترعات العصر الحديث، واهتمام بالتاريخ وفهرسة المخطوطات. تأخرت الحركة القومية في العراق عن بلاد الشام ومصر، ولم تكن تتعدى في بادئ الأمر المطالبة بالمساواة في الحقوق ضمن إطار الدولة العثمانية. وبعد نكسة التقسيم — سايكس بيكو — ثارت القومية في العراق، وأصبحت الدعوة لاستقلال العراق مطلب الجمعيات السياسية، وتأسست أحزاب وجمعيات سياسية أخذت على عاتقها نشر الفكر القومي. في منتصف القرن الرابع عشر برزت الأحزاب السياسية واضحة المعالم، وأدى الخلاف بين الحزب الشيوعي وحزب الاستقلال لقيام وانتشار حزب البعث. تميّز العهد الجمهوري في أوله بالاضطراب والعنف الشديدين، وتصفيات للشيعيين وغيرهم، وسيطر حزب البعث على كل مفاصل الدولة، وتمكّن صدام حسين الوصول إلى قمة هرم السلطة.

Abstract:

Political and Intellectual Trends, in Iraq during Fourteenth Century HDThe research aims to track the political and intellectual trends, in Iraq during the fourteenth century, through having a quick glance to the political parties, associations and Intellectual currents and what accompanied that such as governing regimes, political instability and military coups. The nature of the research makes it necessary to begin with a stepping stone on the state of Iraq in the thirteenth century AH, and to highlight the prominent political and intellectual changes during the era of Mamluk and Othmani; as the emergence of distinct Arab features, and the emergence of several inventions of the modern era, and it singles out the first axis of the beginnings of the ideas of nationalism in modern and contemporary Iraq. Besides it explains the reasons for the delay of Iraq being affected by the ideas emanating from the Levant and Egypt, despite the emergence of several political and intellectual associations. The second topic: in this area the research focuses on the intellectual and political trends since the establishment of the state till the Kilani Movement 1361 AH, where it witnesses several political events, most notably: Britain's occupation of Iraq, the emergence of parties that demanded independence, and the establishment of many cultural and social associations and forums. The third topic is devoted to intellectual and political trends from the Kilani movement to the establishment of the republic, where the political parties emerged with clear features and the intellectual and political direction as well. The fourth topic: this area of the research discusses the intellectual and political trends in the Republican era 1377 AH-1400 AH, and the accompanying violent disturbances and coups, until the domination of Baath Party over all functions of the state.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد الهادي إلى الصراط المستقيم، وعلى آله الطيبين الأطهار وأصحابه المجاهدين الأبرار، وبعد ...

عاش العراق خلال القرن الثالث عشر الهجري حياة بعيدة عن الاستقرار والطمأنينة؛ إذ أحاطت به التغيرات الدراماتيكية السريعة في الحُكَّام المماليك ثم العثمانيين، الذين لم يكن يهمهم شيئاً أكثر من البقاء في مناصبهم، دون توجيه أدنى اهتمام لمشاعر الناس وراحتهم، ورافقت ذلك الأوبئة المهلكة والفيضانات المخربة، والغزوات الفارسية المتكررة، والحروب الدامية التي قام بها المماليك والعثمانيون، التي أنهكت البلاد وأفقدتها استقرارها ورخاءها، وسيطر الخوف على النفوس وسلبها طيب العيش وشلّ تفكيرها ولم يعد لها وقت للتفكير في طلب العلم وتحصيله، وإنما انشغل الناس بدفع الأذى عنهم والحفاظ على أنفسهم التي كثيراً ما تعرّضت للضياع بسبب الأحداث الجسام التي تعرّض لها هذا البلد العظيم، ورغم ذلك كله شهدت الساحة العلمية والثقافية في أواخر عهد المماليك تقدُّماً ملموساً؛ لأنّ المماليك عنوا بالناحية الثقافية في العراق من أجل كسب ثقة العراقيين، ولحاجتهم إلى موقف فكري يستندون إليه، وبالتالي تقوية مركزهم بوجه الدولة العثمانية، التي كانت ترنو للقضاء عليهم وإعادة سلطتهم المباشرة على العراق⁽¹⁾.

لعل أبرز مثال على اهتمام المماليك ورعايتهم للثقافة والفكر ما قام به داود باشا⁽²⁾ من تشجيع الشعراء والفقهاء والعلماء والأدباء، بل وأرباب الطرق الصوفية، وأخذ يغدق عليهم النعم والمنن والجوائز؛ فانتشرت نتيجة لذلك الثقافة العلمية والأدبية، لذا يعتبر عصره بداية اليقظة الحديثة في الأدب العراقي⁽³⁾، وقد ارتفع فيه أسلوب الشعر وأخذ ينمو نمواً جديداً، ونبغ شعراء⁽⁴⁾ كانوا قادة الشعر العراقي خلال القرن الثالث عشر، وهذا في الواقع نتيجة طبيعية لما كان داوود باشا يغدقه على الشعراء من مكافآت مغرية، أضف إلى ذلك أنّ داود باشا نفسه يتذوق الشعر ويطرب له؛ لأنّه أمضى شطراً كبيراً من حياته في دراسة اللغة العربية وآدابها أثناء طلبه العلم في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني⁽⁵⁾.

وقد فرضت هذه الحالة نفسها على المشهد العلمي والثقافي في بغداد وفي المدن العراقية الأخرى، إذ لم يعد أمر دعم هذه الحركة مقصوراً على الحكام المماليك، بل شاركهم في ذلك أسرٌ علمية وأدبية عريقة من أمثال: آل السويدي، وآل الحيدري، وآل الألوسي وغيرهم، وقامت بدور فعال ومؤثر

في تشجيع وإنعاش الحركة الفكرية من خلال نشر التعليم وإنشاء المكتبات وإيقاف الأرزاق على المدارس، وعقد المجالس الأدبية وتأليف العديد من المؤلفات العلمية والأدبية، مما شكل البذرة الطيبة في تكوين النهضة الفكرية والعلمية التي بدأت معالمها تظهر إلى حيّز الوجود في العراق في أواخر القرن الثالث عشر⁽⁶⁾.

كانت الحياة الفكرية التي بُذرت بذورها فيه في ظل نظام حكم المماليك، قد أخذت بالتطور بسرعة، لتشهد في أواخر القرن الثالث عشر ظهور فكر عربي متميّز الملامح ووعي اجتماعي غير قليل، ترك آثاره الواضحة على حركة كتابة التاريخ آنذاك⁽⁷⁾، وشهدت الفترة التي تلت انتهاء عهد المماليك ظهور عدد كبير من أعظم الفقهاء، والشعراء، والأدباء، والمفسرين، أمثال: أبي الثناء الألوسي⁽⁸⁾، ومحمود شكري الألوسي⁽⁹⁾ وغيرهم، الذين قامت على يدهم نهضة ثقافية عربية بحثة بعيدة عن التأثير العثماني، وتحسّس ملموس لجذوره العربية المتميزة، وكان أثره البارز، في تجاوز اهتمامات بعض المؤرخين الأطر التقليدية للمدينة، أو القبيلة، أو الأقاليم، إلى كتابة تاريخ الأمة ذاتها، وكان ظهور أولى المحاولات الجادة لكتابة تاريخ العرب، بوصفهم أمة قائمة بنفسها، لها خصائصها النوعية، وشخصيتها القومية المستقلة، قد برزت على يد محمود شكري نفسه في كتابه الكبير (بلوغ الأرب في أحوال العرب) الذي أراد به النصفَ للعرب. وساعدت على ذلك كله، جملة من مخترعات العصر الحديثة، كإنشاء خطوط للبرق تربط مدن العراق بمدن الأقطار المجاورة، كان من شأنه سرعة توصيل الأخبار إلى المثقفين، والاستغناء عن تسمّع أخبار القادمين مع القوافل التجارية، ومن المسؤولين المعيّنين حديثاً، كما كان يحدث في الحقب السابقة، وتأسيس المطابع في بعض المدن العراقية⁽¹⁰⁾ الذي كان سبباً في نشر نتائج المؤلفين العراقيين بين عدد أكبر من القراء، كما أنّ انتشار الطباعة في أقطار الدولة العثمانية الأخرى، وبخاصة في الولايات العربية، ساهم إلى حدّ كبير في إغناء المكتبة التاريخية العربية بعدد وافر من المؤلفات التاريخية التراثية والحديثة، وصيرورتها في متناول أيدي القراء والباحثين في العراق، بعد أن كان الحصول عليها مخطوطة يعدّ أمراً عسيراً وشاقاً، أضف إلى ذلك أنّ ظهور الطباعة نفسها، كان سبباً في إصدار أولى الصحف والدوريات العراقية، مثلما كانت وسيلة لاستقبال القراء العراقيين مقالات معاصريهم من الكُتّاب في القاهرة واسطنبول وبيروت ودمشق وغيرها، ومثلما وجد مُحَرِّرو تلك الصحف في المادة التاريخية — سواء كانت على هيئة مقالة، أو بحث، أو كتاب متسلسل، أو قصة — غذاءً دائماً ومفيداً لصحفهم

ودورياتهم، فإنَّ هذه الصحف نفسها — بما كانت تنشره من أنباء وأفكار — تحوَّلت لتصبح أحد المصادر الرئيسة لإمداد المؤرخين بأخبار ما يجري في أنحاء العراق والبلاد العربية، بل والعالم أجمع، فساهم ذلك كله في زيادة الوعي التاريخي لدى دائرة واسعة من القراء والمتعلمين⁽¹¹⁾. وشهدت العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري تطوراً مهماً في مجال العناية بالتاريخ، فهماً وكتابة، وذلك بسبب إدخال مادة التاريخ لأول مرة في مناهج الدراسة على المستويات كافة، بوصفه من ثمار حركة إنشاء المدارس الحديثة التي قامت به «نظارة المعارف» العثمانية بعد استحداثها سنة 1264هـ — وبعض البعثات الأجنبية العاملة في العراق، فمنذ سنة 1287هـ — عُدَّت هذه المادة أساسية في مناهج الدراسة الرُّشدية (المتوسطة) لسنواتها الثلاث، وعُدَّت كذلك في مناهج الدراسة الإعدادية سنة 1290هـ — بسنواتها الأربع، بل أدخلت مادة التاريخ الإسلامي في المدارس الرُّشدية العسكرية منذ تأسيسها سنة 1287هـ، وفي المدرسة الإعدادية العسكرية بعد ذلك بتسع سنين، وفي مدرسة الصنائع سنة 1288هـ، وهي أول مدرسة صناعية في العراق، ولقد أدى هذا التطور الجديد في مجال دراسة التاريخ إلى تولد حاجتين أساسيتين، أولاهما: ضرورة وجود كادر متخصص بتدريس هذه المادة، وثانيتهما: الحاجة إلى وجود كتب تاريخ إسلامي وعامي تناسب مراحل الدراسة المختلفة، وقد سُدَّت الحاجة الأولى باستقدام بعض المدرسين الأتراك، وكان منهم المؤرخ التركي الشهير علي سيدي أفندي، أما الحاجة الثانية فقد سُدَّت بقيام بعض المدرسين العراقيين بتأليف كتب تاريخية عامة، ورغم أنَّ لغة تلك الكتب كانت التركية، إلا أنَّ منهجها كان جديداً تماماً، فلأول مرة يتعايش تاريخ أوروبا مع التاريخ الإسلامي في كتاب واحد، وكان إمام الطالب بتواريخ أمم أخرى غير الأمة العثمانية يُعدُّ أمراً جديداً في هذا المجال، وزاد من تأثير هذه الكتب وسعة انتشارها تولي عدد من المثقفين ترجمتها إلى العربية، أو تأليف كتب عربية أصلاً على غرارها مما أسهم في تكوين مناهج جديدة في كتاب التاريخ، وزاد أساليب تلك الكتابة تنوعاً إلى حدٍّ بعيد، وساهمت البعثات الدينية النصرانية في هذه الحركة، فكان التاريخ مادة أساسية تُدرَّسها مدرسة الآباء الدومنيكان في الموصل منذ منتصف القرن الثالث عشر، وكان تأسيس مطبعتهم سبباً في طبع عدد كبير من الكتب التاريخية المدرسية المهمة، تُرجم بعضها عن الفرنسية واللاتينية، بينما ألَّف بعضها الآخر مؤلفون عراقيون، وترددت موضوعاتها بين التاريخ الكنسي المحض لأغراض التعلم الديني، وتاريخ العالم القديم، وتاريخ العصور الوسطى الأوروبية، وهي موضوعات تجمعها جذُّها للقارئ المعني بدراسة التاريخ في

تلك الحقبة⁽¹²⁾. واستجابة لإحساس متعاضم بأهمية كتب التراث في فهم تاريخ الأمة وتحديد مكانتها بين الأمم، وبخاصة ما يتمثل بآلاف المخطوطات التي تزر بها خزائن كتب المدن العراقية آنذاك؛ فقد شهدت العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر مولد معرفة جديدة، وهي فهرسة المخطوطات والتعريف بها، ولعل أول محاولة في هذا المجال، هي التي قام بها عالم بغداد وأديبها خير الدين الألوسي⁽¹³⁾ في كتابه الذي عنوانه «فهرست مكاتب بغداد الموقوفة» سنة 1296هـ — وتناول فيه فهرسة عشر خزانات حافلة بالكتب الملحقه ببعض مساجد بغداد ومدارسها المهمة، وميّز في عمله هذا بين ما هو مخطوط وما هو مطبوع، ولكن الملاحظ أنّ الفكر في العراق في الغالب ظل خلال هذه الفترة مستنداً على النهج التقليدي القديم في دراسة آثار الأولين وتدقيقها وبخاصة العلوم الدينية، ولم يحصل فيه تجدد يدعو إلى الالتفات؛ لأنّه لم يتعرض لحدّ الآن إلى أي تأثيرات ثقافية جديدة، أما نصيب العلوم البحتة من العناية فلم يكن مكافئاً لنصيب العلوم الدينية والأدبية بأي حال من الأحوال⁽¹⁴⁾. وحين تبوأ السلطان عبد الحميد الثاني⁽¹⁵⁾ عرش الدولة العثمانية أصبح في نظر أكثر العراقيين رمزاً للإسلام وعنوان مجده، فهو حامي حمى المسلمين والذائد عن تخومهم تجاه الكفار، وصار الناس يلجئون بالدعاء له في كل مناسبة، ومعنى هذا أنّ الدين والدولة صارا في نظره كأنهما صنوان لا يفترقان أو وجهان لشيء واحد، وقد أسهم الشعراء في تمجيد السلطان عبد الحميد ونال من شعرهم النصيب الأوفر⁽¹⁶⁾.

يقول إبراهيم الوائلي في هذا الصدد: «لقد كان نصيب السلطان عبد الحميد من الشعر العراقي أوفر من غيره مع أنّ الفترة التي حكم فيها سماها المؤرخون فترة الاستبداد، غير أنّ الاستبداد لم يعرف عنه شعراء العراق ما كان يعرفه سواهم من الأتراك أو أنّهم لم يدرسوا المفهوم الذي أدركه سواهم من المطلعين على التيارات السياسية، فقد كان للجامعة الإسلامية التي احتضنها هذا السلطان لتوطيد مركزه أثر كبير عند رجال الدين والشعراء في العراق إذ كان دعاة هذه الجامعة ومؤيدوها لا يألون جهداً في ترسيخها في نفوس العراقيين»⁽¹⁷⁾، واشترك في تمجيد السلطان عبد الحميد الكثير من الشعراء العراقيين⁽¹⁸⁾، وحين نشبت الحرب بين اليونان والدولة العثمانية في شهر ذي القعدة 1314هـ، ونالت الجيوش العثمانية انتصارات باهرة، كان ذلك حافزاً لشعراء العراق أن ينظموا القصائد الرنانة في تمجيد السلطان والإشادة بانتصارات جيوشه التي هي جيوش الإسلام على جيوش النصارى الصليبيين، وكان من جملة هؤلاء الشعراء السيد جعفر الحلي⁽¹⁹⁾، فقد نظم في ذلك قصيدة رنانة تقتطف منها

الآيات التالية:

لَكَ طَاطَأَاتٌ دَوْلُ الضَّلَالِ رِقَابَهَا
قُدُّهَا فَسِيفُكَ قَدْ أَذَلَ صِعَابَهَا
فَالْيَوْمَ صَارَ الدِّينُ فِيكَ مَوْيِّدًا
وَلِدَوْلَةِ الْإِسْلَامِ كُلُّ هَابَهَا
فَمَنْ الْمَطَاوِلُ دَوْلَةٌ نَبَوِيَّةٌ
وَقَفْتُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ حِجَابَهَا
أَرْسَى قَوَاعِدَهَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
وَرَفَعْتُ أَنْتَ إِلَى السَّمَاءِ قِبَابَهَا
لَمْ يَسْطِعِ الْمَخْلُوقُ ذَلَّةَ دَوْلَةٍ
الْحَقُّ خَالَقُهَا أَعَزَّ جَنَابَهَا

وعندما خلع السلطان عبد الحميد في 15 ربيع الأول 1327هـ ووصل خبره إلى العراق كان له صدى بالغ فيه، فقد كان للسلطان عبد الحميد في قلوب العراقيين مهابة عظيمة، يقول توفيق السويدي⁽²⁰⁾ في مذكراته: «إنَّ أكثر المصلين في المساجد بكوا عندما ورد في خطبة الجمعة لأول مرة اسم السلطان الجديد محمد الخامس» ويروي السيد إسماعيل الواعظ ما جرى في الحلّة، وكان مفتياً ورئيساً لفرع الاتحاد والترقي فيها، فقال: «إنَّ برقية وردت إليه في منتصف الليل تنبئ بخلع السلطان عبد الحميد، وفي الصباح غص السراي بالموظفين والأهالي وكان يوماً مشهوداً، وبعد أن تلا هو نص البرقية ألقى دعاءً بالمناسبة ابتدأه بالآية الكريمة: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِنْ مَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26]، فأخذ الناس ليكون بكاءً مرّاً»⁽²¹⁾. وسوف أعطي في عجالة نظرة خاطفة على الاتجاهات السياسية والفكرية في العراق خلال القرن الرابع عشر الهجري، وتشمل الآتي:

- (1) بدايات الفكر القومي في العراق الحديث والمعاصر.
- (2) الاتجاهات الفكرية والسياسية من قيام الدولة وحتى حركة الكيلاني 1361هـ.
- (3) الاتجاهات الفكرية والسياسية من حركة الكيلاني وحتى قيام الجمهورية.
- (4) الاتجاهات الفكرية والسياسية في العهد الجمهوري 1377هـ — 1400هـ.

أولاً: بدايات الفكر القومي في العراق المعاصر:

لم يكن للعرب في العصور المتأخرة فكر قومي بالشكل الواضح الذي نشهده في العصور المتقدمة؛ لأن الدين الإسلامي هو الذي كان سائداً بينهم؛ وكان العرب والمسلمون منهم يعتبرون الأتراك وكافة الأجناس إخواناً لهم في الدين ضمن إطار الدولة العثمانية التي كانت تمثل الخلافة الإسلامية في نظرهم، فقد ألغى الإسلام كل أنواع العصبية والتفاخر بالأرض أو النسب أو القبلية

الجاهلية، يقول الله تعالى: ﴿يَتَّخِذُ الْنَاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، ويقول الرسول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ، لِيَدْعَنَّ رَجُلًا فَخَرَهُمْ بِأَقْوَامٍ؛ إِنَّمَا هُمْ فَخْمٌ مِنْ فَخْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ»⁽²²⁾.

لم يظهر الفكر القومي بين العرب إلا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وكان أول ظهوره بين نصارى الشام، ويعزو ساطع الحصري ذلك إلى أسباب منها: أنهم كانوا أكثر اتصالاً من المسلمين بالدول الغربية، وأنهم فضلاً عن ذلك كانوا يعتبرون الدولة العثمانية غريبة عنهم ومتسلطة عليهم، ولذا فهم كانوا يختلفون في هذا المضمار عن مواطنيهم من المسلمين⁽²³⁾، على أن مبدأ الفكر القومي الحديث، الذي يهدف إلى إقامة كيان مستقل للأمة التي تنتمي إلى أصل واحد أو تقطن بلداً واحدة وتتكلم بلغة واحدة وتشترك في مصالح وأهداف واحدة، لم تظهر بوادره إلا في القرن الثالث عشر، وكانت أوروبا السبّاقة في هذا الاتجاه، وقبل هذا الوقت لا يستطيع الباحث أن يعثر على معالم واضحة ومميزة لظهور المشاعر القومية العربية، بالرغم من الثورات والانتفاضات التي حدثت خلال شتى العهود ضد الحُكّام العثمانيين وظلمهم، غير أن أي حركة منها لم تكن تحمل الطابع القومي الصّرف⁽²⁴⁾.

بيد أن هذا لا يعني أن المشاعر القومية العربية لم يكن لها قبل القرن الثالث عشر أي أثر في النفوس، إنما الشيء البديهي أن مفهوم الفكرة القومية كان كامناً في النفوس؛ بسبب سيطرة أقوام أجنبية على الوطن العربي، فكبتوا الفكرة القومية وغطوا عليها بمفاهيم وروابط أخرى، إلا أنه حينما سنحت الظروف لإيقاظ الفكرة القومية في القرن الثالث عشر انطلق الفكر القومي العربي ليعبر عن ذاته، فظهرت الحركة القومية العربية الحديثة، الهادفة إلى إقامة كيان عربي مستقل⁽²⁵⁾، وبهذه الصورة يمكنني القول بأنّ الشعور القومي العربي لم ترسم معالمه وتتضح أهدافه إلا في مطلع القرن الرابع عشر، حينما أخذ العرب يطالبون باستقلالهم عن الدولة العثمانية ليكون لهم كيان قومي خاص بهم، أما قبل ذلك فلم يكن لهم كيان ليرتقي إلى تحقيق مثل هذا الهدف القائم على إنشاء الدولة القومية الحديثة⁽²⁶⁾. والفكر القومي في العراق لا يختلف جوهرياً عما هو عليه في البلاد العربية الأخرى من حيث إنه تعبير عن وحدة اللغة والثقافة والتاريخ والوطن المشترك، إلا أن الظروف التي مرت بها كل منطقة من مناطق الوطن العربي — من حيث خضوعها لشكل

أو لآخر من أشكال السيطرة الأجنبية — قد أدت إلى نشوء الفكر القومي أو تأخره في هذه المنطقة أو تلك، والعراق حتى أواخر القرن الثالث عشر لم يكن تربة خصبة لنمو الفكر القومي، وبالتالي ظهور الأحزاب السياسية والجمعيات الإصلاحية، ويعود ذلك إلى أسباب كثيرة أبرزها التخلف والجمود الاقتصادي والاجتماعي، اللذان كانا سائدين في العراق في تلك الفترة⁽²⁷⁾.

فعلى خلاف سورية ومصر، لم تكن للعراق اتصالات وثيقة بالأفكار الأوروبية أو بالبعثات التنصيرية أو الإرساليات الثقافية الأوروبية، فضلاً عن ذلك، كان مستوى التعليم في العراق غير عالٍ، وكان عدد الطلبة الذين يرتادون المدارس الموجودة قليلاً، وباستثناء أبناء العوائل الغنية، لم يكن ثمة طلبة يرسلون إلى الخارج لمواصلة التعليم⁽²⁸⁾، فلم يتبلور الفكر القومي في الوطن العربي عامة، وفي العراق خاصة قبل مطلع القرن الرابع عشر، ولكنه في الوقت نفسه لم يكن منقطع الجذور، فلم تتبدل أسس الروابط القومية المتمثلة باللغة والثقافة والتقاليد والمصالح المشتركة تماماً، كما لم يتغير التاريخ العربي، لذا فإن مرحلة ضعفها في ظل السيطرة الأجنبية، لم يكن إلا استعداداً لمرحلة أخرى من مراحل الحركة القومية، التي عبّرت عن نفسها بأشكال شتى، ولم يكن العراق يختلف عن بقية مناطق الوطن العربي من حيث خضوعه للدولة العثمانية التي امتدت لأكثر من أربعة قرون، وهي استتباع لفترة سابقة من فترات السيطرة الأجنبية، قاربت الثلاثة قرون، لذا فقد ضعفت كثير من معالم الشعور القومي في ظل هذه الظروف التي سلبت هذه البلاد سيادتها وحضارتها، وأضعفتها بقوة السلاح⁽²⁹⁾.

على أن الثورات والانقلابات التي كانت تظهر في العراق ما بين فترة وأخرى، لم تكن نتيجة شعور قومي خالص، بل كان الحافز إليها محاربة الظلم والجور الذي كان يمارسه بعض الحُكّام المماليك أو العثمانيين؛ وظل هذا الأمر قائماً حتى نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر، وأول ما يجب أن يُوضح هو أن الفكرة القومية في هذه الفترة كانت تنطوي على حركة ذاتية، وهي ناشئة عن ظروف هذه البلاد وتطورها، حيث شهدت تطوراً ثقافياً ناجماً عن المدارس التي أنشئت في العراق والإصلاحات الحديثة التي أخذت تجد طريقها إليه، ممّا جعل أبناء هذه البلاد أكثر اهتماماً بقضاياهم الوطنية والقومية.

غير أن هذا الاهتمام لم يكن بالشدة نفسها الذي كان عليه في بلاد الشام ومصر، نظراً لاحتكاكهما بالغرب وتأثرهما بأفكاره قبل العراق وإلى حدٍّ أبعد منه بكثير، فقد شهدت مصر منذ منتصف القرن الثالث عشر نهضة

طباعية وصحافية زاهرة، وقد ساهم فيها نصارى الشام الذين هاجروا إلى مصر كييعقوب صروف⁽³⁰⁾، وفارس نمر⁽³¹⁾، وشبلي شميل⁽³²⁾، وجورجي زيدان⁽³³⁾، وفرح أنطون⁽³⁴⁾ وغيرهم، وصار نتاج تلك النهضة يأتي العراق بكثرة فأحدث فيه أثراً فكرياً لا يُستهان به.

أصبحت مصر كأنّها الواسطة الفكرية ودار التعريب بين أوروبا والبلاد العربية، فكانت الأفكار الحضارية الجديدة تأتي إليها من أوروبا، فيترجمها الكتاب والمؤلفون المصريون بعد أن يضيفوا إليها طعماً عربياً، ثم تُرسل بعدئذ بشكل صحف ومجلات وكتب إلى العراق⁽³⁵⁾، وكانت أهم المجلات التي ترد إلى العراق في تلك الآونة هي المقتطف والهلل، وكانت النزعة الغالبة على كلتا المجلتين هي الدعوة إلى تبني الحضارة والعلوم الحديثة، وبناء مجتمع على أساسها، يقول ألبرت حوراني: «عندما وصلت الأعداد الأولى من المقتطف إلى بغداد في 1292 هـ لم يُرحب بالمجلة إلاّ بعض الشباب، بينما قاومها المحافظون من مختلف المذاهب السنية والشيعية والنصرانية واليهودية: لأنّها كانت في نظرهم تنشر عقائد جديدة وخطرة، حتى إنّ نعمان الألوسي نفسه الذي كان زعيم حركة إصلاح إسلامية لا تختلف عن حركة محمد عبده⁽³⁶⁾، قاومها هو أيضاً، وقد انقضى بعض الوقت قبل أن تأخذ عقائدها في الانتشار»⁽³⁷⁾. ومع ذلك نخلص إلى تأثير العراق بالأفكار الصادرة عن بلاد الشام ومصر، غير أنّ الحركة القومية في العراق لم تظهر إلاّ في وقت متأخر نسبياً قياساً لما هو عليه الحال في القطرين المذكورين، إذ ظهرت بعد إعلان الدستور العثماني عام 1326 هـ، ويشخص لنا محمد مهدي البصير⁽³⁸⁾ هذه الحالة بقوله: «إنّ النهضة القومية في العراق أسست بعد إعلان الدستور على أيدي نفر من شبابنا الأحرار الذين أكملوا دروسهم في الآستانة وشهدوا مظاهر الشعور القومي التركي في عاصمة السلطنة، فغلى الدم في عروقهم وجاءوا بغداد ونار الحماسة الوطنية تشتعل بين جوانحهم فبثوا الفكرة القومية في رؤوس ثلة من الشباب، ويغلب على ظننا أنّ حمدي بك الباجه جي⁽³⁹⁾ كان في طليعة الشباب الذين حملوا الفكرة العربية من العاصمة التركية إلى وطنهم القومي»⁽⁴⁰⁾. وفي الحقيقة لم يكن العراق ليوازي بلاد الشام في عدد الجمعيات السياسية التي عبّرت عن فكر ذي طابع عربي قومي، فإنّ ذلك لم يمنع العراقيين وخاصة العسكريين منهم، الذين خدموا جنباً إلى جنب مع إخوانهم العرب في الجيش العثماني، من المشاركة في عضوية ونشاط الجمعيات التي ظهرت في الربع الأول من القرن الرابع عشر، ولم تكن تختص ببلد واحد فقط بل للأمة العربية⁽⁴¹⁾، وقد أدّت التطورات السياسية الدراماتيكية التي شهدتها

الدولة العثمانية بعد عام 1327هـ وتسلم الاتحاديين مقاليد الأمور إلى ظهور اتجاهات جديدة في مجرى الفكر العربي، ذلك أنّ سياسة التتريك التي انتهجها الاتحاديون، ونزوعهم إلى تطبيق المركزية بالنسبة للولايات العربية التابعة للدولة العثمانية، قد دفع العرب إلى التفكير بذاتهم ومستقبلهم، فعندما أنشئت تركيا الفتاة⁽⁴²⁾، على أسس من الوطنية التركية المتطرفة، كانت ردة الفعل عند القادة العرب قوية فأجمعوا أمرهم وسلوكوا الأسلوب ذاته، حيث انشؤوا جمعية المنتدى الأدبي⁽⁴³⁾، وجرى اتصال بين العراقيين، والجمعية القحطانية السرية⁽⁴⁴⁾ وكذلك بينهم وبين الجمعية العربية الفتاة⁽⁴⁵⁾، وكذلك أدّى العراقيون دوراً كبيراً في حزب اللامركزية الإدارية العثماني⁽⁴⁶⁾، الذي اشتد نشاطه في كل من: بغداد والبصرة، فقد كان للحزب فرعان في العراق، وإن كانا يختلفان عنه بالاسم فقد تأسس النادي الوطني العلمي⁽⁴⁷⁾ في بغداد بمساعي رئيسه مزاحم الباجه جي⁽⁴⁸⁾، وألفت جمعية البصرة الإصلاحية⁽⁴⁹⁾ برئاسة طالب النقيب⁽⁵⁰⁾، وكانت هاتان الجمعيتان من الجمعيات الفكرية التي حملت الفكرة العربية الناشئة في العراق، وبشرت بها بين الشباب بشكل خاص⁽⁵¹⁾، ومع إمعان حكومة الاتحاديين الاستبدادية بترسيخ نفسها في اسطنبول، أخذت الأصوات المحبطة في الولايات العربية للدولة العثمانية، المنادية باللامركزية الإدارية أو الحكم الذاتي بتغذية وتعزيز المشاعر الناشئة للقومية العربية، وفي ولايات الرافدين كانت هذه الأصوات أكثر ارتفاعاً في البصرة.⁽⁵²⁾

ففي الثاني من ربيع الثاني 1331هـ انعقد مؤتمر عربي في المحمرة حضره السيد طالب، والشيخ مبارك الصباح⁽⁵³⁾ أمير الكويت، والشيخ خزعل⁽⁵⁴⁾ أمير المحمرة، ومندوب عن الدولة العثمانية، وفي المؤتمر حاول المندوب التركي الحيلولة دون اتخاذ موقف معادٍ للدولة العثمانية، غير أنّه فشل في ذلك⁽⁵⁵⁾، فتم الاتفاق بين المؤتمرين على التحالف فيما بينهم وتنسيق سياساتهم، وعلى قرار يدعو إلى المطالبة بالحكم الذاتي — لا بل بالاستقلال التام — للعراق⁽⁵⁶⁾، وأن يبذل كل منهم قصارى جهده لتحقيق مطالب العراق في الاستقلال، وانتدبوا الرسل إلى كربلاء والنجف لبث الدعاية القومية فيهما، ثم أرسلوا قرار المؤتمر إلى زعماء الحركة العربية في بغداد واسطنبول وسوريا ومصر وغيرها⁽⁵⁷⁾، وبعد انفضاض المؤتمر وفشل مندوب الدولة العثمانية في استمالة هؤلاء الشيوخ، أخذت تحاربهم بضراوة؛ فوجهت إليهم الانتقادات العلنية في صحفها واتهمتهم بالتآمر على سلامة الدولة والاتفاق مع الإنجليز ضدها⁽⁵⁸⁾. وحينها انتقل السيد طالب إلى المهاجمة العلنية لسياسة التتريك⁽⁵⁹⁾ والحركة الطورانية⁽⁶⁰⁾، التي كان يتبعها الاتحاديون، ودعا الجنود العرب في

الجيش العثماني إلى التمرد، حاول حزب الاتحاد والترقي التدبير لمقتله، ولكن بعد فشل المحاولة، دعا كل من السيد طالب وحكومة الاتحاد والترقي إلى عقد هدنة تضمنت اعترافاً بنفوذ طالب، وكانت هناك خطة لتنصيبه والياً على البصرة، وربما كان ذلك هو طموحه الرئيس والسبب الأساسي الذي دفعه إلى مدّ يده للحكومة العثمانية، بيد أنّ تلك الأخيرة تخلّت عن الخطة حين أصبحت قوة المعارضة المحلية واضحة، وعوضاً عن ذلك؛ وفي تبدّل غريب في سياستها، أرسلت أوامر لوالي بغداد باعتقال السيد طالب في ذي القعدة 1332هـ، وبما أنّ تلك الحادثة تزامنت مع الإنزال البريطاني قرب البصرة، عقب اندلاع الحرب، لم يضع طالب وقته في التقرب من البريطانيين — الذين كان على اتصال بهم منذ زمن طويل — وطلب منهم تنصيبه شيخاً أو أميراً على البصرة تحت حمايتهم، وبالرغم من أنّ بعض ذوي المناصب العليا في بريطانيا كانوا يحلمون بإقامة حكومة وصاية بريطانية في البصرة، إلا أنّهم كانوا على علم — أيضاً — بتاريخ طالب المتقلب، ووجدوا أنّه من الآمن لهم إبعاده إلى الهند، التي لازمها حتى عام 1338هـ.

أما في بغداد فقد أكد تحسين العسكري⁽⁶¹⁾ في مذكراته عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية، دور السيد طالب النقيب في دعم النادي مادياً ومعنوياً، وأورد ذلك أيضاً محمد مهدي البصير في (تاريخ القضية العراقية)، ومحمد عزة دروزة⁽⁶²⁾ في معرض كلامه عن (نشأة الحركة العربية الحديثة)، كما أكد بعض المؤرخين ما معناه: أنّ القوميين في بغداد كانوا منقسمين إلى جماعات أربع، فكانت جماعة منهم من أتباع السيد طالب الذي شكّل النادي العلمي الوطني، أما سليمان فيضي⁽⁶³⁾ فيذكر في مذكراته: «أنّ تأسيس هذا النادي لم يتقاطع نشاطه مع نشاط الحركات المعارضة الأخرى، إذ كان فرعاً من فروع حزب الحرية والائتلاف⁽⁶⁴⁾ الذي هو أصلاً حزب (الحر المعتدل) وكان أول حزب أسس في الولايات العربية آنذاك، وكانت قيادته قد وجهت رسائل إلى زعماء الحركة العربية ورموزها في مختلف البلاد العربية بضرورة فتح شعب لذلك الحزب، وكانت ولاية بغداد في مقدمة ذلك»⁽⁶⁵⁾، وكانت جماعة أخرى تنظر إلى الشام في الزعامة والعون، كما كانت جماعة ثالثة تتراسل مع مصر، وارتبطت مباشرة مع حزب اللامركزية العثماني في القاهرة، أما الجماعة الرابعة فقد كونت حزباً بغدادياً مستقلاً يعتمد بالدرجة الأولى على جهوده ورؤسائه⁽⁶⁶⁾. ويمكن القول أنّ جماعة السيد طالب في بغداد كانت أقوى وأنفذ من الجماعات الأخرى، إذ هي كانت تستمد التشجيع والمعونة المادية والأدبية منه، وفي عام 1331هـ أخذت الجماعات القومية تعمل سوية

من أجل توحيد الجهود مع البصرة وبغداد ومصر في تقديم مطالب مشتركة إلى اسطنبول، وكانت الاجتماعات تعقد سرًا في دار الشيخ يوسف السويدي⁽⁶⁷⁾، وكان ابنه ثابت يلهب الحماس بما لديه من ذلاقة لسان. ومثلما ظهر قادة شاميون وعراقيون في مجال العمل القومي السري والعلني، فقد كان لهم حضور طاغ في جمعية العهد⁽⁶⁸⁾، التي حُلَّت محل الجمعية القحطانية، التي أسسها عزيز علي المصري⁽⁶⁹⁾، اعتمادًا على الضباط العرب في الجيش العثماني، وكان اتجاهها يقوم على تقوية النزعة القومية العربية، ولما كان العراقيون ممثلين فيها بشكل واسع، فقد رأيناهم منضمين بإخلاص إلى الآمال الوطنية، وقد افتتحت الجمعية لها فروعًا في بغداد والموصل، ولكن الأتراك اكتشفوا هذا النشاط السري، وأوقفت الشرطة التركية الفريق عزيز علي المصري في 13 ربيع الأول 1332هـ⁽⁷⁰⁾، ورغم اعتقال زعيم الجمعية عزيز علي المصري، فإن رجال الحركة الوطنية في العراق، وبخاصة طالب النقيب في البصرة، قد صمدوا ردًا من الزمن، وذلك بفضل فروع الجمعية الأخرى في البصرة وبغداد والموصل، ومن المفيد الإشارة هنا، إلى أن الدعوة للفكرة القومية في العراق لم تكن تتعدى في مراحلها الأولى المطالبة بالمساواة في الحقوق ضمن إطار الدولة العثمانية أو فكرة اللامركزية الإدارية، ثم انتهت إلى طلب الاستقلال التام بعد انغماس الاتحاديين وفرضهم لسياسة التتريك المتطرفة على جميع القوميات المكونة للدولة العثمانية، فقد كان من الطبيعي — وطرفا النزاع يدينان معًا بالإسلام — أن يتبلور الشعور الوطني إلى شعور قومي، وأن يتحقق الفصل بين الإسلام وبين المفهوم القومي العربي سعيًا لمقاومة العثمانيين⁽⁷¹⁾.

ثانيًا: الاتجاهات الفكرية والسياسية من قيام الدولة حتى حركة الكيلاني⁽⁷²⁾:

أوشك الفكر القومي أن يختمر قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1336هـ — إلا أن اندلاعها قد غيّر مجريات الأمور، وسارت الرياح بما لا تشتهي السفن الحركة القومية العربية، فقد انقسم العرب في تعاملهم مع الدولة العثمانية من جهة، ومع الحلفاء بريطانيا وفرنسا من جهة أخرى، وكانت نتيجة هذا الانقسام أن أنهت بريطانيا السيادة العثمانية على مصر، وأعلنت هذا البلد محمية بريطانية، كما احتلت بريطانيا كلاً من العراق وفلسطين، واحتلت فرنسا لبنان، ثم تقدمت إلى سوريا، وأسقطت الحكم الفيصلي فيها، مما أدى إلى قيام حكم بريطاني أو فرنسي في هذه البلدان وفقًا لنظام الانتداب. كان الوضع الجديد غاية في الخطورة؛ لأن العرب الذين ثاروا على الأتراك العثمانيين في الثورة العربية الكبرى عام 1335هـ وحلموا بالاستقلال، لم يجنوا

إلا الاحتلال، وذلك بعد نكث الحلفاء بوعودهم التي قطعوها للشريف حسين، إذ في الوقت الذي كانوا يعدونه باستقلال المناطق العربية، كانوا يخططون باتفاقاتهم السرية تقسيم المشرق العربي، وهو ما عبّرت عنه اتفاقية سايكس بيكو⁽⁷³⁾ 1334هـ، ووعد بلفور المشؤوم⁽⁷⁴⁾ 1335هـ، وبهذا أصيبت الحركة العربية بنكسة التقسيم وتفرقت الأحلام الوحدوية، وكانت هذه النكسة بداية لترسيخ الإقليمية المحلية الضيقة التي كانت سمة المرحلة التالية، استأنف العرب نضالهم القومي ضد السيطرة الاستعمارية الجديدة؛ ففي سوريا أعلنت حكومة مستقلة بزعامة فيصل بن الحسين⁽⁷⁵⁾ ملكاً عليها، فأثار استقلال هذه الحكومة النائرة القومية في العراق، خاصة وأنها كانت تطالب باستقلاله في كل مناسبة، على أن الدعوة لاستقلال العراق أصبحت المطلب الرئيس للعراقيين عامة، والجمعيات السياسية خاصة، فجمعية العهد العراقي⁽⁷⁶⁾ مثلاً جعلت مطلبها الأساس الكفاح ضد قوات الاحتلال البريطاني، وتحقيق الاستقلال الناجز، وكانت هذه من أهداف جمعية حرس الاستقلال⁽⁷⁷⁾، التي تضمن برنامجها الدعوة إلى استقلال العراق أيضاً، وتشكيل مملكة عراقية، ولما أخفقت هاتان الجمعيتان في تحقيق أهدافهما بالوسائل السلمية، لجأتا إلى الثورة المسلحة، وخاصة بعد فرض الانتداب البريطاني على العراق⁽⁷⁸⁾.

كما أنشئت في الوقت نفسه مجموعة من الأحزاب، التي عمل قادتها في الغالب أعضاء في الجمعيات العربية التي رفعت شعار استقلال العرب وإقامة دولتهم العربية، لكن هؤلاء القادة قد تخلوا عن الشعارات القومية، وآمنوا بالقطرية — ذات الطابع الإقليمي — التي أوجدها الاستعمار بعد احتلاله لبعض أقطار الوطن العربي، ولم تتضمن برامج الأحزاب التي أنشأوها ما يدعو إلى الوحدة، باستثناء حزب الاستقلال الوطني⁽⁷⁹⁾ الذي أسس في الموصل، وذكر في مناهجه الدعوة إلى تنشيط حركة الوحدة، على قدر ما تسمح به وضعية العراق السياسية آنذاك⁽⁸⁰⁾.

لقد نشط المفكرون العراقيون منذ تأسيس الدولة العراقية حتى قيام الحرب العالمية الثانية في تنظيم أحزاب وجمعيات عكست الاتجاهات السياسية والفكرية، التي لم تكن سوى امتداد لاتجاهات حركة النهضة العربية، أو تبعات الأحداث التي أثّرت في العراق آنذاك، وقد مرت بدورين:

الدور الأول: منذ صدور قانون الجمعيات عام 1341هـ، وانتهاء بتأسيس البرلمان عام 1343هـ، حيث تأسست خلال هاتين السنتين أربعة أحزاب علنية وهي: الحزب الوطني⁽⁸¹⁾، وحزب النهضة⁽⁸²⁾، والحزب الحر⁽⁸³⁾، وحزب الأمة⁽⁸⁴⁾.

أما الدور الثاني: فكان بعد تأسيس البرلمان حتى قيام الحرب العالمية الثانية، إذ أثّرت خلال هذه الفترة قضية الموصل، حيث تأسست أحزاب أنحاء العراق كافة للدفاع عن الموصل وتأكيد الوحدة الوطنية، وقد انتهت غالبية هذه الأحزاب بانتهاء القضية، وعلى أثر إجادة اللعبة البرلمانية، ومفهوم الأكثرية، والأقلية في البرلمان، أسس بعض السياسيين أحزاباً سياسية لدعم وزاراتهم أثناء تشكيلها مثل: ياسين الهاشمي⁽⁸⁵⁾ الذي أسس حزب الشعب⁽⁸⁶⁾، وأسس عبد المحسن السعدون⁽⁸⁷⁾ حزب التقدم⁽⁸⁸⁾، فيما أسس نوري السعيد⁽⁸⁹⁾ حزب العهد⁽⁹⁰⁾، وأسس علي جودت الأيوبي⁽⁹¹⁾ حزب الوحدة والوطنية⁽⁹²⁾، وخلال الفترة نفسها تأسست جمعيات ونوادٍ ثقافية واجتماعية كثيرة، وقد لعب بعضها أدواراً وطنية وسياسية، وشهد العراق في خمسينيات القرن الرابع عشر نشوء عدد من الجمعيات والنوادي، التي أخذت على عاتقها نشر الفكر القومي، ومنها: جمعية الجوال العربي⁽⁹³⁾ التي أُجيزت عام 1354هـ بعد سنوات من العمل السري، وقد قامت على أساس المبدأ القومي العربي، وهذا ما تضمنه الكراس الذي أصدرته الجمعية بعنوان (المنهج القومي العربي)، والمجلة التي عبّرت عن طبيعة ذلك المبدأ⁽⁹⁴⁾، أما نادي المثني بن حارثة الشيباني⁽⁹⁵⁾، فقد أخذ على عاتقه العمل على نشر الروح القومية بين أبناء الأمة العربية، وإحياء التراث القومي العربي؛ وهذا ما نجده واضحاً في النظام الداخلي الذي أصدره النادي، ولم يقتصر نشاط جمعية الجوال ونادي المثني ضمن حدود العراق بل كان لهما اتصالات بالجمعيات العربية ذات الصبغة المشابهة لتقوية الصلات بين التنظيمات العربية القومية، مثل: جمعية الدفاع عن فلسطين، ونادي القلم، وجمعية العروة الوثقى، وعصبة العمل القومي في سورية ولبنان، والتي كانت لها فروع بالعراق، وكانت أيضاً على صلة بالشخصيات القومية العربية⁽⁹⁶⁾، وبعد فشل حركة الكيلاني وجهت السلطة ضربتها الثانية إلى القوميين فأغلقت نادي المثني واعتقلت أعضائه؛ وكل من ساند ثورة 1361هـ، ثم أعلنت الأحكام العرفية، وجعلت الإدارة في البلاد عسكرية صرفة، واتبعت سياسة الطوارئ، التي أدت إلى غلق الأحزاب وتعطيل الصحف وتكميم الأفواه وكبت الحريات ريثما تثبت أقدامها⁽⁹⁷⁾.

ثالثاً: الاتجاهات الفكرية والسياسية من حركة الكيلاني حتى قيام الجمهورية:

ظهرت في هذه الفترة أحزاب سياسية واضحة المعالم من حيث التنظيم والبرامج والأهداف والنشاط، فقد تعززت التجربة الحزبية في العراق، أضاف إلى ذلك التطور الذي حدث اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، سواء على صعيد

العراق أم العالم، والذي انعكس بدوره إيجابياً على الأحزاب؛ كل ذلك أدى إلى تبلور التيارات الفكرية والسياسية في العراق على النحو التالي:

التيار التقليدي:

تبلور هذا التيار في الخمسينيات الهجرية؛ رأسه نوري السعيد، يؤيده البلاط الملكي ممثلاً بالوصي على العرش، وسياسيو المدن، واتصف هذا التيار بالعقلية الضيقة التي عملت على ربط العراق بالسياسة البريطانية من النواحي السياسية والاجتماعية داخلياً وخارجياً من خلال محاربة القوى الوطنية، وفتح أبواب العراق؛ لاستغلاله ونهب ثرواته، وربطه بمعاهدات جائرة وأحلاف عسكرية تخدم المصالح الاستعمارية، وقد جسّد هذا التيار حزباً الاتحاد الدستوري⁽⁹⁸⁾، والأمة الاشتراكي⁽⁹⁹⁾.

التيار التحديثي المعارض:

وقف هذا التيار ضد التيار التقليدي، ثم تطوّر نتيجة ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية، وقد ضم جماعات أو كتلاً سياسية تجمعت حول شخصيات مختلفة، ومطالب هذه الجماعات كانت الاستقلال التام، وجلاء الجيوش الأجنبية، وإلغاء معاهدة 1349هـ، وكذلك معاهدة 1368هـ، ورفض الأحلاف والتكتلات العسكرية، وفي مقدمها ما يُسمى بحلف بغداد⁽¹⁰⁰⁾، ومعارضة سياسة العهد الملكي، والمطالبة بانتهاج سياسة الحياد تجاه المعسكرين وعدم الانحياز، والدعوة إلى استقلال البلدان العربية والوحدة العربية⁽¹⁰¹⁾. وعلى الصعيد الداخلي طالبت بالحريات الديمقراطية وإنهاء الأحوال الاستثنائية وإلغاء الرقابة على الصحف، ومن ثم طالبت بإلغاء مراسيم عام 1374هـ، وبإجراء انتخابات نيابية حرة، وإقامة حكومات تمثل الشعب، كما طالبت بالتغيير الاجتماعي والاقتصادي⁽¹⁰²⁾، وضم التيار التحديثي كل الاتجاهات الفكرية والسياسية، فالاتجاه القومي مثله حزب الاستقلال⁽¹⁰³⁾، وحزب البعث العربي الاشتراكي⁽¹⁰⁴⁾، والأحزاب الكردية، أما الاتحاد الديمقراطي الإصلاحي، فقد مثله الحزب الوطني الديمقراطي، والأحزاب الديمقراطية الاشتراكية الأخرى، فيما مثّل الحزب الشيوعي التيار الماركسي أو التيار الاشتراكي اللاقومي. والواقع أنّ الحزب الشيوعي العراقي⁽¹⁰⁵⁾ لم يول القضايا القومية الاهتمام الكافي، ولهذا فإنّ الاستجابة لمشكلات الثورة القومية بالنسبة إلى الشيوعيين كانت ضعيفة، وإنّ أبرز مثل على ذلك موقفه من القضية الفلسطينية والوحدة العربية، فبالنسبة إلى القضية الفلسطينية تباين موقفه بين التأييد والمناهضة ليتلاءم وموقف الاتحاد السوفيتي، الأمر الذي يؤكد السمة اللاقومية لهذا الحزب على صعيد البرامج والمواقف السياسية، أما بالنسبة إلى قضية الوحدة العربية فقد عالجهما

من المنظور نفسه، حيث لم يعد برنامجه الأمة العربية أمة متكاملة من حيث العناصر القومية، فقد اكتفى بالدعوة إلى التقارب والتعاون السياسي والاجتماعي والاقتصادي بين شعوب البلاد العربية، واعتبر شعار الوحدة العربية شعاراً غير عملي، لذلك فإن كثيراً من القوميين الذين يتمتعون بنظرة اشتراكية — كان من الممكن أن يصبحوا شيوعيين أو مؤيدين للشيوعية — أخذوا يفتشون عن أحزاب أخرى يجدون فيها ما يشبع أمانيتهم وطموحاتهم القومية والاشتراكية؛ وللأسباب ذاتها نجد بعض الشيوعيين تركوا حزبهم وأخذوا ينخرطون في أحزاب أخرى تلبي طموحاتهم الاشتراكية وأمانيتهم القومية.

من جانب آخر فإن حزب الاستقلال الذي مثل التيار القومي العلني، أولى القضايا القومية اهتماماً كبيراً، فقد ثقف أجيالاً عراقية بالفكر القومي، والاتجاه الوحدوي، وبالارتباط بالقضايا القومية العربية (فلسطين، المغرب، عربستان ... إلخ)، أما الأسلوب الذي مارسه حزب الاستقلال في مواجهة المشكلات الوطنية والقومية فكان الأسلوب الإصلاحي اللاثوري، هذه الحقائق في الاتجاهين المتضادين للحزب الشيوعي ولحزب الاستقلال في العراق كانت أحد الأسباب الرئيسة لقيام وانتشار حزب البعث، فالحاجة كانت ماسة إلى قيام حزب قومي وثوري وذي تنظيم حديدي ينازع الأعداء حسب تعبيرهم، أما الأسلوب الإصلاحي اللاثوري فقد أدى إلى انسحاب كثير من الشباب من حزب الاستقلال، والأغلبية الساحقة من هؤلاء وجدوا في حزب البعث الإيديولوجية القومية الاشتراكية والأسلوب الثوري الشعبي والتنظيم السري القومي، لذلك انخرطوا في صفوفه، ومن جانب آخر أغفل الحزب التيار القومي العربي في العراق مسألة القوميات والأقليات، فلم تحظ هذه المسألة باهتمام كاف ولم تدرس بشكل جدي وعميق، بالمقابل حظيت هذه المسألة بالاهتمام الكبير من قبل الحزب الشيوعي، لذا نجد أن الأخير استطاع أن يتغلغل لا في صفوف المواطنين فحسب، بل تغلغل حتى في الأحزاب الكردية ولو لفترة من الزمن⁽¹⁰⁶⁾.

رابعاً: الاتجاهات الفكرية والسياسية في العهد الجمهوري:

إن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سادت الشرق الأوسط آنذاك جعلت هذه المنطقة من العالم غير مستقرة سياسياً حتى الوقت الحاضر، فقد عمّته الفوضى السياسية، والانقلابات والتمردات العسكرية، والثورات والحركات الشعبية، والعراق كسائر دول الشرق الأوسط عمّته هذه الأوضاع، وفعلاً ففي 26 ذي الحجة 1377هـ حدث انقلاب عسكري، سرعان ما تحول إلى انتفاضة وثورة شعبية عارمة أسقطت النظام الملكي الذي

أقامه الانجليز في 18 ذي الحجة 1339هـ، وأقامت الجمهورية بديلاً عنه، كان الانقلاب العسكري الذي أطاح بالملكية الهاشمية بموجب جميع التقديرات عنيفاً ودموياً، وكان الاستيلاء على السلطة المركزية أسرع وأسهل مما توقع أي من العسكريين الانقلابيين⁽¹⁰⁷⁾، وكان يتقدم الانقلاب ضابطان ساخطان من الجيش: الزعيم عبد الكريم قاسم⁽¹⁰⁸⁾، والعقيد عبد السلام عارف⁽¹⁰⁹⁾، تدعمهما مجموعة تعرف بـ (الضباط الأحرار) معظمها من السنة، كانوا متأثرين جداً بشعارات الحركة الوطنية العراقية، التي تبلورت عبر التاريخ الحديث للكيان العراقي، لا سيما وأنّ العمل في تنظيم الضباط الأحرار العراقيين الممثلين حماسة ونقداً للأوضاع العامة وتطلّعاً للتغيرات الثورية والمفتقرين إلى التبصر والحكمة والحنكة السياسية، في الوصول إلى تحقيق الشعارات وما يريدونه من التغيير، مما لا ينسجم مع طباعهم المفعمة بالعجلة وعدم التروي، له آثاره السيئة على خصائص ثورة 14 تموز/ يوليو كما يمثلها ضباطه بشكل عام أولاً، وفي التطورات التي آلت إليها الثورة نتيجة المزاج الشخصي لقائدها الرئيس وتكوينه السياسي والثقافي، علاوة على أثره في رسم خصائصها الموضوعية ثم مصيرها بعد ذلك⁽¹¹⁰⁾، وكان التباين بين عالم الأحداث وعالم المذاهب والعقائد قصير الأمد في الثورة العراقية، فليس هناك ريب في شعبيتها، ومع أنّ العسكريين قادوا حركة السيطرة على السلطة فإنّها قبلت بالحماس والترحيب من جميع الفئات المحافظة والمعتدلة والشيوعيين منها على حد سواء، ولعله الانقلاب الوحيد في تاريخ العراق الذي يمكن تسميته بالثورة⁽¹¹¹⁾.

لقد كان النظام الملكي السابق موضع الانتقاد الشديد لتلاعبه بالانتخابات، ومنعه قيام الأحزاب السياسية في البلاد، ولكن النظام الجديد استمر — وباستثناء فترة قصيرة أجيّزت بها الأحزاب — على منع الأحزاب، أما الانتخابات فلم تجر في العراق بعد الثورة أي انتخابات، ولم يعد للعمل البرلماني من وجود ذكر، وعهد قاسم فردي مستبد ولكنه يعد معتدلاً، إذا ما قورن بمن جاء بعده، حيث يبدو أكثرها اعتدالاً وأبعدها عن الاستبداد والحكم الفردي، لكن سرعان ما دخلت البلاد — بعد الثورة الأولى — في صراعات دموية بين مختلف الأحزاب والقوى السياسية التي أغرقتها في اضطراب وفوضى دائمين، بحيث أصبحت الثورة سبة في أفواه الكثيرين من الناس الذين راحوا يترحمون على العهد الملكي، وقد أدى عدم الفهم والغموض الذي صاحب أهداف الثورة وتعدد التفسيرات وتعدد القوى، إلى أن وجد الكثير من العراقيين أنفسهم يحاولون رد الأحداث إلى أياد خفية يحركها عقل جبار يدير كل المؤامرات على العراق⁽¹¹²⁾.

وكانت الفترة ما بين 1377 و 1388 هـ عقداً يتميز بالاضطراب والعنف الشديدين، وشهد العقد الأول من عمر الجمهورية العراقية أربعة انقلابات عسكرية اثنان منها مشبعان بالدم والنار، وشهد العراق تراجعاً كبيراً بدلاً من التقدم؛ لأنّ الفئات المتنافسة والصراعات السياسية القائمة كانت تناضل لنيل السيادة والسيطرة على جميع موارد الدولة الإدارية والمالية، والفئة الأقوى تفرض هيبتها ورؤيتها للهوية العراقية على باقي السكان⁽¹¹³⁾، وعندما غدا العراق دولة الانقلابات العسكرية، أصابت حالة من النضوب أفضل الأشخاص المتعلمين من أبناء الشعب، وتم استنزاف العقول نتيجة التقلبات السياسية، وقصّرت مدة بقاء المسؤولين في مناصب الدولة، مما أدى إلى فراغ في الصفوة القادرة على الإمساك بزمام الأمور، كما أنّها دفعت بين الحين والآخر بموظفين جدد ليست لديهم الخبرة الكافية لإدارة شؤون الدولة، وهذا أدى إلى شلل عملية صنع القرار، وإشاعة مناخ من الخوف وعدم الاطمئنان، مما أدى — أيضاً — إلى اتخاذ قرارات خاطئة لعل أكثر اهتماماتها أن تبقى في السلطة، مما لم يترك لها وقتاً كبيراً للاهتمام بمشاكل العراق الحقيقية⁽¹¹⁴⁾.

لقد كانت ثورة 26 ذي الحجة 1377 هـ حدثاً كبيراً في تاريخ العراق وإن بدأت بانقلاب؛ ولكنها لم تلبث أن أصبحت ثورة أحدثت تغييراً كبيراً في مشروع الدولة العراقية، ولكن هذه الثورة لم تكن إلا تغييراً من داخل الدولة التي نشأت في عشرينيات القرن الماضي، لذا كان المشروع الذي تسعى إليه للنهوض بالعراق وتصحيح وتقويم البناء السياسي للدولة العراقية، من خلال ترسيخ الهوية الوطنية العراقية الموحدة، كما حاولت إزالة الطائفية والعنصرية والجهوية، لكن العناصر الكامنة في الدولة العراقية حاربت هذه التوجهات بكل شراسة، تحت تسميات: القومية، والشعبوية، والقطرية، وغيرها من التسميات التي كانت غطاءً لمنع أي إصلاح وتصحيح، والإبقاء على نفس الأوضاع التي كانت قائمة في السابق.

بعد ثورة بيضاء وانقلاب أبيض استطاعت مجموعة من حزب البعث العربي الاشتراكي القيام بانقلاب والإطاحة بحكومة عبد الرحمن محمد عارف⁽¹¹⁵⁾، بمساعدة مجموعة غير بعثية، كانت قيادة الثورة البعثية للعسكري والضابط البعثي أحمد حسن البكر⁽¹¹⁶⁾، ولا تعد ثورة البعث هي المحاولة الأولى للمجيء للسلطة، فقد شارك البعث مع تيار عروبي إسلامي وهو تيار عبد السلام محمد عارف للإطاحة بحكومة عبد الكريم قاسم سنة 1382 هـ، بيد أنّ سلوكية البعث الدموية، وقيامهم بمهام تصفيات للشيوخين بشكل بشع، وتشكيل الحرس القومي الذي أفسد في البلاد، جعل عبد السلام

رئيس الجمهورية يزيحهم عن السلطة ويوقفهم عن العمل السياسي، وكان ممن أوقف العسكري أحمد حسن البكر، وطرد مؤسس حزب البعث النصراني السوري ميشيل عفلق من العراق، جاء حزب البعث مع لفيف من القوميين والوطنيين وكانوا يعدون الناس بعدم الانفراد بالسلطة كحزب، بيد أن هذه الوعود لم تدم سوى 13 يوماً، وجاءت ثورة تصحيحية في 4/5/1388هـ، وسيطر حزب البعث على كل مفاصل السلطة الرئيسية، وعين شخصية شيعية بعثية مجرمة، وهو ناظم كزار⁽¹¹⁷⁾ مديراً للأمن، وشرع بتصفية خصوم حزب البعث من قوميين غير بعثيين كالناصريين، ومن عروبيين، ومن شيوعيين، ومن إسلاميين سنّة (حزبي الإخوان والتحرير)، وإسلاميين شيعة بكل أصنافهم، وأكراد، وتركمان، وكانت التصفية تأخذ أشكالا وأصنافا من بين تعذيب وقتل وسجن واغتيال وتلفيق تهم وتسهيل للهروب من البلاد، ونالت شتى طبقات المجتمع العراقي، ولكن نصيب السياسيين كان هو الأوفر، دخلت البلاد في دوامات تصفية وإرهاب، وناظم كزار كان أول شخص يمنح رتبة عسكرية من لا شيء (رتبة لواء)، وكانت هذه سابقة في الجيش العراقي لم تعهد من قبل، وكان الهدف هو سيطرة البعث على دوائر الأمن، لم يكن حزب البعث طائفيًا أبدًا، بل كان يؤمن بحزبه فحسب، كان حلم الحزب السيطرة على البلاد وتحقيق برنامجه الذي وضعه للعراق، وكان الحزب يؤمن أنه في مرحلة التكوين لا بد من انفراد الحزب بالسلطة، وفي المرحلة الثانية أو الثالثة يمكن مشاركة الكيانات الأخرى من شيوعيين وقوميين في السلطة، أما نظرتهم للكيانات الدينية فهي نظرة سلبية، فهو ينظر إليها ككيانات رجعية غير قادرة على حكم البلاد والعباد، وهي تشبه إلى حد ما نظرة الشيوعيين إلا أنها لا تحمل فكرة الإلحاد. وحين كانت تحدث محاولات للخروج عن هذا التقليد وتأسيس أشكال من النشاط السياسي تمتاز بمشاركة وإجماع أكبر، كما في السنوات الأولى من حكم قاسم، أو كما بشرت الفترة القصيرة التي تولى فيها عبد الرحمن البزاز⁽¹¹⁸⁾ رئاسة الحكومة، كان الحاكم نفسه أو من اعتمد عليهم لبقائه يشعرون بالخوف ويضعون حدًا للتجربة، وهذا ما عزز الميل إلى اعتبار الدولة أداة للسلطة، وموضوعة رهن إشارة من أخذوا بيدهم زمام الأمر، وانشغلوا بإدارة الموارد التي سوف تسمح لهم بتغذية شبكات التجسس والمحسوبية والقمع الذي ضمن بقاء السلطة بين أيديهم⁽¹¹⁹⁾. وكان من أنشط الذين عملوا لإيصال حزب البعث إلى السلطة، شاب في مقتبل العمر اسمه: صدام حسين⁽¹²⁰⁾، فهذا الشاب استطاع أن ينفذ خطة لبناء جيش عراقي، ولكن بشكل آخر إذ ابتدأه بحوالي مئة شاب من أعوانه دربهم على عمليات

الاغتيال وأطلق عليهم اسم (حنين) راح بواسطتهم يحصد أرواح من يعارضه، وكان كلما تقدم به الزمن حقق نجاحات أكثر بهذه المنظمة بحيث مكنته من أن يعيد تركيب وتنظيم الجيش، ليجعل منه مؤسسة تستمد شرعيتها من الحزب، فقام بجملة تغييرات أساسية في قواعد الخدمة العسكرية، ابتدأها بحملات تطهير الجيش من العناصر غير الموالية له شخصيًا حتى ولو كانت حزبية، فتخلص من القطبين العسكريين البعثيين وهما: حردان عبد الغفار التكريتي⁽¹²¹⁾، وصالح مهدي عمّاش⁽¹²²⁾، إذ اغتال الأول في الكويت وأرسل الثاني سفيراً إلى الخارج وبقي هناك إلى أن مات، ثم قام بمنح ترقية إلى أعوان ورتب عسكرية لبعض المدنيين، وأدخلهم كعناصر عاملة وحساسة في الجيش ليكونوا مفوضين سياسيين وممثلين للحزب المعبرين عن قوّته داخل الجيش، وكان أكثرهم من الذين تربطهم به روابط العائلة والقبيلة والطائفة، ثم باشر بإلحاق دفعات من التلاميذ البعثيين إلى الكلية العسكرية؛ كي يدخلوا دورات قصيرة ليلتحقوا بعدها ضباطاً ويحلوا محل الضباط الذين يسرحون من الخدمة⁽¹²³⁾، ثم استدار إلى أجهزة الأمن فجعلها متعددة متداخلة ومرتبطة به بشكل مباشر، وأجرى توزيعاً دقيقاً بينها وبين الجيش وبعدها قام بالتركيز على السيطرة السياسية داخل الجيش بواسطة التوعية الأيديولوجية والتثقيف السياسي لتعاليم الحزب، وقد أدت مهارته وحسن تنظيمه إلى بناء شبكة محكمة لسيطرة الحزب على الجيش، وأعدت قوات النخبة فيه (الحرس الجمهوري) لتنفيذ مهام أمنية صرفة، وبذلك أسس نظاماً سياسياً مستقرّاً لا يهدده المغامرون من الضباط أصحاب الانقلابات العسكرية المتكررة.⁽¹²⁴⁾

لقد استطاع حزب البعث خلال ثلاثة عقود بناء دولة أمنية بوليسية قلّ نظيرها، بحيث شمل الأمن جميع مناحي الحياة في العراق، وبناءً عليه فإنّ القوة الحقيقية في هذه الدولة هي للأجهزة الأمنية، فهي المرجع والمقرر في كل ما يخص الدولة والسلطة والمجتمع، ومن أجل تأمين مزيد من السيطرة والتحكم بالمسجلين في حزب البعث، أصدر النظام قانون أمن الحزب؛ لترهيب البعثيين أنفسهم، ومن أجل الهدف الأمني ذاته؛ تم تحويل جميع مؤسسات وهيئات المجتمع المدني والأهلي إلى مجرد أجهزة للسلطة تقوم بمهام أمنية بوليسية بالمعنى الواسع لمصطلح أمن.

جدول زمني لأبرز أحداث العراق خلال ق 14هـ:

السنة	الحدث
1326هـ	ثورة تركيا الفتاة في إسطنبول.
1327هـ	خلع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني.
1335هـ	الاحتلال البريطاني لبغداد حاضرة العراق.
8331هـ	قيام ثورة العشرين، وعبد الرحمن الكيلاني يُشكّل أول حكومة عراقية.
1339هـ	الاحتفال بتتويج الملك فيصل في بغداد.
1343هـ	افتتاح المجلس التأسيسي ببغداد، وعقد المعاهدة البريطانية العراقية.
1344هـ	عصبة الأمم المتحدة تقرر بقاء الموصل جزءاً من العراق.
1346هـ	اكتشاف أول حقول النفط الكبرى بجوار كركوك.
1350هـ	توقيع معاهدة بريطانية جديدة تعد بمنح العراق استقلاله.
1352هـ	عصبة الأمم تنهي الانتداب وتمنح العراق استقلاله.
1352هـ	وفاة الملك فيصل الأول؛ ويخلف الملك غازي أبيه.
1355هـ	افتتاح خط أنابيب كركوك — البحر المتوسط رسمياً.
1356هـ	انقلاب عسكري بقيادة الجنرال بكر صدقي.
1357هـ	اغتيال بكر صدقي، والجيش يطيح بحكومة حكمت سليمان.
1359هـ	الملك غازي يُقتل في حادث سيارة غامض.
1361هـ	انقلاب عسكري بزعامة رشيد عالي الكيلاني.
1368هـ	توقيع معاهدة بريطانية — عراقية جديدة في بورتسموث.
1369هـ	الجيش العراقي ينسحب من فلسطين.
2731هـ	تتويج الملك فيصل الثاني ملكاً على العراق.
1375هـ	تشكيل حلف بغداد.
1376هـ	أزمة السويس، وأعمال شغب في بغداد والموصل والنجف.
1378هـ	الإطاحة بالنظام الملكي وولادة الجمهورية.
1379هـ	انسحاب العراق من حلف بغداد.
1381هـ	عبد الكريم قاسم يطالب بضم الكويت إلى العراق.

السنة	الحدث
1383هـ	انقلاب عسكري ينفذه ضباط بعثيون وقوميون بقيادة الرئيس عارف.
1384هـ	توقف المحادثات بشأن الاستقلال الذاتي للأكراد واستئناف القتال.
1385هـ	حركة كاملة في كردستان، وتعيين عبد الرحمن البزّاز رئيساً للوزراء.
1388هـ	انقلاب عسكري مضاد يُنفذه ضباط قوميون وبعثيون بزعامة البكر.
1389هـ	صدّام حسين يُعيّن نائباً لرئيس الجمهورية.
1390هـ	صدور دستور مؤقت يعترف بالقومية الكردية.
1931هـ	تدهور العلاقات بين إيران والعراق.
1392هـ	تأميم شركة النفط العراقية، واندلاع القتال في شمال كردستان.
1393هـ	فشل محاولة انقلابية بقيادة ناظم كزار.
1394هـ	إعلان قانون الاستقلال الذاتي للمناطق الكردية.
1395هـ	اتفاقية الجرائر بين العراق وإيران.
1397هـ	انتفاضة السفر وتحولها إلى احتجاج عام على الحكومة في بغداد.
1398هـ	طرد الخميني من العراق.
1399هـ	البكر يُقدّم استقالته؛ وصدّام حسين رئيس للجمهورية.
1400هـ	القوات العراقية تجتاح إيران.

المصدر: تشارلز تريب: صفحات من تاريخ العراق الحديث، ص 11 — 15.
الخاتمة:

عاش العراق خلال القرن الثالث عشر الهجري حياة بعيدة عن الاستقرار والطمأنينة؛ إذ أحاطت به التغيرات الدراماتيكية السريعة في الحُكّام المماليك ثم العثمانيين. شهدت العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري تطوراً مهماً في مجال العناية بالتاريخ، فهماً وكتابة، وذلك بسبب إدخال مادة التاريخ لأول مرة في مناهج الدراسة على المستويات كافة. لم يكن للعرب في العصور المتأخرة فكر قومي بالشكل الواضح الذي نشهده في العصور

المتقدمة؛ لأن الدين الإسلامي هو الذي كان سائداً بينهم؛ وكان العرب والمسلمون منهم يعتبرون الأتراك وكافة الأجناس إخواناً لهم في الدين ضمن إطار الدولة العثمانية التي كانت تمثل الخلافة الإسلامية.

لم يظهر الفكر القومي بين العرب إلا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وكان أول ظهوره بين نصارى الشام. مفهوم الفكرة القومية كان كامناً في النفوس؛ بسبب سيطرة أقوام أجنبية على الوطن العربي، فكبتوا الفكرة القومية وغطوا عليها بمفاهيم وروابط أخرى، إلا أنه حينما سنحت الظروف لإيقاظ الفكرة القومية في القرن الثالث عشر انطلق الفكر القومي العربي ليعبر عن ذاته، فظهرت الحركة القومية العربية الحديثة. على خلاف سورية ومصر، لم تكن للعراق اتصالات وثيقة بالأفكار الأوروبية أو بالبعثات التنصيرية أو الإرساليات الثقافية الأوروبية، فضلاً عن ذلك، كان مستوى التعليم في العراق غير عال. الثورات والانتفاضات التي كانت تظهر في العراق ما بين فترة وأخرى، لم تكن نتيجة شعور قومي خالص، بل كان الحافز إليها محاربة الظلم والجور الذي كان يمارسه بعض الحُكّام المماليك أو العثمانيين. الحركة القومية في العراق لم تظهر إلا في وقت متأخر نسبياً قياساً لما هو عليه الحال في الشام ومصر، إذ ظهرت بعد إعلان الدستور العثماني عام 1326هـ. لم يكن العراق ليوازي بلاد الشام في عدد الجمعيات السياسية التي عبّرت عن فكر ذي طابع عربي قومي، فإن ذلك لم يمنع العراقيين وخاصة العسكريين منهم، الذين خدموا جنباً إلى جنب مع إخوانهم العرب في الجيش العثماني، من المشاركة في عضوية ونشاط الجمعيات التي ظهرت في الربع الأول من القرن الرابع عشر. وأوشك الفكر القومي أن يختمر قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1336هـ إلا أن اندلاعها قد غيّر مجريات الأمور، وسارت الرياح بما لا تشتهي السفن الحركة القومية العربية، فقد انقسم العرب في تعاملهم مع الدولة العثمانية من جهة، ومع الحلفاء بريطانيا وفرنسا من جهة أخرى، وكانت نتيجة هذا الانقسام أن أنهت بريطانيا السيادة العثمانية على مصر، وأعلنت هذا البلد محمية بريطانية، كما احتلت بريطانيا كلاً من العراق وفلسطين. كانت الفترة ما بين 1377 و 1388هـ عقداً يتميز بالاضطراب والعنف الشديدين، وشهد العقد الأول من عمر الجمهورية العراقية أربعة انقلابات عسكرية اثنان منها مشبعان بالدم والنار، وشهد العراق تراجعاً كبيراً بدلاً من التقدم؛ لأنّ الفئات المتنافسة والصراعات السياسية القائمة كانت تناضل لنيل السيادة والسيطرة على جميع موارد الدولة الإدارية والمالية، والفئة الأقوى تفرض هيبتها ورؤيتها للهوية العراقية على باقي السكان. كان من أنشط الذين عملوا

لإيصال حزب البعث إلى السلطة، شاب في مقتبل العمر اسمه: صدام حسين، فهذا الشاب استطاع أن ينفذ خطة لبناء جيش عراقي، ولكن بشكل آخر إذ ابتدأه بحوالي مئة شاب من أعوانه دربهم على عمليات الاغتيال وأطلق عليهم اسم (حنين) راح بواسطتهم يحصد أرواح من يعارضه. استطاع حزب البعث خلال ثلاثة عقود بناء دولة أمنية بوليسية قلّ نظيرها، بحيث شمل الأمن جميع مناحي الحياة في العراق، وبناءً عليه فإنّ القوة الحقيقية في هذه الدولة هي للأجهزة الأمنية، فهي المرجع والمقرر في كل ما يخص الدولة والسلطة والمجتمع.

النتائج:

1. شهد العراق في القرن الثالث عشر الهجري ظهور فكر عربي متميّز الملامح، وبروز جملة من مخترعات العصر الحديث، واهتمام بالتاريخ وفهرسة المخطوطات.
2. تأخرت الحركة القومية في العراق عن بلاد الشام ومصر، ولم تكن تتعدى في بادئ الأمر المطالبة بالمساواة في الحقوق ضمن إطار الدولة العثمانية.
3. بعد نكسة التقسيم — سايكس بيكو — ثارت القومية في العراق، وأصبحت الدعوة لاستقلال العراق مطلب الجمعيات السياسية، وتأسست أحزاب وجمعيات سياسية أخذت على عاتقها نشر الفكر القومي.
4. في منتصف القرن الرابع عشر برزت الأحزاب السياسية واضحة المعالم، وأدى الخلاف بين الحزب الشيوعي وحزب الاستقلال لقيام وانتشار حزب البعث.
5. تميّز العهد الجمهوري في أوله بالاضطراب والعنف الشديدين، وتصفيات للشيوعيين وغيرهم، وسيطر حزب البعث على كل مفاصل الدولة، وتمكّن صدام حسين للوصول إلى قمة هرم السلطة.

التوصيات:

1. الدعوة إلى الوحدة العربية الإسلامية، والتحذير من القوميات التي فرّقت العرب.
2. ضرورة الوقوف على المؤشرات، والقراءة الصحيحة للتاريخ الحديث.
3. مواصلة البحث، ودراسة تاريخ العراق في هذا القرن دراسة متعمقة.

المصادر والمراجع:

- (1) إبراهيم الوائلي: الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر (بغداد، مطبعة المعارف، 1978 م).
- (2) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ): سنن أبي داود، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- (3) ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة (الطبعة الثالثة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1978 م) ترجمة: كريم عزقول.
- (4) أمثال: عبد الغفار الأخرس، وصالح التميمي، وعبد الباقي العمري، وعثمان بن سند البصري، وغيرهم.
- (5) تشارلز تريب: صفحات من تاريخ العراق (الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للعلوم، 1427هـ) ترجمة: زينة جابر إدريس.
- (6) توفيق برو: القومية العربية في القرن التاسع عشر (دمشق، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد، 1965 م).
- (7) جعفر حميدي: التيار القومي في العراق 1921 - 1958 م (مجلة آفاق عربية، السنة 9، يونيو 1984 م).
- (8) جورج انطونيوس: يقظة العرب (بيروت، دار العلم للملايين، 1962 م) ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس.
- (9) حسن العلوي: العراق دولة المنظمة السرية (لندن، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1990 م).
- (10) خليل الدليمي: صدام حسين من الزنزانة الأمريكية، هذا ما حدث! (الطبعة الثانية، الإمارات العربية المتحدة، دار الواضح، 2010 م).
- (11) خير الدين الزركلي، الأعلام (الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت، 2002 م).
- (12) داوود سلوم: تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي (بغداد، 1959 م).
- (13) زهير الدجيلي: بيت العقرب (الطبعة الأولى، 1990 م).
- (14) زين نور الدين زين: نشوء القومية العربية (الطبعة الثالثة، بيروت، دار النهار، 1979 م).
- (15) ساطع الحصري: محاضرات في نشوء الفكرة القومية (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985 م).
- (16) سليمان فيضي: مذكرات سليمان فيضي (الطبعة الثالثة، بيروت، 1998 م) تقديم: باسل فيضي.
- (17) شامل عبد القادر: عبد الكريم قاسم البداية والنهاية (الطبعة الأولى، عمان، الأهلية للنشر، 2002 م).
- (18) شهاب أحمد الحميد: تاريخ الطباعة في العراق (بغداد، مطابع القطاع

- (الخاص، 1967م).
- (20) طارق الحمداني: التدوين التاريخي في العراق (الطبعة الأولى، لندن، دار الوراق، 2010م).
- (21) عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية: دولة إسلامية مفترى عليها (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2004م).
- (22) عبد العزيز رفاعي: أصول الوعي القومي العربي (القاهرة، مؤسسة المطبوعات الحديثة، 1960م).
- (23) عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون (الطبعة الأولى، دمشق، مكتبة أطلس، 1974م).
- (24) عبد اللطيف الشواف: عبد الكريم قاسم وعراقيون آخرون (الطبعة الأولى، لندن، دار الوراق، 2004م).
- (25) عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985م).
- (26) علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (الطبعة الأولى، لندن، دار الوراق، 2007م).
- (27) علي علاء الدين الألوسي، الدرر المنتثرة في رجال القرن الثاني والثالث عشر، تحقيق: جمال الدين الألوسي
- (28) وعبد الله الجبوري (دار الجمهورية، بغداد، 1967م .
- (29) عماد عبد السلام رؤوف: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني.
- (30) عماد عبد السلام رؤوف، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني (الطبعة الأولى، دار الوراق، لندن، 2009م .
- (31) فالح حنظل: أسرار مقتل العائلة المالكة في العراق (الطبعة الثالثة، لندن، دار الحكمة، 1428هـ).
- (32) فهمي جدعان: أسس التقدم العلمي عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث (الطبعة الأولى، بيروت، 1979م).
- (33) فيليب ويلارد، أيرلند: العراق وتطوره الدستوري (بيروت، 1949م) ترجمة جعفر الخياط.
- (34) مجموعة المؤلفين: الشيخ خزعل أمير المحمرة (الطبعة الثانية، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 1989م).
- (35) مجيد خدوري: العراق الجمهوري (الطبعة الأولى، بيروت، الدار المتحدة، 1974م).
- (36) محسن عبد الحميد: الألوسي مفسراً (بغداد، 1988م).
- (37) محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، سنن الترمذي، الطبعة: الثانية، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ - 1975م، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة

- عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5).
- (38) محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة (الطبعة الثانية، دمشق، دار القلم، 1419هـ).
- (39) محمد خير يوسف: تنمة الأعلام (الطبعة الثانية، بيروت، دار ابن حزم، 1422هـ).
- (40) محمد طلس: عصر الانبعاث (بيروت، دار الأندلس، 1963م).
- (41) محمد عزة دروزة: نشأة الحركة العربية الحديثة (الطبعة الثانية، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، 1391هـ).
- (42) محمد كامل ضاهر: الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر (الطبعة الأولى، بيروت، دار البيروني، 1414هـ).
- (43) محمد مهدي البصير: تاريخ القضية العراقية (الطبعة الثانية، دار اللام، لندن، 1990م).
- (44) محمود الصاوي: كتابات جورجى زيدان دراسة تحليلية في ضوء الإسلام (الطبعة الأولى، القاهرة، دار الهداية، 1420هـ).
- (45) مدونة نور الحقيقة بين الماضي والحاضر: <http://nooralhaqiqa.blogspot.com>
- (46) مطاع صفدي: حزب البعث: مأساة المولد ومأساة النهاية (بيروت، دار الآداب، 1964م).
- (47) موقع الرائد نت: <http://www.al-raeed.net>
- (48) موقع: معجم البابطين لشعراء العربية، على الرابط: <http://www.almoajam.org>
- (49) مير بصري: أعلام السياسة في العراق الحديث (الطبعة الأولى، لندن، دار رياض الريس، 1987م).
- (50) مير بصري: أعلام السياسة في العراق الحديث.
- (51) هادي عليوي: الأحزاب السياسية في العراق السرية والعلنية (الطبعة الأولى، لندن، دار رياض الريس، 2001م).
- (52) هادي عليوي: الأحزاب السياسية في العراق السرية والعلنية.
- (53) واديث واثي، أيف، بينروز: العراق دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية 1915 - 1975م (الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 1989م) ترجمة: عبد المجيد القيسي.
- (54) وليد الأعظمي: نوري السعيد والصراع مع عبد الناصر (الطبعة الأولى، بغداد، المكتبة العالمية، 1988م).
- (55) وليم تيودور سترنك: خزعبل بن جابر واحتلال إمارة عريستان (الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 1426هـ) ترجمة: عاد الجبار ناجي.

المصادر والمراجع:

- (1) علي علاء الدين الألوسي، الدرر المنتثرة في رجال القرن الثاني والثالث عشر، تحقيق: جمال الدين الألوسي وعبد الله الجبوري (دار الجمهورية، بغداد، 7691م، ص 4.
- (2) يعد من أهم الولاة المماليك، وسيد العراق بلا منازع، وفي آخر أيامه أظهر تحديده للدولة العثمانية، فدخلت القوات العثمانية بغداد في يوم 9/4/7421هـ وألقي القبض على داود باشا وأُرسِل إلى اسطنبول، وانتهى بذلك الحكم المملوكي في العراق، ثم عُيِّن شيخاً للحرم النبوي، وبقي هناك حتى وفاته سنة 7621هـ. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام (الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج2، ص 133، و عماد عبد السلام رؤوف، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني (الطبعة الأولى، دار الوراق، لندن، 9002م، ص 252.
- (3) داوود سلوم: تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي (بغداد، 9591م) ص 9.
- (4) أمثال: عبد الغفار الأخرس، وصالح التميمي، وعبد الباقي العمري، وعثمان بن سند البصري، وغيرهم.
- (5) علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (الطبعة الأولى، لندن، دار الوراق، 7002م) ج1، ص 962.
- (6) محسن عبد الحميد: الألوسي مفسراً (بغداد، 8891م) ص 43.
- (7) عماد عبد السلام رؤوف: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني، ص 76.
- (8) شهاب الدين، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي البغدادي، ولد في عام 7121هـ، عيّن مفتياً لبغداد في عهد الوالي علي رضا باشا، ألّف رسائل ومؤلفات مهمة، ولكن أشهرها تفسيره للقرآن الكريم المسمى: (روح المعاني) توفي سنة 0721هـ. انظر: محسن عبد الحميد: المرجع السابق، ص 67.
- (9) جمال الدين، محمود شكري بن محمود الألوسي، ولد سنة 3721هـ، وكان من أشهر علماء بغداد، وتمهر بفنون الكتابة والتأليف، عيّن مدرساً في مدارس بغداد، وتولى إنشاء القسم العربي في جريدة الزوراء، قضى بقية حياته مؤثراً حياة العزلة منصرفاً إلى التأليف حتى وفاته سنة 3431هـ. انظر: عماد عبد السلام رؤوف: المرجع السابق، ص 004.
- (10) دخلت الطباعة في العراق على النحو الآتي: بغداد: 6421هـ، كربلاء: 3721هـ، الموصل: 3721هـ، كركوك: 9921هـ، البصرة: 7031هـ، النجف: 7231هـ. انظر: شهاب أحمد الحميد: تاريخ الطباعة في العراق (بغداد، مطابع القطاع الخاص، 7691م) ج1، ص 1 — 11.
- (11) عماد عبد السلام رؤوف: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني، ص 86.
- (12) عماد عبد السلام رؤوف: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العهد العثماني، ص 96 — 37.

- (13) نعمان بن محمود بن عبد الله بن محمود الألويسي البغدادي، ولد ببغداد سنة 2521هـ، تولى في شبابه القضاء في بلاد متعددة، وعيّن بأمر السلطان عبد الحميد الثاني رئيساً لمدرسي بغداد، فوَقَّر له منصبه هذا فرصة للبحث والتدريس، ترك مؤلفات عديدة، وتوفي عام 7131هـ. انظر عماد عبد السلام رؤوف: التاريخ والمؤرخون العراقيون، ص 523.
- (14) فهمي جدعان: أسس التقدم العلمي عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث (الطبعة الأولى، بيروت، 9791م) ص 632.
- (15) تولى العرش سنة 3921هـ، عُرف عبد الحميد بشخصيته القوية إضافة إلى تدينه، وحاول جاهداً أن ينقذ الدولة من الانهيار، إلا أنَّ الظروف والتآمر الدولي والصهيوني والقومي حالت دون ذلك، وأدت إلى الإطاحة بحكمه سنة 7231هـ، ولُوِثت سمعته بكل شناعة يمكن أن يُوصف بها حاكم حتى وفاته سنة 6331هـ. محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة (الطبعة الثانية، دمشق، دار القلم، 9141هـ) ص 33 — 36.
- (16) علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج3، ص 64.
- (17) إبراهيم الوائلي: الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر (بغداد، مطبعة المعارف، 8791م) ص 212.
- (18) منهم: جميل صدقي الزهاوي، وأحمد عزت الفاروقي، وظاهر الدجيلي، ومحمد القزويني، والشيخ يعقوب الشيخ جعفر، وعبد النبي الخصري، وغيرهم، فكانوا يصفونه بأنه: أمير المؤمنين، وإمام العصر، وخليفة المسلمين، وحامي حمى الإسلام، وغيرها من الألقاب التقديسية. انظر: علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج3، ص 74.
- (19) شاعر شيعي من الحلة بالعراق، صدر له بعد وفاته ديوان (الجعفریات) في رثاء أهل البيت، نشره محمد علي اليعقوبي سنة 9631هـ وديوان (سحر بابل وسجع البلابل) أو تراجم الأعيان والأفاضل، نشره محمد الحسين آل كاشف الغطاء سنة 1331هـ. انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج2، ص 241.
- (20) سياسي عراقي تولى منصب رئاسة الوزراء في العهد الملكي أربع مرات، ثم شغل السويدي منصب وزير الخارجية في حكومة الاتحاد الهاشمي عام 8731هـ وسجن بعد الإطاحة بالملكية في العراق، ثم أعفي عنه عام 1831هـ ثم غادر العراق وعاش في لبنان إلى أن توفي فيها عام 8831هـ. انظر: مير بصري: أعلام السياسة في العراق الحديث ص 811 — 521.
- (21) علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج3، ص 74، ص 902.
- (22) أخرجه أبو داود برقم (6115) والترمذي (0723) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

- (23) ساطع الحصري: محاضرات في نشوء الفكرة القومية (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 5891م) ص 771.
- (24) توفيق برو: القومية العربية في القرن التاسع عشر (دمشق، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد، 5691م) ص 71.
- (25) طارق الحمداني: التدوين التاريخي في العراق (الطبعة الأولى، لندن، دار الوراق، 10102م) ص 891.
- (26) عبد العزيز رفاعي: أصول الوعي القومي العربي (القاهرة، مؤسسة المطبوعات الحديثة، 0691م) ص 5.
- (27) طارق الحمداني: المرجع السابق، ص 891.
- (28) كان مجموع طلبة العراق عام 3331هـ يبلغ حوالي 99491، منهم 006 بنت، 8737 ولدًا في المدارس الحكومية، و3612 ولدًا في المدارس الأهلية والأجنبية، وكان عدد الطلبة العراقيين في اسطنبول حوالي 0041 فقط، منهم 0021 تخرجوا ضباطًا في الجيش العثماني، وخلال الفترة نفسها كان عدد الطلبة العراقيين في الجامعة الأمريكية في بيروت لا يتجاوز الـ 07 طالبًا. انظر: هادي عليوي: الأحزاب السياسية في العراق السرية والعلنية (الطبعة الأولى، لندن، دار رياض الريس، 1002م) ص 15.
- (29) طارق الحمداني: التدوين التاريخي في العراق، ص 991.
- (30) من نصارى الشام، انتسب إلى الجمعيات القومية العربية والمحافل الماسونية، وأصدر مع أقرانه مجلة المقتطف، وشارك في إصدار جريدة المقطم، توفي سنة 6431هـ. انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج 8، ص 202.
- (31) من نصارى الشام، أحد مؤسسي جمعية بيروت السرية، عين عضوًا في مجلس الشيوخ المصري، توفي بالقاهرة سنة 1731هـ. انظر: زين نور الدين زين: نشوء القومية العربية (الطبعة الثالثة، بيروت، دار النهار، 9791م) ص 06.
- (32) من نصارى الشام، أول داعية للأفكار والفلسفات المادية في العالم العربي، من مؤسسي جمعية اللامركزية، وتوفي فجأة بالقاهرة سنة 5331هـ. انظر: خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج 3، ص 551.
- (33) من نصارى الشام، من عملاء الاستعمار الإنجليزي والفرنسي، أسس دار الهلال، وضع سلسلة روايات تاريخ الإسلام والتي تعتبر من أخطر كتبه التي فيها حقدٌ على الإسلام، توفي بالقاهرة سنة 2331هـ. انظر: محمود الصاوي: كتابات جورجي زيدان دراسة تحليلية في ضوء الإسلام (الطبعة الأولى، القاهرة، دار الهداية، 0241هـ) ص 38.
- (34) من نصارى الشام، وأحد الرموز الأوائل للعلمانية، وقد ذهب في تفكيره المنحرف إلى حدود لا ينبغي الوصول إليها أو التصريح بها في التعدي على الذات والقدرة الإلهية.

- انظر: محمد كامل ضاهر: الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر (الطبعة الأولى، بيروت، دار البيروني، 4141هـ) ص 412.
- (35) علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج3، ص 12.
- (36) محمد عبده بن حسن خير الله، من كبار رجال الإصلاح والتجديد في مصر، اشتغل بالتدريس والتأليف، وشارك في الثورة العربية فسجن ونفي، أصدر في باريس مع أستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى)، وعاد إلى مصر، وأصبح مفتيًا للديار المصرية حتى وفاته سنة 3231هـ. انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج6، ص 252.
- (37) ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة (الطبعة الثالثة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 8791م) ترجمة: كريم عزقول، ص 592.
- (38) محمد مهدي بن محمد بن عبد الحسين البصير، أديب وشاعر، شارك في ثورة العشرين بشعره وخطبه، درّس في جامعة آل البيت، ودار المعلمين العالية مدة 12 سنة، وتوفي ببغداد. انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج7، ص 611.
- (39) أحمد حمدي بن عبد الوهاب الباجه جي، اشترك في تأسيس النادي العلمي، وانتمى إلى جمعية العهد، ساهم في تأليف الحزب الوطني، كان وزيرًا للخارجية في حكومة محمد الصدر عام 1431هـ حتى وفاته في بغداد سنة 7631هـ. انظر: مير بصري: أعلام السياسة في العراق الحديث (الطبعة الأولى، لندن، دار رياض الريس، 7891م) ص 202.
- (40) محمد مهدي البصير: تاريخ القضية العراقية (الطبعة الثانية، دار اللام، لندن، 0991م) ص 72.
- (41) عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون (الطبعة الأولى، دمشق، مكتبة أطلس، 4791م) ص 555.
- (42) جمعية سرية قومية علمانية، أنشئت على يد ستة من دعاة الدستور سنة 2821هـ، وكان لهذه الجمعية اليد الطولى في إصدار دستور سنة 3921هـ، ولما شعر السلطان عبد الحميد الثاني بالتآمر عليه، أخذ يتعقبهم ونفاهم خارج الدولة. انظر: عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، ص 4001.
- (43) وهي ثاني جمعية علنية تأسست سنة 7231هـ أنشأها الشباب العربي المقيم في اسطنبول، وأصدر المنتدى مجلة باسمه، وكان يُشرف عليها أحمد عزت الأعظمي، وبقي المنتدى قائماً حتى عام 4331هـ. انظر: محمد عزة دروزة: نشأة الحركة العربية الحديثة (الطبعة الثانية، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، 1931هـ) ص 192.
- (44) وهي أول جمعية سرية وطنية تأسست في أواخر عام 7231هـ وكان الهدف من ورائها تحويل الدولة العثمانية إلى مملكة ذات تاجين (عربية — تركية). انظر: جورج انطونيوس: يقظة العرب (بيروت، دار العلم للملايين، 2691م) ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ص 681.

- (45) بدأت فكرة هذه الجمعية في عام 7231هـ، وقد انتمى بعض العراقيين إلى الجمعية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وظلت سرية حتى نهاية الحكم العثماني. انظر: محمد طلّس: عصر الانبعاث (بيروت، دار الأندلس، 3691م) ص 15.
- (46) تأسس هذا الحزب في أواخر عام 1331هـ، وكان الغرض من إنشائه: الحفاظ على وحدة الدولة العثمانية، وتعبئة الرأي العام العربي لتأييد اللامركزية. انظر: زين نور الدين زين: نشوء القومية العربية، ص 39.
- (47) تأسس في عام 0331هـ، على يد نفر من الشباب القومي العربي في بغداد، وترأسهم السيد طالب النقيب، وقدم إليهم إعانة مالية، وكانت الاجتماعات تعقد سرًا في دار الشيخ توفيق السويدي، وفي 9/7/1331هـ قامت الشرطة بتفتيش دار السويدي واعتقلتهم. انظر: هادي عليوي: الأحزاب السياسية في العراق السرية والعلنية، ص 63.
- (48) مزاحم بن أمين بن أحمد الباجه جي، كان نائبًا لرئيس الوزراء ووزيرًا للخارجية في حكومة علي جودت الأيوبي سنة 0731هـ، انتقل إلى رحمة الله في سويسرا سنة 2041هـ. انظر: مير بصري: أعلام السياسة في العراق الحديث، ص 512.
- (49) أنشئت جمعيات قومية تنادي بإصلاح البلاد العربية، وكان ذلك أثناء سقوط حكومة الاتحاديين، فنشأت في: بغداد، والبصرة التي افتتحت في 12/3/1331هـ. انظر: محمد عزة دروزة: المرجع السابق، ص 993.
- (50) زعيم أولى الحركات الاستقلالية العربية، وصار يلقب — عميد العراق، من أشد الناقمين على الاتحاديين، أصبح أول وزير للداخلية في الحكومة العراقية المؤقتة، وكان طامعًا بعرش العراق، فنفاه الإنكليز من العراق إلى سيلان سنة 9331هـ. انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج3، ص 812.
- (51) محمد البصير: تاريخ القضية العراقية، ص 72.
- (52) تشارلز تريب: صفحات من تاريخ العراق (الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للعلوم، 7241هـ) ترجمة: زينة جابر إدريس، ص 85.
- (53) مبارك بن صباح بن جابر بن عبد الله ابن صباح، مؤسس الكويت الحديثة، اشتهر بالتقلب وعدم الثبات على سياسة واحدة، وظل حاكمًا إلى أن مات فيها بقصره سنة 4331هـ. انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج5، ص 072.
- (54) خزعل بن الشيخ جابر بن مراد، حاكم شط العرب، تمكنت القوات الإيرانية من إلقاء القبض عليه بعد أن غدر به الحاكم الإيراني فضل زاهدي، وقد توفي الشيخ خزعل سنة 6391م في معتقله بظهران. انظر: وليم تيودور سترنك: خزعل بن جابر واحتلال إمارة عربستان (الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 6241هـ) ترجمة: عاد الجبار ناجي، ص 503.
- (55) مجموعة المؤلفين: الشيخ خزعل أمير المحمرة (الطبعة الثانية، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 9891م) ص 93.

- (56) تشارلز تريب: المرجع السابق، ص 85.
- (57) فيليب ويلارد، آيرلند: العراق وتطوره الدستوري (بيروت، 1949م) ترجمة جعفر الخياط، ص 871.
- (58) تشارلز تريب: المرجع السابق، ص 93.
- (59) صبغ جميع ولايات الدولة بما فيها الولايات العربية بالصبغة التركية، وفرض اللغة التركية لغة رسمية، وتطبيق سياسة التتريك. انظر: عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية: دولة إسلامية مفترى عليها (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1402م) ج1، ص 27.
- (60) أسس بعض المتحمسين للدعوة الطورانية جمعية اسمها ترك أوجاغي أي الوطن التركي سنة 9231هـ، وتدعو إلى إحياء أمجاد الأتراك القومية. انظر: علي الوردى: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج3، ص 352.
- (61) تحسين بن مصطفى بن عبد الرحمن العسكري، اشترك في ثورة العشرين العراقية، وتولى وزارة الداخلية، وعين وزيراً مفوضاً للعراق بمصر، توفي بالقاهرة سنة 6631هـ. انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج2، ص 48.
- (62) باحث فلسطيني، شارك في تأسيس الجمعيات والأحزاب الاستقلالية في سورية وفلسطين، بلغت كتبه المطبوعة تسعة وثلاثين كتاباً. انظر: محمد خير يوسف: تنمة الأعلام (الطبعة الثانية، بيروت، دار ابن حزم، 2241هـ) ص 241.
- (63) سليمان فيضي بن داود، أصدر عام 7231هـ جريدة باسم الإيقاظ، انتخب سنة 0331هـ عضواً في مجلس المبعوثان العثماني، توفي في البصرة سنة 0731هـ. انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج3، ص 131.
- (64) تأسس في سنة 9231هـ، ويضم بين صفوفه بعض الأمراء الذين يمثلون اتجاهاً يمينياً في السياسة العثمانية، وكان المبدأ الذي نادوا به هو اللامركزية. انظر: علي الوردى: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج3، ص 581.
- (65) سليمان فيضي: مذكرات سليمان فيضي (الطبعة الثالثة، بيروت، 8991م) تقديم: باسل فيضي، ص 611.
- (66) فيليب ويلارد، آيرلند: العراق وتطوره الدستوري، ص 971.
- (67) يوسف بن نعمان بن محمد سعيد السويدي، شارك في الثورة العراقية وكان الشيخ يوسف أول رئيس لمجلس الأعيان، وأدركه الموت ببغداد في 11/3/7431هـ. انظر: مير بصري: أعلام السياسة في العراق الحديث، ص 401.
- (68) تأسست في الجيش العثماني سنة 1331هـ وهي جمعية سياسية عسكرية سرية، وقد تمتعت هذه الحركة بنفوذ طاغ بين الضباط العراقيين في الجيش العثماني. انظر: هادي عليوي: الأحزاب السياسية في العراق السرية والعلنية، ص 82.

- (69) من أصل شركسي، يعد من طلائع رجال الحركة العربية، شارك في تأسيس جمعيات عربية سرية، عمل مع الشريف حسين إبان الثورة العربية الكبرى، عُيِّن مفتشاً على الجيش المصري، ثم عُيِّن سفيراً لمصر في موسكو، توفي بالقاهرة سنة 5831هـ. انظر: مجيد خدوري: عرب معاصرون (الطبعة الأولى، بيروت، الدار المتحدة، 3791م) ص72، وعلي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج3، ص 472.
- (70) عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون، ص 655، وهادي عليوي: المرجع السابق، 92.
- (71) صباح ياسين: الفكر والقضايا القومية في الصحافة العربية (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2991م) ص 92.
- (72) محمد رشيد عالي بن عبد الوهاب الكيلاني، ترأس الحكومة العراقية أربع مرات، قام بالحركة المعروفة باسمه؛ التجأ إلى السعودية سنة 5631هـ، ثم انتقل إلى مصر سنة 3731هـ، وقد عاد إلى بغداد بعد الثورة 7731هـ، فلم يلبث أن اتهم بالتآمر لقلب نظام الحكم؛ وحكمت عليه المحكمة العسكرية بالإعدام سنة 8731هـ، ثم عُفي عنه وأطلق سراحه، توفي في بيروت سنة 5831هـ ودفن في بغداد. انظر: مير بصري: أعلام السياسة في العراق الحديث، ص 641.
- (73) الاتفاق الانجليزي الفرنسي السري، ويقضي بهيمنة فرنسا على سوريا ولبنان، بينما تبقى لبريطانيا الهيمنة على العراق وفلسطين. انظر: واديث وائي، أيف، بينروز: العراق دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية 5191 — 5791م (الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 9891م) ترجمة: عبد المجيد القيسي، ج1، ص 19.
- (74) هو التصريح البريطاني الرسمي الصادر في 71/1/6331هـ الذي أعلنت فيه بريطانيا تعاطفها مع الأماني اليهودية في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. انظر: عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 5891م) ج1، ص 065.
- (75) فيصل الأول ملك العراق الهاشمي، رفع علم الثورة في الحجاز سنة 4331هـ في عام 9331هـ قررت بريطانيا ترشيحه لعرش العراق، فقدم إلى بغداد، واحتفل بتنصيبه ملكاً على العراق في 81/21/9331هـ توفي فيصل الأول في بيرن عاصمة سويسرا في 91/5/2531هـ. انظر: مير بصري: أعلام السياسة في العراق الحديث، ص 51.
- (76) تنظيم سياسي عراقي، قوامه الفقري من الضباط العراقيين، تأسس في الموصل سنة 7331هـ، وقد لعبت الجمعية دوراً وطنياً بالغاً ضد الإنكليز، إلا أن سقوط الحكم الفيصلي في دمشق، وانتهاء ثورة العشرين في العراق جمد نشاطها وأنهى وجودها. انظر: هادي عليوي: الأحزاب السياسية في العراق السرية والعلنية، ص 14.
- (77) جمعية سرية عراقية، تأسست سنة 7331هـ برئاسة السيد محمد الصدر، وقد نشطت الجمعية ولعبت دوراً بارزاً عندما قامت ثورة العشرين، وألقت سلطة الاحتلال القبض على الكثير من أعضاء الجمعية، وأبعدتهم إلى جزيرة هنجام في الخليج العربي، وهكذا انحلت الجمعية في 72/11/8331هـ. انظر: هادي عليوي: المرجع السابق، ص 74.

- (78) طارق الحمداني: التدوين التاريخي في العراق، ص 902 .
- (79) تأسس في عام 3431هـ بالموصل، وقدم الملك فيصل الأول المساعدات المالية له ليواصل نشاطه في إعداد الرأي العام، كما قدم تقريراً واسعاً عن قضية الموصل نشره على شكل كراس. انظر: هادي عليوي: المرجع السابق، ص 26.
- (80) جعفر حميدي: التيار القومي في العراق 1291 — 8591م (مجلة آفاق عربية، السنة 9، يونيو 4891م) ص 4.
- (81) تجمع سياسي وطني عراقي، تأسس سنة 0431هـ وقد ضم الكثير من الشخصيات التي ساهمت في ثورة العشرين، وقدم الحزب مع حزب النهضة العراقية مذكرة إلى الملك فيصل الأول تتضمن العديد من المطالب السياسية، فاستغل المندوب السامي البريطاني وجود الملك فيصل في لندن، فأغلق الحزب الوطني وحزب النهضة ونفى زعمائهما إلى جزيرة هنجام. انظر: هادي عليوي: الأحزاب السياسية في العراق السرية والعلنية، ص 45.
- (82) ترافق تأسيس هذا الحزب مع تأسيس الحزب الوطني العراقي، وقد شارك الحزب إلى جانب الحزب الوطني في تقديم مذكرة الاحتجاج إلى الملك فيصل، كما ساهم في النشاطات الوطنية في رفض المعاهدة العراقية — البريطانية، وفي عام 8431هـ توقف نشاط الحزب وانتهى أمره. انظر: هادي عليوي: المرجع السابق، ص 75.
- (83) حزب رجعي عراقي موالٍ للإنجليز، وهو ثالث حزب علني يقوم في العراق في هذه الفترة، إلا أن هذا الحزب بدأ في الاضمحلال بعد سقوط الوزارة النقيببة الثالثة. انظر: هادي عليوي: المرجع السابق، ص 95.
- (84) تأسس عام 3431هـ، وكان من أهم أعماله مطالبة المسؤولين بإعلان القانون الأساسي، وتصدى لمشكلة الموصل وقضية منح امتياز النفط، وانتهى حزب الأمة سياسياً بعد سنتين من قيامه. انظر: هادي عليوي: المرجع السابق، ص 06.
- (85) ياسين حلمي بن سلمان الهاشمي، أحد بناء الدولة العراقية الحديثة، رأس الحكومة العراقية مرتين، فاضطر للاستقالة على أثر انقلاب بكر صدقي سنة 6531هـ. توفي ببيروت. انظر: مير بصري: أعلام السياسة في العراق الحديث، ص 49.
- (86) تجمع سياسي برلماني عراقي معارض، تأسس سنة 4431هـ. يعد حزب الشعب أول حزب برلماني معارض، وحين ألف جعفر العسكري وزارته الثانية سنة 5431هـ اشترك فيها حزب الشعب ممثلاً برئيسه الهاشمي، وكان ذلك بداية أزمة داخلية في الحزب؛ مما أدى إلى انحلاله. انظر: هادي عليوي: المرجع السابق، ص 76.
- (87) عبد المحسن بن فهد باشا السعدون، انتخب رئيساً لمجلس النواب العراقي مرتين، ترأس الحكومة العراقية أربع مرات، حتى انتحاره في بغداد في 01/6/8431هـ. انظر: مير بصري: أعلام السياسة في العراق الحديث، ص 76.
- (88) أول تجمع نيابي يميني عراقي، وأول حزب حكومي موالٍ للإنجليز، تأسس سنة

5431هـ؛ لتأييد وزارة السعدون الثانية، وكان الحزب يتمتع بنفوذ عشائري كبير، وبتأييد دار الاعتماد البريطاني، إلا أن إقدام السعدون على الانتحار آذن بتعجيل انهيار الحزب في صيف 1531هـ. انظر: هادي عليوي: الأحزاب السياسية في العراق السرية والعلنية، 56.

(89) هو محمد نوري بن سعيد أفندي، ترأس الحكومة العراقية لأكثر من أربع عشرة مرة، وبقي في سدة الحكم إلى ثورة 21/62/7731هـ وعندما قامت الثورة اختفى في دار محمود الاسترابادي في الكاظمية، وخرج في اليوم الثاني إلى جنوبي بغداد؛ فلقى مصرعه وسط الجماهير الهادرة. انظر: مير بصري: المرجع السابق، ص 621.

(90) حزب يميني رجعي عراقي، تأسس سنة 9431هـ ألفه وترأسه نوري السعيد، وكان الهدف الأساسي من تأليفه المصادقة على إبرام المعاهدة العراقية — البريطانية، لكن موقف المعارضة والشعب كان صلباً، ويعد هذا الحزب الذي عاش في السلطة أكثر من أي حزب سياسي علني آخر طوال العهد الملكي. انظر: هادي عليوي: المرجع السابق، ص 96.

(91) علي جودت بن أيوب آغا، ترأس الحكومة العراقية ثلاث مرات، وعُيّن رئيساً للديوان الملكي في سنة 3531هـ، وتوفي في بيروت في 41/21/8831هـ. انظر: مير بصري: المرجع السابق، ص 851.

(92) هو أول حزب سياسي تأسس بعد دخول العراق عصبة الأمم، وتعود فكرة تأسيسه أثناء تشكيل الأيوبي وزارته الأولى سنة 4531هـ لإسناد حكمه، ولما سقطت وزارة الأيوبي سنة 5531هـ تفرق أعضاؤه، ثم انتهى من الوجود تلقائياً. انظر: هادي عليوي: المرجع السابق، ص 47.

(93) تأسست جمعية الجوال العربي، على يد مجموعة من الضباط القوميين العراقيين، وقد أسهم بعضهم في حركة الكيلاني 1631هـ لذلك أقدمت حكومة جميل المدفعي الخامسة — التي تشكلت عقب فشل الحركة — على تعطيل الجمعية، وإغلاق صحيفتها، واعتقال أبرز أعضائها. انظر: هادي عليوي: المرجع السابق، ص 58.

(94) طارق الحمداني: التدوين التاريخي في العراق، ص 312.

(95) تأسس في سنة 5531هـ على يد مجموعة من العناصر القومية العراقية، وجاء تأسيس النادي كرد فعل على انتشار الأفكار الشيوعية والاشتراكية، وطالب بتعديل المعاهدة العراقية — البريطانية لعام 9431هـ، وبعد فشل حركة الكيلاني 1631هـ حلت السلطات النادي. انظر: هادي عليوي: الأحزاب السياسية في العراق السرية والعلنية، ص 88.

(96) أمثال: فوزي القاوقجي، وإبراهيم هنانو، وكاظم الصلح، وعبد القادر الحسيني، وغيرهم. انظر: طارق الحمداني: التدوين التاريخي في العراق، ص 412.

- (97) هادي عليوي: المرجع السابق، ص 69.
- (98) تجمع سياسي رجعي، أسسه وترأسه نوري السعيد، وقد جمع خليطاً من العناصر يجمعها هدف واحد هو خدمة نوري السعيد وبريطانيا، وفي سنة 4731هـ حل الحزب. انظر: هادي عليوي: الأحزاب السياسية في العراق السرية والعلنية، ص 921.
- (99) برئاسة صالح جبر الذي قام بتشكيل كتلة موالٍ للأول، كمحورين متنافسين تحدوهما الرغبة في السيطرة والتسلط، بينما كان يتخذ مواقف أكثر اعتدالاً في الشؤون الداخلية، وفي سنة 4731هـ جرى حل الحزب. انظر: هادي عليوي: المرجع السابق، ص 231.
- (100) أُطلق على اتفاقية التعاون الدفاعي الأمني الثنائي بين العراق وتركيا الموقعة سنة 3731هـ، وبعد الإطاحة بالحكم الملكي في العراق، انسحب العراق من الحلف رسمياً. انظر: وليد الأعظمي: نوري السعيد والصراع مع عبد الناصر (الطبعة الأولى، بغداد، المكتبة العالمية، 8891م) ص 31.
- (101) حسن العلوي: العراق دولة المنظمة السرية (لندن، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 0991م) ص 12.
- (102) هادي عليوي: الأحزاب السياسية في العراق السرية والعلنية، ص 161.
- (103) بعد اعتقال العناصر القيادية لنادي المثني إثر فشل ثورة الكيلاني، أُجيز حزب الاستقلال، وبلغ عدد أعضائه 82 ألف منتسب، وعندما قامت ثورة 41 تموز شارك الحزب في وزارة الثورة، ومع بداية توسع حزب البعث في العراق، أخذ الشباب المتحمس في صفوفه يتجه نحو حزب البعث. انظر: هادي عليوي: المرجع السابق، ص 311.
- (104) حزب قومي علماني ماركسي، أسسه ميشيل عفلق وصلاح البيطار في عام 4631هـ، وقام عفلق بتأسيس أولى خلاياه البعثية في العراق، من خلال شباب حزب الاستقلال الذين استهوتهم الشعارات القومية، وفي 41/9/2831هـ قام الحزب بانقلاب دموي على نظام عبد الكريم قاسم، وبعد نجاحه تشكلت أول حكومة بعثية في العراق. انظر: مطاع صفدي: حزب البعث: مأساة المولد ومأساة النهاية (بيروت، دار الآداب، 4691م) ص 56، ومجيد خدوري: العراق الجمهوري (الطبعة الأولى، بيروت، الدار المتحدة، 4791م) ص 952.
- (105) كانت أولى المحاولات لتشكيل حزب شيوعي سري في العراق، قد تمت بتأثير الحزب الشيوعي السوري، وظهر أول تنظيم شيوعي في العراق عام 4431هـ وقد مر الحزب طوال حياته بفترات عصيبة، وانقسامات متتالية في تنظيماته، وحملات اعتقال شملت أغلب أعضاء المكتب السياسي للحزب، وعندما قامت ثورة 41 تموز ساندتها الحكم الحزب الشيوعي منذ بدايتها والتف حولها. انظر: هادي عليوي: المرجع السابق، ص 57.

- (106) هادي عليوي: الأحزاب السياسية في العراق السرية و العلنية، ص 261.
- (107) تشارلز تريب: صفحات من تاريخ العراق، ص 702.
- (108) عبد الكريم قاسم محمد البكر الزبيدي أول رئيس للجمهورية، قام بثورة 41 تموز، وقام حزب البعث وعبد السلام عارف في ثورة 9/41/2831هـ فأسقطه، وأُعدم رمياً بالرصاص. انظر: شامل عبد القادر: عبد الكريم قاسم البداية والنهاية (الطبعة الأولى، عمان، الأهلية للنشر، 2002م) ص 11.
- (109) عبد السلام بن محمد عارف البزّاز الدليمي ثاني رئيس للجمهورية، شارك في ثورة 41 تموز، وبرز في ثورة 2831هـ فانتخب رئيساً للبلاد، وحكم العراق ثلاثة أعوام، احترقت به طائرة هليكوبتر وهو آيب من زيارة لإقليم البصرة سنة 6831هـ. انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج4، ص 9.
- (110) عبد اللطيف الشواف: عبد الكريم قاسم وعراقيون آخرون (الطبعة الأولى، لندن، دار الوراق، 4002م) ص 92.
- (111) اديث وآئي أيف بينروز: العراق دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية 5191 — 5791م، ج2، ص 833.
- (112) فالج حنظل: أسرار مقتل العائلة المالكة في العراق (الطبعة الثالثة، لندن، دار الحكمة، 8241هـ) ص 952.
113. وليام أندرسن وغاريث ستانفيلد: عراق المستقبل، ص 101.
114. فالج حنظل: أسرار مقتل العائلة المالكة في العراق، ص 962.
115. 115 (511) الرئيس الثالث لجمهورية العراق، كان أحد الضباط الذين شاركوا في ثورة 41 تموز، وبعد مقتل شقيقه عبد السلام، اختير رئيساً للجمهورية، أقصي عن الحكم في 21/4/8831هـ، وتم إبعاده إلى إسطنبول، توفي في 01/8/8241هـ في العاصمة الأردنية عمان. انظر: موقع الرائد نت: <http://www.al-raeed.net>
116. رابع رئيس لجمهورية العراق، نظم سنة 2831هـ حركة مسلحة أدت إلى الإطاحة بالحكم القاسمي، وفي حركة 8831هـ أطاح بالرئيس عبد الرحمن عارف، ليصل البكر إلى منصب رئاسة الجمهورية، وفي سنة 9931 جرده صدام من جميع مناصبه في الدولة والحزب، حتى وفاته سنة 2041هـ. انظر: محمد خير رمضان يوسف: تتمة الأعلام، ص 03.
117. ينحدر من مدينة العمارة في جنوب العراق، جاء الى صفوف حزب البعث من داخل أحد السجون، اختير لإدارة معتقل قصر النهاية، ومارس أبشع وسائل التعذيب والقتل بحق المعارضين، قام بمحاولة انقلابية فاشلة سنة 3931هـ أودت بحياته. انظر: مدونة نور الحقيقة بين الماضي والحاضر: <http://nooralhaqiqa.blogspot.com>
118. قانوني ومؤرخ عراقي، هو المدني الوحيد الذي تولى رئاسة الوزارة في العراق بعد

ثورة 41 تموز، أتهم بالتآمر على الحكم القائم في العراق سنة 8831هـ فقبض عليه بخدعة، وتعرض لتعذيب شديد، فأصيب بشلل أفقده الوعي، ولم ينفع فيه العلاج بلندن، وتوفي ببغداد في 7/92/3931هـ. انظر: مجيد خدوري: العراق الجمهوري، ص 533.

119. تشارلز تريب: صفحات من تاريخ العراق، ص 952.
120. صدام حسين عبد الغفور المجيد، خامس رئيس للجمهورية العراق، وصل للحكم بشكل رسمي عام 9931هـ، وخاض عام 0041هـ حرباً مع إيران استمرت لثمان سنوات، قام عام 1141هـ باجتياح الكويت وتسبب ذلك بحرب الخليج الثانية والتي خسر فيها الحرب، شن الجيش الأميركي حرباً على العراق انتهى باجتياحه وإزاحة صدام عن السلطة، قبض عليه في 82/01/4241هـ وأعدم في 9/21/7241هـ. انظر: خليل الدليمي: صدام حسين من الزنزانة الأمريكية، هذا ما حدث! (الطبعة الثانية، الإمارات العربية المتحدة، دار الواضح، 0102م) ص 74 — 45.
121. كان من الشخصيات المهمة في ثورة 8831هـ وتقلد عدداً من المناصب، كان آخرها وزير الدفاع ونائب رئيس الجمهورية، تم إعفائه من مناصبه في خريف 0931هـ وتعيينه سفيراً في الجزائر، حتى تم اغتياله في الكويت عام 1931هـ. انظر: زهير الدجيلي: بيت العقرب (الطبعة الأولى، 0991م) ص 121.
122. مؤرخ وشاعر، شغل منصب وزير الدفاع بعد انقلاب 2831هـ ثم اختير وزيراً للداخلية عقب انقلاب 41 رمضان، فنائباً لرئيس الوزراء، فنائباً لرئيس الجمهورية، ثم استبعد فنقل سفيراً لدى موسكو، ثم سفيراً لدى فنلندا، وكانت وفاته سنة 5041هـ. انظر: موقع: معجم البابطين لشعراء العربية، على الرابط: <http://www.almoajam.org>

123. فالح حنظل: أسرار مقتل العائلة المالكة في العراق، ص 182.

124. نفس المرجع، ص 182.

تاريخ نقل الأسماء العربية إلى الإنجليزية الحروف اللاتينية (Transliteration)

أ. مشارك قسم التاريخ - جامعة النيلين

د. محمد المصطفى أبو القاسم

المستخلص:

تحاول هذه الورقة تسليط الضوء على مسألة مهمة، ألا وهي كيفية نقل الأسماء العربية إلى الإنجليزية، تبدأ الورقة بمناقشة أسباب عدم نقل تلك الأسماء بالطريقة الصحيحة منذ أيام الاستعمار الغربي للدول العربية والإسلامية، مما أدى إلى ظهور طرق متعددة لنقل الأسماء العربية تميزت بوجود الأخطاء الشائعة بسبب عدم الاهتمام الأكاديمي بتلك المشكلة. ثم تنتقل الورقة إلى شرح الطرق الصحيحة لنقل الحروف العربية إلى ما يناسبها من الحروف الإنجليزية، وكتابة الأسماء العربية بالحروف الإنجليزية مع وجود نماذج من الأسماء العربية، وتحويل الأرقام اللاتينية إلى العربية. هذا وقد خرجت الورقة بتوصيات أهمها ضرورة الاهتمام بهذه المادة في المدارس الثانوية والجامعات.

Abstract:

This paper is an attempt to highlight the, important issue of how to transliterate Arabic names in English. The paper begins with the causes of mistransliteration of Arabic names since the era of the western colonization of Arab and Islamic Countries, a thing which led to the existence of so many wrong ways of transliteration as a result of the absence of Academic attention to the problem. Then the paper shows the right ways of transliteration of Arabic letters and names, with providing some examples from Arabic names, and translate Latin figures into Arabic. Finally the paper discusses some results and recommendations such as the importance of paying attention to the issue in Secondary Schools and Universities.

مقدمة:

فقد تعرض أغلب بلدان العالم العربي والإسلامي - بما في ذلك السودان - إلى وجود أجنبي استعماري منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى بداية خمسينيات القرن العشرين تقريباً، وكان لهذا الوجود الأجنبي آثار سلبية في مجالات كثيرة. ومن ذلك مشكلة مزمنة ظلت تواجه الباحثين في شتى المجالات، والطلاب الجامعيين في مختلف التخصصات. ألا وهي كيفية كتابة الأسماء العربية باللغة الإنجليزية. فقد خلّف لنا المستعمر طريقة لا أصالة فيها ما أدى - في النهاية - إلى وجود طرق متعددة لكتابة الأسماء، وصار كل شخص يكتب اسمه أو اسم غيره بالطريقة التي تعجبه بغض النظر عن الصواب والخطأ، وصار ذلك مقبولاً في الجامعات بل في كل المؤسسات.

ولا أذيع سراً إن قلت إنه - استثناء بعض الأكاديميين - فأغلب الناس يكتبون أو ينقلون أسماءهم إلى الإنجليزية بطريقة غير صحيحة وأنا بحكم هوايتي الخاصة بنسخ الشهادات الجدارية للخريجين وطلاب الدراسات العليا لم أجد طالباً واحداً ينقل اسمه إلى الإنجليزية بالطريقة الصحيحة ومثالاً لذلك فقد كُلفت مؤخراً بنسخ شهادات تقديرية لأكثر من (135) طالباً بأسماء رباعية أي حوالي (540) اسماً لم أجد فيها اسماً واحداً مكتوباً بالطريقة الصحيحة.

لذا يحاول هذا الكتيب مناقشة أسباب ذلك ووضع الأسس الصحيحة لكتابة الحروف والأسماء العربية باللغة الإنجليزية، مع نقل الأرقام اللاتينية إلى العربية ووضع نماذج من أسماء الله الحسنى والأسماء المركبة وبعض المؤلفات والشهور العربية.

١ / جذور وأسباب المشكلة:

- أ. هنالك بعض الحروف في اللغة العربية لا شبيه لها في اللغات الأجنبية، ولم يكن بمقدور الإداريين والعسكريين وغيرهم من الأوروبيين الذين عملوا في السودان وسائر الدول المستعمرة نطق تلك الحروف أو كتابتها بالطريقة الصحيحة، كالحاء والعين والغين والضاد مثلاً، فالحرف (a) يقابل «الألف والعين»، والحرف (h) يستخدم ليعني «الحاء، والهاء»، والحرف (t) يعني «الطاء والتاء»، والحرف (d) يعني «الذال والضاد» وهكذا...
- ب. إن أولئك الأوروبيين كتبوا تقارير في مختلف المجالات وألفوا كتباً تحكي عن تجاربهم فصارت طريقتهم في كتابة الأسماء العربية باللغة الإنجليزية وغيرها مقبولة في أوساط الوطنيين كأمر واقع وساروا على دربهم لفترة طويلة،⁽¹⁾ وما زالت آثار تلك التجربة - على ما فيها من مأخذ - موجودة حتى يومنا هذا، إذ نجد أغلب الطلاب والموظفين وغيرهم يكتبون أسماءهم بتلك الطريقة القديمة، مع ملاحظة أن تلك المؤلفات نشرت ووزعت في أوساط الناطقين بغير اللغة العربية.

ج. ظهر جيل من العلماء الأجانب والوطنيين منذ ثلاثينيات القرن العشرين تقريباً وصاروا يتعاملون في كتابة الأسماء العربية بالطريقة الأكاديمية البحتة. منهم مثلاً: فيليب حتي (Philip Hitti) وهوراني (George Fadlo Hourani) وبيتر هولت (P. M. Holt) ويوسف فضل حسن وفتحي حسن المصري⁽²⁾ إلا أن ذلك كان في نطاق العمل الأكاديمي البحت، لذا فإن تجربتهم ربما استفاد منها القليلون وفي مجال البحث العلمي ليس غير. فلم يستفاد من ذلك الجهد على المستوى الأفقي، ولم يتم وضع الأسس السليمة لكتابة الأسماء العربية بالحروف اللاتينية وتضمينها في مناهج المدارس الوسطى أو الثانوية ولا في الجامعات إلى يومنا هذا.

د. كان من نتائج ذلك وجود طرق متعددة لكتابة الأسماء العربية منها الصواب ومنها الخطأ. نأخذ مثلاً الاسم مُحَمَّدٌ؛ كان كرومر يكتبه (Mohamet⁽³⁾) وونجت باشا يكتبه (Mohammed⁽⁴⁾) وجاء الاسم في بحوث الدراسات العليا بجامعة الخرطوم في الفترة من 1958م إلى 1975م برسم مختلف (Mohamed) أي دون تشديد مع وجود حالات اختصار مثلاً، Mohed، و (Mohd⁽⁵⁾).

وعلى الرغم من ظهور الرسم الصحيح في بعض المصادر وهو (Muhammad) . إلا أن الغالبية من الباحثين والطلاب وغيرهم يكتبون هذا الاسم وغيره من الأسماء بطرق مختلفة وغير صحيحة.

هـ. نلاحظ أن الكثيرين يكتبون أسماءهم باللغة الدارجة فيوسف (Yûsuf) مثلاً تكتب يُوسُف (Yousif (والعُبَيْد (al-'Ubayd)) تكتب El Ebaid أو (6 El Obeid. كما نلاحظ أن الكثيرين يشددون حرف السين. كالاسم حسن مثلاً يكتب Hassan () . والصحيح Hasan كما يكتبون بعض الحروف المشددة من غير تشديد مثلاً: عبد الوهَّاب مزمل ومُدثر ومساوي، ومثل هذا كثير.

و. كثير من الأكاديميين السودانيين وغيرهم من العرب والمسلمين يستخدمون الحرف (G) بدلاً عن (q) و (J) وكتابة الحرف (K) بدلاً عن (q) أيضاً. ويبدو هنا أننا تأثرنا بالمصريين ووجودهم في السودان في فترات سابقة. والمصريون ينطقون الجيم بطريقة أقرب إلى القاف مثلاً الحاج (al- Hā'j) ينطقونها الحاق al- Hag وجمال (Jamal) ينطقونها .

ز. قمال Gamāl كما ينطقون القاف (K) بدلاً عن (q)، كما في الاسم فاروق (Farûq) يكتبونه Farouk والقاهرة يكتبونها Al Kahira، كما يكتب البعض كلمة القرآن Kuran (والصحيح 7 Qur,ān).

ح. نلاحظ أيضاً أن أغلب الباحثين والطلاب وغيرهم يكتبون حرف العين (a) وحرف الهمزة (a) وهذا خطأ أيضاً. فلكل حرف من هذين الحرفين رسم خاص به. فأما الحرف (a) ومعه الحرف (i) والحرف (u) فهذه هي حروف اللين (vowels) يقابلها في اللغة العربية حروف المد القصار (الألف والياء والواو) أي الفتحة والكسرة والضمّة. وفي حالة المد الطويل كان الأجانب يرسمون الألف aa أو a: والياء ii أو i: والواو uu أو u: وقد استعاض عن هذه الطريقة في المد بوضع الفتحة فوق الحرف المدود. ففي حالة المد بالفتحة ترسم (ā)

وفي حالة المد بالضممة يرسم Ū وفي حالة المد بالكسرة يرسم Ā .
ط. إشكالية رسم لام التعريف مع الحروف القمرية والشمسية:
ي. نلاحظ أن الإنجليز وغيرهم من الأجانب كانوا يرسمون لام التعريف مع الحروف القمرية بطرق مختلفة فمنهم من يرسمها EL مع وجود فاصل بينها وبين الاسم كالفاشر مثلاً ترسم El Fasher ومنهم من يرسمها Al إلا أن أغلب الأكاديميين المحدثين يرسمونها Al- كالاسم البخاري مثلاً يرسم Al- Bukhārī أو al- Bukhari إذا وقع بعد الاسم الأول. هذا مع وجود بعض الحالات التي ترسم فيها لام التعريف بالطريقة التقليدية كعبد الباري مثلاً ترسم: Abdal- Bari أو Abd al Bari.

أما اللام الشمسية فكان بعض الإنجليز وغيرهم من الأجانب وكثير من السودانيين حتى اليوم يحذفون اللام ويشددون الحرف الذي يليه. أي يرسمونها كما تنطق باللغة العربية. فالاسم «النور» مثلاً يرسمونه Annour وعبد الرحمن ود النجومي يرسم أوهرويدر (Abderrahman Wad en Nejumi) ويرسم الدامر Ed Damar.

إلا أن جمهور المؤرخين وعلماء الاجتماع وغيرهم من المحدثين يثبتون لام التعريف مع الحروف الشمسية «فالنور» مثلاً يرسم Al- Nūr وعبد الرحمن ود النجومي ترسم Abdal- Rahmān Wad al- Nujūmi. وهو الرسم الصحيح من الناحية الأكاديمية.

ك. هنالك بعض الحروف في اللغة الإنجليزية لا مكان لها في نقل الحروف والأسماء العربية هي: c e o و x p إلا أن بعضها كان مستخدماً على أيام الإنجليز وظل البعض يستخدمها إلى يومنا هذا وهو استخدام غير صحيح كما في الاسم سعيد Saeed والصحيح Sa ، Īd والاسم عمر Omer والصحيح Umar. وهناك بعض الأسماء نرسمها بالطريقة الدارجة كنوح مثلاً (Noah) والصحيح نُوح (Nûh) . ويستثنى البعض أسماء بعض المدن كنوري وكوستي وسودري ويرسمونها Nōri و Sōdari Kōsti. إلا أن الصحيح هو: Nûri و Kûsti و Sûdari

2/ رسم الحروف العربية باللغة الإنجليزية في حالات السكون والفتحة والكسرة والضممة والتشديد:

الحرف	السكون	الفَتْحة	الكسرة	الضمة	التشديد	الحذف	السكون	الفَتْحة	الكسرة	الضمة	التشديد
ء	,	'a	'i	'u	-	ض	d	da	di	du	dd
ب	b	Ba	bi	Bu	bb	ط	t	ta	ti	tu	tt
ت	t	Ta	Ti	Tu	tt	ظ	z	za	zi	zu	zz
ث	Th	Tha	thi	Thu	thth	ع	,	a	i	u	,
ج	J	Ja	Ji	Ju	jj	غ	gh	gha	Ghi	Ghu	ghgh
ح	H	Ha	hi	Hu	hh	ف	f	fa	Fi	Fu	ff
خ	Kh	Kha	khi	Khu	khkh	ق	q	qa	qi	Qu	qq
د	D	Da	di	Du	dd	ك	k	ka	Ki	Ku	kk

ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل	ل
ll	Lu	Li	la	I	ل	dhdh	Dhu	dhi	Dha	Dh	ذ
mm	Mu	Mi	ma	m	م	Rr	Ru	Ri	Ra	R	ر
nn	Nu	Ni	na	N	ن	zz	Zu	zi	Za	Z	ز
hh	Hu	Hi	ha	H	هـ	ss	Su	Si	Sa	S	س
ww	Wu	Wi	wa	w	و	shsh	Shu	Shi	Sha	Sh	ش
yy	Yu	Yi	ya	Y	ي	ss	Su	si	Sa	s	ص

3/ حذف الهمزة في أول الاسم وإثباتها في وسط الاسم أو آخره:

اتفقت بعض المصادر على حذف حرف الهمزة من أول الاسم في حالات الفتح والضم والكسر، كأحمد بفتح الهمزة، وأسامة بضمها، وإسحاق بكسرها وعليه تحول إلى اللغة الإنجليزية فيبدأ الاسم بحرف اللين أو حرف المد القصير، فيصير الاسم أحمد Ahmad بدلاً عن Ahmad وأسامة Usāma بدلاً عن Usāma وإسحاق

Ishaq بدلاً عن Ishaq⁽¹⁰⁾. فهو حذف لا مبرر له، مع ضرورة نقل حرف الهمزة في حالة وجودها داخل الاسم أو في نهايته مثل: قرآن Qur'ān ورؤف Ra'ūf ورجاء Rajā 'Wafā' ووفاء .

4/ بعض الحروف تنقل بوضع نقطة أسفل الحرف مثل الحاء والطاء والصاد والضاد والظاء ، تنقل h , t , s , d and z .

5/ نماذج لبعض الحروف داخل الأسماء:

الحرف	الكلمة	التحويل	الحرف	الكلمة	التحويل
ث	عثمان	'Uthmān	س	عبّاس	'Abbas
ث	الثريّا	Al- thurayya	ش	شكري	Shukri
ث	مدثر	Muddaththir	ش	أورثشي	'Urtashshi
ج	الحاج	Al- Hāj	ط	المطلب	Al-Muttalib
ج	الحجاج	Al-Hajjāj	ظ	أماظة	Al-Māzah
ح	السحّار	Al-ahhār	ظ	المعظميّة	Al-Mu'azzamiyya
خ	راتخّم	Mukhtār	ل	مليط	Milliyt
ذ	معاذ	Ma'ādh	و	فوّاز	Fawwāz
ذ	الذهبي	Al- Dhahabi	ع	جمّاع	Jammā
ذ	أبو ذر	Abûdhar	ع	معاوية	Mu'awiya

الحرف	الكلمة	التحويل	الحرف	الكلمة	التحويل
زُ	الجازُ	Al- Jāz	قَ	قاسم	Qasim
زُ	البازَه	Al- Bāzah	قُ	شِريِرق	Quraysh
زَ	الزُبَير	Al-Z ubayr	يَ	يحي	Yahya
زَ	الزَاكي	Al-Zāki	كَ	مَكِّي	Makki
زَ	مزمَل	Muzzammil	فَ	رَفَّاي	Raffay

5 / نماذج لحروف المد الثلاثة:

أ / المد بالفتحة: مثل عامر، أسامة، ماجد، تبار 'Āmir ' Usāma, Mājd, Tābbār

ب / المد بالضمّة: مثل مُوسى، الحُوري، نُور، طيفُور: Mûsa ' Alhûri, Nûr, Tayfûr

ج / المد بالكسرة: سعيد، وليد، عبد الكريم، عيسى: 'Sa'id, walid, 'AbdalKarim, Īsa

6 / نماذج من بعض ما عبّد وحمّد من الأسماء:

أ / نأخذ من أسماء الله الحسنى (Excellent names of Allah) مثلاً:

عبد الله: فقد وردت في كثير من المصادر بثلاثة أشكال، إلا أن كل المصادر اتفقت على عدم فصل لفظ الجلالة عن المضاف (عَبْدٌ) وذلك على النحو الآتي:

عَبْدُ الله 'Abdallah، وعَبْدُ الله 'Abdullah

وعَبْدُ الله ⁽¹¹⁾ 'Abdullāhi. أما عبيد الله فأوردها يوسف فضل حسن برسم واحد هو U

⁽¹²⁾ 'bayd' Allah ويمكن أن ترسم 'U baydallah.

أما بقية أسماء الله الحسنى فقد فصلت (أداة) التعريف من لفظ الجلالة في كل المصادر المتخصصة، نأخذ منها الأمثلة الآتية:

عبد الرحمن 'Abdal-rahman

عبد الجبار 'Abdal- Jabbār

عبد السلام 'Abdal- Salām

عبد الباري 'Abd al- bārī

عبد الفتاح 'Abdal- Fattah

عبد المعز 'Abdal- Muriz

عبد الودود 'Abdal- Wadûd

عبد المقيت 'Abdal- Muqīt

قسم الله Qismallah

ب / ومن أسماء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهي تسعة وتسعون أيضاً- نأخذ مثلاً:

محمد Muhamamd

محمد الطيب Muhammad al- Tayyib

محمد المرتضى Muhammad al- Murtada

محمد الخير Muhammad al-khayr

محمد النذير Muhammad al- Nadhir

محمد المدثر Muhammad al- Muddaththir

محمد المجذوب Muhammad al- Majdhub

في بعض الأحيان نجد أن الاسم مركب من ناحية ظاهرية إلا أنه يقصد به إسمين فمثلاً إذا كان الاسم محمد هو ابن النور فلا يكتب مركباً مثل الأسماء بعاليه بل يكتب الاسمان بشكل منفصل (Muhammad Al- Nur) وإذا كان الاسم محمد هو ابن الحسن يكتب الحسن بشكل منفصل (Muhammad Al- Hasan).

7 / تحويل «أبو و» ابن وأم»:

إذا كانت (أبو) مصحوبة بأداة التعريف تحذف الألف ويستعاض عنها بالهمزة. مثلاً عندما يراد تحويل الاسم أبو الهيجاء يصير 'Abu' Ihayjā . لكن إذا كان الاسم خالياً من أداة التعريف فيكتب بشكل عادي مثلاً: أبو زكريا تكتب Abu Zakariyya .

أما «ابن» فتكتب كاملة في أول الاسم فقط. مثلاً: عند تحويل الاسم ابن سعيد الأندلسي يكتب ابن Saïdal- Andalusī . أما إذا كانت في نصف الاسم فتختصر إلى b. حتى ولو وقعت في أول السطر مثال علي بن طه بن عمر تكتب 'Ali b. Tāha b.'Umar . أما «أم» فتتقل منفصلة أيضاً: أم كداده تنقل ('Um kaddādah) وأم درمان (Um Durmān).

8 / تحويل الأرقام اللاتينية إلى العربية:

الأرقام اللاتينية تستعمل في مواضع كثيرة لكن ما يهمل هنا أن المصادر الأجنبية تستخدمها في ترقيم الصفحات الخاصة بمقدمات البحوث العلمية والكتب وترتيب الفصول وسور القرآن الكريم والملوك، ونستخدمها نحن في ترتيب بعض الشهور العربية، وقراءة هذه الأعداد ومعرفتها يمكّن الباحث والقارئ من معرفة أرقام صفحات المقدمة وترتيب الملوك إلى غير ذلك.

أ / الأرقام من 1 إلى 10 (من اليسار إلى اليمين):

I	II	III	IV	V	VI	VII	VIII	IX	X
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10

ب / الأرقام من 11 إلى 20:

XI	XII	XIII	XIV	XV	XVI	XVII	XVIII	XIX	XX
11	12	13	14	15	16	17	18	19	20

ج / الأرقام من 21 إلى 30:

XXI	XXII	XXIII	XXIV	XXV	XXVI	XXVII	XXVIII	XXIX	XXX
21	22	23	24	25	26	27	28	29	30

د / الأرقام من 40 إلى 100:

XL	L	LX	LXX	LXXX	XC	C
40	50	60	70	80	90	100

وعلى ذلك فإن العدد CI هو 101 ، والعدد CIX هو 109 والعدد XCI هو 91 وهكذا...

أما الأرقام من مأتين إلى الرقم ألف تكون على النحو الآتي:

M	DCD	DCCC	DCC	DC	D	CD	CCC	CC
1000	900	800	700	600	500	400	300	200

فالرقم (39652) ينقل MMMCMLII

هـ / وتستخدم هذه الأرقام لتحديد ترتيب الملوك وبعض الشهور العربية مثلاً:

محمد الثالث Muhammad III

ربيع الأول Rab' I

جمادى الأول Jumada I

بطليموس الثامن Ptolemy VIII

ربيع الثاني Rab' II

جمادى الثاني Jumada II

و / نماذج من أسماء بعض العلماء المسلمين ومؤلفاتهم:

1 / أبو عبد الله جابر بن حيّان بن عبد الله الكوفي، كتاب السموم ودفع مضارها:

Abu 'Abdallah Jabir b. Hayyān b. 'Abdallāh al- Kūfi, Kitab al- Sumūm wa
.Daf 'u Madāriha

2 / أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، الفاهر في الطب:

.Abu Bakr, Muhammad b. Zakariyya Al- Rāzi, Al- Fakhir Fi Al- Tib

3 / أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، الأدوية القلبية⁽¹⁵⁾:

.Abu 'Ali al- Husayn b. Abdullah b. Sina' Al Adwiyah al- Qalbiyyah

4 / محمد بن أحمد الهمداني، كتاب الجوهريتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء:

Muhammad b. Ahmad al- Hamadāni, Kitab al- Jawharatayn al- Atīqatayn
.al- Mā' i 'atayn min al- Šafra' wa'l Baydā

5 / أحمد بن علي المقرئ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك:

(Ahmad b. 'Ali al- Maqrīzi, Kitāb al- sulūk fi- ma'rifat duwal al- mulūk.⁽¹⁶⁾

ز / نماذج من أسماء الشهور العربية:

Shawwal	٤ / شَوَّال	Muharram	١ / مُحَرَّم
Dhulhijjah	٥ / ذُو الْحِجَّة	bān'sha	٢ / شَعْبَان
Dhulqa'idah	٦ / ذُو الْقَعْدَة	Safar	٣ / صَفَر

ح/ تدريبات:

أنقل الأسماء الآتية إلى الحروف اللاتينية ثم حاول إيجاد الإجابة الإجابات أدناه:

1- عبد البارئ مدثر عطية الله
2- شرحبيل عيد المنعم مكن
3- عبد القوي أحمد حامد
4- خليل الرحمن الماحي طيب الأسماء
5- عبد المعز النذير الشفيع
6- عصمت عزت رافت

ط / أنقل أسماء المدن الآتية إلى الحروف اللاتينية ثم حاول إيجاد الإجابة الإجابات أدناه.

1- طيبة الخواض
2- الروصيرص
3- الفيوم
4- عد حسين
5- خشم القرية
6- الكويت
7- اللاذقية
8- حمرة الوز
9- أم دقرسي
01- أم ضو بان
11- عمان
21- كتير العوامرة
31- الموصل
41- جبل موية
51- الشارقة

ي / أنقل الأرقام اللاتينية الآتية إلى العربية ثم حاول إيجاد الإجابة الإجابات أدناه:

1- LXV
2- CLX
3- VIII
4- XLIV
5- XXIX
6- IX
7- XII
8- XCI
9- XCIX
10- XXXI

أوجد الحل الصحيح لكل اسم ح / نقل الأسماء

Bbdal-Qawi Ahmad Hamid

Ismat Izzat Ra, fat

Sharmabil Abal- Mun im Makin

Abdal- Ban Muddathit Atitallah

.Abdal- Mu 12 al – Nadhir al- shafi

,Khalil al rahman al-Mahi Tayyib al- Asma

ط / نقل أسماء المدن ، أوجد الحل الصحيح لكل إسم مدينة :

Al- ladhigiyyah

Hamrat al-wiz

,Taybat al – Rahan al- Mahi Tayyib al – Asma

ط / نقل أسماء المدن ، أوجد الحل الصحيح لكل إسم مدينة :

Al-ladhigiyyah

Hamr at al-wiz

.Taybat – khawwad

Khash al- Qirbah

.Al- kuwayt

. Al- Fayyum

ID Husayn

. Al-Rusayris

.Um Dagarsi

.Kitayr al- Awamer ah

.Al-Musil

.Jabal Miyah

. Um Dubban

.Al-Sharigah

. Amman

نقل الأرقام : أوجد الحل الصحيح لكل رقم :

. k، 91، 8، 65، 31، 45، 29 ، 9 ، 160 ، 44

خاتمة:

نخرج من هذا بأن من سلبيات الوجود الاستعماري في العالم العربي والإسلامي نقل الأسماء العربية إلى الإنجليزية في تقارير ومؤلفات الحكام والإداريين الأجانب وغيرهم بطريقة غير صحيحة في أغلب الأحيان، وذلك لأسباب مرتبطة بخصائص اللغتين بخاصة فيما يتعلق بالحروف الهجائية، وصارت طريقة أولئك الأجانب مقبولة على علاقتها كأمر واقع، ولم يذهب العلماء الوطنيين والأجانب الذين ظهروا منذ ثلاثينيات القرن العشرين أبعد من نقلهم الأسماء العربية إلى الإنجليزية في بحوثهم ومؤلفاتهم الخاصة بشكل صحيح ، لذا أن تلك التجربة لم تجد طريقها إلى الناس فاختلف الأمر على الطلاب والباحثين وغيرهم وصاروا ينقلون أسماءهم إلى الإنجليزية بطرق مختلفة تفتقر إلى الدقة والأصالة. ويبدون أن ذلك ناتج عن عدم الاهتمام بهذه الجزئية وتضمينها في مناهج الثانويات والجامعات منذ ذلك الزمن إلى يومنا هذا وقد اتضح من خلال تجربة ناجحة أن ذلك لا يتم إلا عن طريق الدراسة والتمرن المكثف. وقد ضمنت هذه التجربة ضمن منهج النصوص الانجليزية لطلاب البكالوريوس قسم التاريخ ووجدت قبولاً واستحساناً وأفاد منها الكثيرون مما دفعني إلى محاولة تعميم هذه التجربة على كل المستويات.

التوصيات:

1. بما أن اسم المواطن بالحروف «الإنجليزية» يجب أن يكون موحداً في كل شهاداته نقترح تضمين هذه المادة في مناهج المدارس الثانوية بمشاركة شعبي اللغة العربية والإنجليزية بشكل ما. على اعتبار أنها قضية أكاديمية بحثية.
2. أن تتبنى أمانة الشؤون العلمية التجربة على مستوى الأساتذة والمحاضرين ومساعدتي التدريس، والموظفين على اعتبار أن المادة مهمة بالنسبة لهم كأكاديميين وإداريين . فكثير من الباحثين يحتاجون إلى نقل الأسماء العربية التي ترد في بحوثهم وتقاريرهم إلى الحروف اللاتينية مع ملاحظة أن التدريب العملي هو الذي يقود إلى نجاح التجربة .
3. تعميم التجربة لتشمل بعض المؤسسات الحكومية والوزارات كوزارة الداخلية (الجوازات) والخارجية والثقافة والإعلام، بالطريقة التي تراها الجامعة. والله المستعان.

المصادر والمراجع:

(1) يتضح هذا من البحوث التي قدمت لنيل الدرجات العلمية في جامعة الخرطوم منذ خمسينات القرن العشرين ، حيث نجد الأسماء العربية تنقل إلى الإنجليزية حسب ما كان يكتبها الإنجليز مثل: عُمان وعثمان وعمر ومحمد (Oman , Osman, Omer and Mohamed) ونشير هنا إلى أن النقل يختلف عن الترجمة . فمكة عند الإنجليز Mecca، لكن إذا أردنا أن ننقلها إلى الإنجليزية تصير (Makkah) ومكِّي ننقلها (Makki) وليس (Mecci) . أنظر مثلاً :

(SNR) Sudan Notes and Record (Hasan, Y.F., (edit) Khartoum, 1977, VOL.58, Graduate College, university of Khartoum, Dissertation Abstracts , 1958-1975, Wingate, F.R., Mogdism and the Egyptian Sudan , 2nd Edition , London, 1968. Cromer , the East of , Modern Egypt, New York 1903, 2 Vols

(2) من مؤلفاتهم نأخذ مثلاً:

Hourani, George Fadlo , Arab Seafaring in the Indian Ocean in the Ancient and Early Medieval Times , Beirut, 1963.

Hitti, Philip, M., The Mahdist State in the Sudan . Khartoum, 1966.

Hasan, Y.F., op. cit.

_____ , The Arabs and the Sudan , Khartoum, 1966.

Al- Masri, F.H., Bayān Wujûb , al hijra, Ala al-, ibād . Fezz. 1970.

(3) Cromer , op. cit., pp. 1618-.

(4) Wingate, F.R., op. cit., p. 2, 5, 17, 117.

(5) Hasan, Y.F., (SNR) Vol. 58, p- 21133-138, 13-.

(6) بإستثناء السير شارلس غردون فإن أغلب الأجانب الذين عاشوا في السودان في فترة العهد التركي - المصري والمهدية كانوا لا يفرقون بين (العُبيد) و(الأبيض) في كتاباتهم إذ يرسمون الإسمين (Elobeid) . أنظر مثلاً .

Oherwalder , F.J., Ten years Captivity under the MahIdi's Camp.

(7) Hourani, George Fadlo, op. cit., p. 9. Dissertation Abstract, p13.

(8) البشري ، السيد محمد هاشم ، دراسات في أصوات اللغة العربية ، جامعة القرآن الكريم، أم درمان بدون تاريخ ، ص 64-66.

(9) Holt, P.M., op. cit., p6466- Oherwalder, F.J. op. cit., p19, 69, 111.

(10) Wingate, F.R., op. cit., p190

(11) أنظر مثلاً : The Koran (Qur, ān). Translated by E.H. Palmer, London 1951

(12) عز الدين محمد نجيب ، أسس الترجمة من الإنجليزية إلى العربية ، الطبعة الخامسة، القاهرة ، 2005 م ، ص 32.

- (13) Hassan, Y.F. (SNR), P. 111. Hourani, J.F., Op.Cit., P. 121- 125.
نلاحظ أن في بعض المصادر الأجنبية والمحلية تشديداً للجيم (J) في آخر الاسم كالحاج مثلاً يكتبونها Al-Hajj وهذا الرسم غير صحيح. كما أن بعضهم ينقل هذا الاسم بأشكال مختلفة منها Al Hadge وAl Hadj إلا أن الرسم الصحيح هو Al- Hāj أنظر:
Hassan. Y.F., The Arabs and the Sudan, P. 121
Wingate, F.R. Op. Cit., P. 100.
Ibid., P. 19, 38, 249
Hourani, J.F., Op. Cit., p. 58- 118.
Hasan, Y. F. (SNR), P. 40-41.
Al- Masri, F. H., Op. Cit., P. 2, 8, 27, 76.
Holt, P. M. Op.Cit., P. 37, 51, 52, 67.
(14) Hasan, Y. F., the Arabs and the Sudan, P. 29, 30, 173. 186.
(15) الشيخ الأمين محمد عوض الله، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، الطبعة الثانية، مطبعة جامعة النيلين، الخرطوم، 1995م، ص 123-125.
(16) Hasan, Y. F., Op. Cit., P. 265- 266.

المراجع:

أ/ مراجع بالعربية:

- (1) البشرى السيد محمد هاشم، دراسات في أصول اللغة العربية، جامعة القرآن الكريم، أمدرمان (بدون تاريخ) ص 64-66.
- (2) الشيخ الأمين محمد عوض الله، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، الطبعة الثانية، جامعة النيلين، الخرطوم، 1995م، ص 123-127.
- (3) عز الدين محمد نجيب، أسس الترجمة من الإنجليزية إلى العربية، الطبعة الخامسة، القاهرة، 2005م، ص 32.

ب/ مراجع بالإنجليزية:

- (1) The Koran (Qur'ān), Translated by E. H. Palmer, London, 1951.
- (2) Al- Masri, Fathi Hasan, Bayān wujûb alhijra 'al-'ibād. Fez, 1970.
- (3) Cromer, the Earl of ,Modern Egypt, New York, 1908, Vols.
- (4) Hasan, Y. F., (edit) Sudan Notes and Record (SNR), Khartoum, 1977, Vol. 58.
- (5) ----- The Arabs and the Sûdan, Khartoum, 1966.
- (6) Hitti, Philip K. history of the Arabs, 9th edittion, London, 1957.
- (7) Holt, P. M., the Mahist State in the Sudan, Khartoum, 1966.
- (8) Hourani, George Fadlo, Arab Sea faining the Indian Ocean in
- (9) ancient and Early Medieval times, Beirut, 1963.
- (10) Dherwalder, ten years captivity under the Mahdi's Camp. London, 1893.
- (11) Wingate, F. R., Mahdiism and the Egyption Sudan, 2nd Edition, London, 1968.

الصلات التاريخية والحضارية بين ساحلي البحر الأحمر

أ.مساعد - الجامعة الإسلامية بولاية منيسوتا -

فرع الهند

د.صالح محروس محمد

المستخلص:

العلاقات بين ساحلي البحر الأحمر علاقات قديمة وعميقة منذ فجر التاريخ. ومن أهم خصائصها ومميزاتها أنها تتسم بطابع التأثير والتأثر من جراء الامتزاج العرقي والتعايش السلمي بين العرب والأفارقة عبر التاريخ القديم والوسيط والحديث، ظلت هناك اتصالات برّاً وبحراً تربط شبه الجزيرة العربية بإفريقيا نتج عنها نزوح عدد كبير من القبائل العربية إلى إفريقيا وهجرة أفراد من إفريقيا إلى منطقة شبه الجزيرة العربية واستقرارهم فيها. ثم جاء الإسلام الدين العالمي الذي يدعو البشرية جمعاء إلى الإخاء والتعارف والتعاون على البر والتقوى بصرف النظر عن اللون والجنس واللغة. وكان طبيعياً أن تتجاوب إفريقيا مع هذا الدين فجاءت أول هجرة أمر بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إفريقيا حيث استقبل النجاشي ملك الحبشة المسلمين الفارين بدينهم وحياتهم من بطش مشركي قريش استقبلاً حاراً من قبل الإفريقيين. وكان عدداً من كبار الصحابة ينحدرون من أصل إفريقي نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الصحابي الجليل سيدنا بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله، وسيدنا نافع بن عبد الرحمن أحد القراء السبعة، وسيدتنا سمية أم عمار بن ياسر أول شهيدة في الإسلام. فلاغرو إذن أن تكون القارة الإفريقية أول قارة انتشر فيها الإسلام بسهولة. وتتناول هذه الدراسة الهجرات المتبادلة بين ساحلي البحر الأحمر. انتشار الإسلام وحضارته في الساحل الغربي للبحر الأحمر. وأيضاً رحلة حجاج شرق إفريقيا عبر البحر الأحمر. وكذلك العلاقات المصرية السودانية الحجازية. والملك عبدالعزيز آل سعود وعلاقاته مع الساحل الغربي من البحر الأحمر.

الكلمات المفتاحية : البحر الأحمر - مصر والحجاز - الحج - علي دينار - الملك عبدالعزيز - الإسلام - الحبشة - السودان والحجاز - الصومال - إرتريا - المحيط الهندي - شرق إفريقيا

Abstract:

The relations between the Red Sea coastal are old Since the dawn of history. It is the most important characteristics and advantages that they are characterized by an impact and affected by ethnic and peaceful coexistence between Arabs and Africans through ancient history, mediator and modernity, there have been land and sea communications linking the Arabian Peninsula in Africa resulted in the displacement of a large number of Arab tribes to Africa and migrate individuals from Africa The Arabian Peninsula and their stability. The universal religion, which calls heavily calls heavily to brotherhood, acquaintance, cooperation on land and piety, regardless of color, sex and language. It was normal to respond to Africa with this religion and the first migration of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) came to Africa. A number of senior companions described from the African descent. There is no growth, the African continent will be the first continent in which Islam has easily spread. This study deals with mutual migrations between the Gulf Sea coastal. The spread of Islam and its civilization in the west coast of the Red Sea. And also the journey of East African pilgrims through the Red Sea. So the Egyptian-Sudanese relations of Hijaz. The King Abdul Aziz and his relations with the west coast of the Red Sea.

Keywords: Red Sea - Egypt and Hijaz - Haj - Ali Dinar - King Abdulaziz - Islam - Al - Habsha - Sudan and Hijaz - Somalia - Eritrea - Indian Ocean - East Africa

الهجرات المتبادلة بين ساحلي البحر الأحمر:

منذ عصور ما قبل الميلاد لم تتوقف الهجرات بين ساحلي البحر الأحمر سواء هجرات عربية من شرق البحر الأحمر إلى غربه أو هجرات مصرية وسودانية إلى شرق البحر الأحمر والجزيرة العربية وبلاد الحجاز. ويرجع اتصال العرب الأوائل بساحل البحر الأحمر الغربي وشرق إفريقيا إلى عدة قرون قبل الميلاد وكانت هجرتهم بغرض التجارة وليس الاستيطان واختلطوا بالأفارقة عن طريق الزواج⁽¹⁾. وكان العرب أقدم الأمم اتصالاً بالجماعات البشرية المقيمة

على سواحلها قبل غيرهم من الأمم الأخرى وإن كان هذا الاتصال مقصوراً على التبادل التجاري وتصريف منتجات سكان إفريقيا الشرقية في شتى الأسواق وربط المنطقة بأهم مصادر الإنتاج العالمي في الشرق الأقصى وفي بلاد البحر الأبيض المتوسط أي أن النشاط التجاري كان أساس العلاقات التي كانت بين العرب وشرق إفريقيا⁽²⁾. وهناك عوامل مهمة جعلت الصلات قوية بين العرب وشرق إفريقيا في فترة ما قبل ظهور الإسلام، وهى عوامل طبيعية واقتصادية. أما العوامل الطبيعية فتتمثل في البيئة الصحراوية في شبه الجزيرة العربية مما جعلها عامل طرد نحو البحر سواء في اليمن أو في عُمان⁽³⁾. وقرب المناطق الجنوبية من شبه الجزيرة العربية من شرق إفريقيا ويذكر علماء الجيولوجيا أن إفريقيا والجزيرة العربية كانتا أرضاً واحدة متصلة وانفصلت بسبب الانكسارات الأرضية والهزات الأرضية⁽⁴⁾. حيث يضيق البحر الأحمر أكثر ما يضيق في طرفه الجنوبي أو فيما يعرف بمضيق باب المندب وكذلك الجزر الموجودة في البحر الأحمر سهلت عملية الاتصال⁽⁵⁾. فلم يكن البحر الأحمر -الفاصل بين الشاطئ الغربي للجزيرة العربية والشاطئ الشرقي لإفريقيا- يمثل عقبة أمام الاتصال الواقعي بين العرب والأفارقة بالأخص جنوب شبه الجزيرة العربية وكان لإقليم الحجاز أيضاً علاقات مع الجانب الإفريقي وعظم بعد ظهور الإسلام⁽⁶⁾. وهناك عامل طبيعي آخر وهو هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية (شتوية) التي تهب في الفترة من شهر يناير حتى آخر مارس من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي حيث تدفع هذه الرياح معها المراكب الشراعية من شواطئ شبه الجزيرة العربية والخليج العربي إلى سواحل إفريقيا الشرقية وفي العودة تستفيد هذه السفن من هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية (صيفية) التي تهب في الفترة من شهر إبريل وحتى أواخر شهر سبتمبر⁽⁷⁾. وكانت الرحلتان تعرفان باسم داو (Dhow)⁽⁸⁾. وجدير بالذكر أن العامل الاقتصادي المهم الذي يدل على قوة العلاقات بين العرب وشرق إفريقيا هو تجارة المحيط الهندي والتي كانت عبر البحر الأحمر ولقد كانت العلاقات التجارية بين شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها مشهورة من قبل الإسلام المعروفة برحلتَي الشتاء والصيف ثم نحو المحيط الهندي. وقد اشتهر العرب بالتفوق البحري من قديم الزمان وساعدتهم حركة الرياح الموسمية سائلة الذكر⁽⁹⁾. بالإضافة إلى ما لهذه المنطقة من خيرات وفيرة تتمثل في كميات العاج الهائلة والذهب والرقيق والحديد وجلود النمر وأخشاب الصندل والأبنوس والعنبر وأصداف السلاحف وزيت النخيل⁽¹⁰⁾. ويعتقد بعض المؤرخين أن بداية الهجرة العربية إلى شرق إفريقيا كانت عقب انهيار سد

مأرب حيث دفع هذا الحدث بهجرة العرب دفعاً قوياً نحو الساحل الشرقي لإفريقيا بحثاً عن مأوى ومصدر للرزق خارج شبه الجزيرة العربية من حيث القرب الجغرافي والمعرفة السابقة بالساحل⁽¹¹⁾. هذا بالإضافة إلى الهجرات التي كانت من مصر والسودان والصومال والحبشة إلى بلاد الحجاز واستقرار العديد منهم في مكة والمدينة.

انتشار الإسلام وحضارته في الساحل الغربي للبحر الأحمر. وبظهور الإسلام ازدادت هذه العلاقات بين شبه الجزيرة العربية وشرق إفريقيا قوةً ورسوخاً وازدادت الهجرات العربية إلى شرق إفريقيا التي بدأت منذ ظهور الإسلام يتمثل ذلك في المجموعة الصغيرة من المسلمين الذين وجههم الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الحبشة مما يؤكد أن الصلات بين الجزيرة العربية وإفريقيا كانت قديمة⁽¹²⁾ حيث هبط أول بعثة إسلامية في باضع (مصوع) في شهر رجب سنة خمس من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وثمان قبل الهجرة النبوية الموافق سنة ستمائة وأربعة عشر ميلادية، فقد دخل الدين الإسلامي -قبل سائر المعمورة سوى مكة- إلى هذا القطر في شهر رجب، حيث هبطت في التاريخ المذكور أول بعثة إسلامية إلى البلاد الخارجية مكونة من خمسة عشر نفرًا من مكة إلى جزيرة باضع (مصوع) برئاسة عثمان بن عفان الأموي، الصحابي، صهر رسول الله، وخليفته الثالث. وبعده بقليل أتت بعثة ثانية، ووجدت ترحيباً عظيماً في بلاط النجاشي، حيث تلى القرآن في رحابه لأول مرة، تلاه زعيم البعثة جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سورة مريم، ومن سورة العنكبوت، ومن سورة الروم حتى تأثر النجاشي ورجال حاشيته من سماعه، ففاضت أعينهم بالدموع، ثم قام الدعاة من هذا القطر بنشر الدين الإسلامي الحنيف في المناطق الإفريقية المجاورة، وما من شك أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالخروج إلى الحبشة وكان ذلك بسبب العلاقات القديمة ما بين شبه الجزيرة العربية والقارة الإفريقية وما كان بين أهل هذه وتلك من تعامل متبادل⁽¹³⁾. وأكدت هجرة المسلمين للحبشة على علم الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه البلاد وحاكمها بشكل دقيق جداً مما يؤكد قوة العلاقة التي كانت بين ساحلي البحر الأحمر، وأن الرحلات بين مكة والسودان كانت منتظمة، وكذلك أكدت على معرفة العرب بلغة الحبشة ومعرفة أهل الحبشة باللغة العربية والفترة التي قضوها المهاجرون المكيون بالسودان ليست بالقصيرة حيث قضوا أربعة عشر عاماً مما يؤكد اندماج المكيين مع السودانيين⁽¹⁴⁾ وزاد نشاط التجار المسلمين في شرق إفريقيا حيث كانوا يجمعون بين التجارة والتعليم فأنشأوا الكتاتيب لتعليم القرآن الكريم وبنوا المساجد لأداء الشعائر الدينية ولتعليم الأفارقة قواعد الإسلام وشعائره الصحيحة⁽¹⁵⁾. ومع انتشار الإسلام اتسع معه نطاق الملاحة البحرية العربية الإسلامية في المحيط الهندي وكانت

الاضطرابات السياسية التي شهدتها الدولة الإسلامية أعقبها العديد من الهجرات العربية إلى إفريقيا⁽¹⁶⁾.

ومن الذين كان لهم دور في دعم المجاهدين ضد الاستعمار الأوروبي السيد محمد عثمان الميرغني من مدينة الطائف ببلاد الحجاز الشهير بـ«الختم» هو مؤسس الطريقة الختمية المنتشرة في مصر والسودان وإرتريا وإثيوبيا. وينتمي إلى واحدة من أسر الأشراف بمكة المكرمة وهي أسرة الميرغني وقد ترجم له الشيخ عبد الله مرداد أبو الخير قاضي مكة المكرمة المتوفى عام 1343هـ في مخطوطته (نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر) وكانت بداية رحلة الإمام الختم الدعوية الأولى انطلاقاً من مكة المكرمة ومنها إلى مدينة تريم باليمن وسافر من هناك بحرًا إلى بلاد الصومال ومنها إلى مصوع على البحر الأحمر وتوغل بعد ذلك في أراضي الحبشة ومنها عاد إلى مكة المكرمة وفي رحلته الأولى هذه دخل الإسلام على يده عشرات الآلاف ومنها قبائل كاملة دخلت في الإسلام وسلکوا على يديه طريقته الختمية⁽¹⁷⁾.

- يوجد العديد من الملاحظات المهمة على الهجرات والعلاقات بين ساحلي البحر الأحمر يمكن أن نوجزها فيما يلي:
- قدم العلاقة بين ساحلي البحر الأحمر وقوتها بسبب العوامل الطبيعية والبشرية والاقتصادية حيث لا يفصلهما سوى البحر الأحمر.
 - ساهم الساحل الغربي للبحر الأحمر بدور كبير في نقل المؤثرات العربية والإسلامية إلى أواسط إفريقيا وداخلها وتوثيق الروابط الاقتصادية ما بين شبه الجزيرة العربية وشعوب شرق إفريقيا.
 - زاد الإسلام العلاقة قوةً ورسوخاً بين ساحلي البحر الأحمر
 - وساعد التجار المسلمون على ازدهار التجارة وإنشاء أسواق في شرق إفريقيا.
 - كانت هذه الهجرات متبادلة من السودانيين إلى الحجاز والعكس تكاد تكون مقصورة على عنصر الرجال دون النساء وهؤلاء الرجال لم تكن تحكمهم عقدة عنصرية فقد تزوجوا من نساء إفريقيات واندمجوا معهم فلاغرو أن تجد السودانيين بكثرة في مكة والمدينة.
 - لا شك من أثر هذه العلاقة انتشار الإسلام واللغة العربية وكانت اللغة العربية الأكثر انتشاراً في شرق إفريقيا حتى مجيء الاستعمار الأوروبي.
 - وكان من أبرز نتائج هذا الاندماج بين العرب المسلمين وأفارقة ساحل غرب البحر الأحمر بروز الشعب السواحيلي بلغته المميزة، وقيام مجتمع جديد بعد جيل أو جيلين لم يعد من السهل تمييزه عن السكان المحليين⁽¹⁸⁾.

رحلة حجاج شرق إفريقيا عبر البحر الأحمر:

كانت رحلة الحجاج عبر البحر الأحمر من المظاهر الحضارية والتاريخية لقوة العلاقات بين ساحلي البحر الأحمر. فانطلقت عبر البحر الأحمر قافلة الحج اليمني التي كانت تضم حجاج اليمن والهند ومالييزيا وإندونيسيا، وينضم لهم حجاج الحبشة والصومال والأفارقة الذين يصلون إلى مصوع، وسواكن، وموانئ اليمن. كانت القوافل تضم عناصر مختلفة، ففيها الأمراء، والأثرياء، والتجار ومعهم تجارتهم، والفقراء، والمعدمين، وكان كل حسب قدرته يرافق القافلة، ففيها الهودج وفيها الجمال والخيول، وفيها الرحالة من البدو والفقراء. وكان الولاة يقومون باستئجار الجمال والخيول لحمل مهمات القافلة، ويتعاقدون على ذلك قبل موسم الحج بوقت كافٍ، ويتفقون على ذلك مع مشايخ الأعراب والبدو الذين يعيشون في المناطق التي تسلكها القوافل. وكانت مشاعر الحب والإيمان تملأ حجاج بيت الله الحرام من الأفارقة وتذرف عيونهم دموعاً من الفرحة للوصول إلى هذه الديار المقدسة وحكى علي محسن البرواني القائد العربي والذي شهد سقوط الحكم العربي مشاعره عند رؤيته الكعبة المشرفة للمرة الأولى وكيف ذرفت عينيه فرحاً برؤية الكعبة المشرفة واستشعار مناسك وشعائر الحج والعمرة⁽¹⁹⁾

يفصل الأفارقة عن مكة المكرمة وبلاد الحجاز البحر الأحمر الذي مياهه لها أهمية استراتيجية لتأمين بلاد الحجاز التي فيها قبلة المسلمين فمن هنا كانت الدولة العثمانية تحافظ على أمن هذا البحر لأنه قريب من الحرمين الشريفين هو من المحافظة على الأمن القومي العربي الإسلامي والأمن القومي السعودي بوجه خاص حيث إن البحر الأحمر أعظم طرق المواصلات البحرية قديماً وحديثاً خاصة بعد افتتاح قناة السويس. ففي العالم القديم كان يحمل التوابل بين الشرق والغرب وأصبح في العصور الحديثة أخطر طرق المواصلات البحرية في العالم حيث يحمل النفط من مناطق الشرق في الخليج العربي وإيران وشبه الجزيرة العربية إلى أوروبا الصناعية والولايات المتحدة الأمريكية فأصبح محط أنظار المخططين السياسيين والعسكريين وموضع اهتمام واضعي القرار السياسي ومحور صراعات معقدة بين القوى الدولية المتصارعة وكذلك القوى المحلية والإقليمية المتنافسة⁽²⁰⁾

وكان حجاج بعض عرب إفريقيا عبر طريق السودان وادي النيل ثم ساحل البحر الأحمر ثم الحجاز وإن كان الطريق غير مأمون لتعرض قوافل الحجاج للنهب بسبب الحروب الداخلية⁽²¹⁾

وكان حجاج شرق إفريقيا عبر موانئ دار السلام وزنجبار وممبسا

ومقديشو يتوجون عبر البحر الأحمر إلى ميناء جدة الإسلامي الذي يقع في مدينة جدة في منتصف ساحل البحر الأحمر. أنشئ ميناء جدة في عهد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان سنة 26هـ / 646 م ليحل محل ميناء الشعبية. ويرى البعض أن جدة ميناء قديم يعود تاريخه إلى الفترة السابقة للإسلام. ازدهرت جدة وازدادت عمارتها لتصبح الميناء الرئيسي لمكة المكرمة، مما أهلها لأن تصبح أعظم موانئ الحجاز، فضلاً عن قربها من الموانئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية لا سيما عدن، وتوسطها بين الموانئ الحجازية، وكذا قربها من ميناء سواكن وعيذاب. ولقد تضافرت كل هذه العوامل لتجعل ميناء جدة يستقطب تجارة البحر الأحمر لقرون عدة. ولقد كانت رحلة حجاج السودان ونيجيريا تستغرق أحياناً عدة سنوات فقد حكى عبدالله فيلبي أنه التقى خلال رحلته للحج عام 1931 م التقى التكارنه وأنهم كانوا يعملون في مزارع القطن في السودان وهم في طريقهم للحج وقابل رجل حكى له أنه بدأ الرحلة وكان لديه طفل واحد ثم أصبحت أسرته ستة أفراد بعد انتهاء الحج استغرقت رحلته أربع عشر سنة وحكى معاناة الحجاج الأفارقة في رحلتهم للحج وأن بعضهم كان يؤثر البقاء في مكة عن العودة لطول الطريق في العودة وحبّه للبلد الحرام (22)

منذ عام 1517 أصبحت مسؤولية حماية البحر الأحمر وسواحله تقع على عاتق العثمانيين وأعلنوا أنفسهم حماة الأماكن المقدسة وكان الغزو البرتغالي لشرق إفريقيا تهديداً مباشراً للأماكن المقدسة الإسلامية التي كانوا يعتبرون حمايتها شرفاً لا يعدله شرف ومصدراً أساسياً لقوة نفوذهم في العالم الإسلامي كله (23) وحافظت الدولة العثمانية على معظم العالم الإسلامي وطرق الحج وحدود الدولة الإسلامية البرية من هجمات البرتغال (24)

كانت الدولة العثمانية تنظم أربع قوافل رسمية لأداء الحج حيث نظرت الدولة العثمانية للحج على أنه الركن الخامس من أركان الدين الإسلامي وأنه واجب ولي الأمر تيسير الحج للراغبين في أداء هذه الفريضة فأنشأت الآبار على طول الطرق المؤدية للحجاز وأقامت في البادية حصوناً لحراسة الآبار وشجعت على تشييد الخانات. وكانت تتحرك كل سنة أربع قوافل حج رئيسية من كافة أنحاء الدولة في مواعيد محددة وفق نظام رتيب في رفقة قوة عسكرية يقودها أحد كبار العسكريين يسمى سردار الحج وكانت كل قافلة ترأسها شخصية كبيرة تسمى بأمرير الحج قافلة الحج الشامي وتضم حجاج بلاد الشام والجزيرة وكردستان وأذربيجان والقوقاز والقرم والأناضول والبلقان وحجاج استانبول نفسها. ثم قافلة الحج المصري وتضم حجاج مصر وشمال إفريقيا

ثم قافلة الحج العراقي وتضم حجاج العراق وفارس ثم قافلة الحج اليمني وتضم حجاج اليمن والهند وماليزيا وإندونيسيا وحجاج شرق إفريقيا الحبشة والصومال⁽²⁵⁾ وكانت ولاية الحجاز ولاية مميزة في الدولة العثمانية حيث بها الأماكن المقدسة فكانت معفاة من الضرائب وكان يخصص لها اعتمادات مالية من ميزانية الحكومة المصرية⁽²⁶⁾ فلقد جمعت شعبة الحج بين شعوب البحر الأحمر وشرق إفريقيا عبر رحلة سنوية فكانت سبباً لروابط حضارية وثقافية بين شعوبه.

مصر والسودان والحجاز علاقات تاريخية وطيدة:

كانت العلاقات المصرية والسودانية علاقات فريدة جسدها فريضة الحج في مواقف كثيرة. فمثلاً تطورت العلاقات المكية السودانية التجارية والروحية عندما تحولت قوافل الحجاج من مصر وبلاد الغرب الإفريقي بسبب الوجود الصليبي في بلاد الشام وفلسطين حيث أصبح ميناء عيذاب يؤدي دوره في خدمة الحجاج المصريين والمغاربة والأفارقة والسودانيين لمدة لا تزيد عن مائتي عام من الزمان (-660 450 هـ) (-1058 1261) أيام السلطان بيبرس الذي فتح طريق سيناء⁽²⁷⁾ وظل السلطان علي دينار (-13016 1335 هـ) (-1898 1916 م) يرسل المحمل سنوياً إلى مكة والمدينة وكان في كل عام يطلب من الحكومة المعنية (الانجليزية المصرية) في الخرطوم تسهيل مهمته، ومن قبله المحمل الدارفوري، واستمر إرسال المحمل السوداني 500 عام، وكان من مهام المحمل توزيع الأموال على الفقراء في مكة والمدينة، والإنفاق على خدام الحرمين الشريفين، وإيصال صرة الحرمين الشريفين لتصريف أمورهما وإدارة العاصمتين المقدستين⁽²⁸⁾.

من الثابت أن بلاد الحجاز خضعت تحت الإشراف المصري منذ الدولة الطولونية والإخشيدية والفاطمية والأيوبيّة، ودولة المماليك، حتى أصبحت مصر والحجاز تحت حكم العثمانيين. وأشرفت مصر على كسوة الكعبة فترات طويلة من تاريخها حتى 1962. وكانت كسوة الكعبة تخرج من مصر في احتفال رسمي فيما عُرف بالمحمل، وقد وصف كثير من الرحالة الذين زاروا مصر خروج كسوة الكعبة والمحمل من مصر كابن بطوطة وناصر خسرو وغيرهما، وكانت الكسوة تطرز في أماكن متعددة في مصر، فأحياناً في مدينة تنيس بالقرب من دمياط، أو بالقلعة، أو بمسجد الحسين، ثم بُنيت لها دارٌ في حي الخرنفش بالقاهرة، وسواءً كانت تصنع هنا أو هناك فكانت دار الكسوة الشريفة عامرةً بعمالها وزاخرةً بفنانينها ممن كانوا يقومون بالزركشة. وحين اشتدت الخلافات السياسية بين مصر والسعودية وتكررت مراراً عمدت

الحكومة السعودية إلى إنشاء دار لكسوة الكعبة المشرفة بها، فأنشئ بحي جيار مصنعٌ لعمل وزركشة الكسوة، وجُهِز بالأدوات اللازمة، وكان ذلك في عهد الملك عبد العزيز آل سعود، ثم أنشأت حكومة السعودية بمنطقة أم الجود بمكة مصنعاً جديداً عام 1977م ويضم هذا المصنع أقساماً متنوعة للنسيج اليدوي ولتصميم ودراسة الزخارف والخطوط الإسلامية وقسم للطباعة وللزركشة. ما علاقة الكسوة بمصر؟ لقد حظيت مصر بشرف صناعة كسوة الكعبة منذ أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حيث كتب إلى عامله في مصر لكي تحاك الكسوة بالقماش المصري المعروف باسم «القباطي» الذي كان يصنع في مدينة الفيوم ثم كساها عثمان القباطي الذي كان يأتي من مصر، فلما ولي معاوية الخلافة كسى الكعبة كسوتين: إحدهما القباطي والأخرى من الديباج. وكان الخليفة المهدي العباسي أول من كساها الحرير الأسود، ولما ضعفت الدولة العباسية كان ولاية مصر واليمن يكسون الكعبة، ثم انفرد ولاية مصر بذلك حتى عام 1381هـ / 1962 م. يذكر المقرئ أن أول حاكم مصري أرسل كسوة الكعبة هو الظاهر «بيبرس» بعد انقطاع اثنتي عشرة سنة بسبب فتنة التتار ومقتل الخليفة العباسي، وكان يتناوب ذلك مع الملك المظفر ملك اليمن. ويذكر الجبرتي - فيما نقله إبراهيم حلمي في كتابه المحمل - أن الظاهر بيبرس لما استقر بالقلعة أبطل المظالم والمكوس وجميع المنكرات وجهاز الحج، فلما وصلوا إلى قلعة منعوهم من دخول «المحمل» وما به من مؤونة علاوة على «كسوة الكعبة المشرفة» وقال أمير مكة لأمر المحمل: دع السلطان يأتيني على الخيل البلق، فلما علم بيبرس جمع له في السنة الثانية أربعة عشر ألف فرس أبلق وجهزهم صحبة أمير الحج، وخرج بعدهم فلاقاهم عند دخولهم مكة وقد منعهم التتار وأمير مكة الممالئ لهم فكسرهم وانتصر عليهم وقتل ملك التتار وطعن أمير مكة بالرمح ثم ركب فرسه ودخل مكة وكسا الكعبة وعاد إلى مصر. وكان إرسال كسوة الكعبة شرفاً كبيراً من الملوك والسلطين حتى إنهم كانوا يتنازعون في ذلك لتسجيل أسمائهم على قطعة الإهداء بستارة باب الكعبة، والدعاء لهم في خطبة عرفة. يقول الجبرتي: «في عام 751هـ أراد المظفر يوسف ملك اليمن أن ينزع كسوة الكعبة التي تعلقها مصر ويكسوها كسوة من عنده باسمه فأخبر أمير مكة المصريين فقبضوا عليه وصارت حرباً طاحنة بين \«المحمل المصري\» وأهل اليمن من الحجاج لم تنته إلا وملك اليمن مصفد بالأغلال في طريقه إلى مصر. يقول ابن إياس في «بدائع الزهور في وقائع الدهور» في عام 780هـ: ولما وصل المحمل المصري إلى مكة بلغهم قدوم محمل اليمن وبه كسوة يمنية للكعبة المشرفة قام بتجهيزها ملك

اليمن إسماعيل بن الأفضل فمنع أمير المحمل المصري المحمل اليمني - وبه الكسوة - من الدخول إلى مكة وكذلك كل حجاج اليمن برمتهم. ولم تكن هذه الخلافات فقط بين المحملين المصري واليمني بل كانت بين المصري والعراقي وأيضاً بين العراقي والشامي. ولا يخفى على كل ذي لب أن أساسها الأول كان سياسياً، وليس دينياً يحرص على الكعبة التي ما قاربت عندهم شيئاً من حرصهم على ملكهم واستمرار هيبتهن أماكن صناعة الكسوة في مصر: تعددت أماكن صناعة الكسوة مع انتقال العاصمة في مصر من مدينة إلى أخرى حتى انتهى الأمر إلى مدينة القاهرة المعزّية، بأن تأسست دار كسوة الكعبة بحي «الخرنفش» في القاهرة عام 1233هـ، وهو حي عريق يقع عند التقاء شارع بين الصوريين وميدان باب الشعرية، وما زالت هذه الدار قائمة حتى الآن، وتحفظ بأخر كسوة صنعت للكعبة المشرفة داخلها، واستمر العمل في دار الخرنفش حتى عام 1962 ميلادية.⁽²⁹⁾

الملك عبدالعزيز وعلاقاته مع الساحل الغربي من البحر الأحمر:

في العصر الحديث ابتداءً من عصر الملك عبدالعزيز آل سعود اضطلعت المملكة العربية السعودية بمسؤوليات جسام تجاه أبنائها خاصة، وتجاه أبناء الأمة العربية والإسلامية، ثم تجاه المجتمع الإنساني. ومن الأمور الجوهرية في بناء الدولة السعودية وخدمة أبنائها ومصالحها الاهتمام بعلاقاتها الخارجية. لقد قامت المملكة العربية السعودية على إرث إسلامي مكن بناه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم طبق مبادئه خلفاؤه الراشدون من بعده، ثم زعماء الأمة الإسلامية حتى العصر الحديث فقامت سياسته الخارجية على دعم العالم العربي والإسلامي والقضايا الدولية العادلة عبر المؤسسات الدولية مثل الأمم المتحدة⁽³⁰⁾. وفي مقدمة السياسة الخارجية السعودية التي وضع أساسها الملك عبدالعزيز المحافظة على أمن البحر الأحمر (الذي يفصل بين المملكة العربية السعودية عن إفريقيا) الذي هو من المحافظة على الأمن القومي العربي والأمن القومي السعودي بوجه خاص حيث إن البحر الأحمر أعظم طرق المواصلات البحرية قديماً وحديثاً خاصة بعد افتتاح قناة السويس. ففي العالم القديم كان يحمل التوابل بين الشرق والغرب وأصبح في العصور الحديثة أخطر طرق المواصلات البحرية في العالم حيث يحمل النفط من مناطق الشرق في الخليج العربي وإيران وشبه الجزيرة العربية إلى أوروبا الصناعية والولايات المتحدة الأمريكية فأصبح محط أنظار المخططين السياسيين والعسكريين وموضع اهتمام واضعي القرار السياسي ومحور صراعات معقدة بين القوى الدولية المتصارعة وكذلك القوى المحلية والإقليمية المتنافسة⁽³¹⁾. وزاد من أهمية البحر الأحمر بالنسبة للمملكة العربية السعودية أنها الأكبر في امتلاك سواحل على هذا البحر فهي تسيطر منذ أواسط الثلاثينيات على القسم الأكبر من الشريط الساحلي الآسيوي للبحر

الأحمر أي ما يعادل 1500 كم. ليس هذا فحسب بل الأكثر امتلاكاً للجزر التي في هذا البحر فإن مياه البحر الأحمر تحتوي على 380 جزيرة معروفة ومرصودة على النحو التالي: السعودية 144 أهمها الفرسان، وإثيوبيا (قبل فصل إرتريا عنها) 126 أهمها دهلك وحالب وفاطمة، واليمن 41 جزيرة أهمها ذقر وقمران وحنيش الكبرى وبريم. أما مصر 26 جزيرة، وجيبوتي 6 جزر أهمها موليلة وقيل إنها مأخوذة من التسمية العربية أم ليلي⁽³²⁾. ومن هنا أدرك الملك عبدالعزيز أهمية البحر الأحمر وأمنه بالنسبة للمملكة العربية السعودية فكانت وزارة الخارجية السعودية في مدينة جدة بعيدة عن العاصمة الرياض لإدراكه أهمية هذه المياه وكذلك لتكون قريبة من حضارة الحجاز العريقة ومنتجات عسير الزراعية والأماكن المقدسة الإسلامية والملاحة الدولية عبر قناة السويس، وكان البحر الأحمر طريق اتصال أكثر منه حدوداً، إذ يستطيع البحر أن يلعب هذين الدورين على الدوام في آن واحد والعلاقات بين ضفتي البحر مكثفة إلا أنه كان يتعذر حتى عهد قريب قيام منظمة تضم الدول التي لها شواطئ على البحر الأحمر⁽³³⁾.

لقد رسم الملك عبدالعزيز سياسته الخارجية على أسس مهمة سار عليها خلفاؤه من بعده إقامة علاقات وثيقة أخوية مع الدول العربية والإسلامية انطلاقاً من موقعها الجغرافي المتميز وكونها مهد الإسلام وفيها قبلة المسلمين. وبعد سقوط الخلافة العثمانية ظهر في العالم الإسلامي كحامي حمى المسلمين والمدافع عن القضايا العربية والإسلامية بحكم مكانة المملكة العربية السعودية بين المسلمين والعرب حيث أنها مهد الإسلام وبها قبلة المسلمين⁽³⁴⁾. وكذلك من سياسته الخارجية مناصرة القضايا العالمية العادلة وكان من ضمنها الوقوف بالمرصاد ضد الاستعمار الأوروبي الغاشم على دول إفريقيا وآسيا المحتلة. وذلك من خلال المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة لتحقيق العدل والسلام في العالم. وذكر جان جاك بيرني أن مسألة العداء للاستعمار أعلنت مراراً وتكراراً في عهد الملك عبدالعزيز⁽³⁵⁾، ويؤكد الدكتور محمد عبده اليماني هذه الحقيقة قائلاً (إننا نولي علاقتنا العميقة بالقارة الإفريقية اهتماماً كبيراً واعتبرنا أن كل قضية كفاح ضد الاستعمار هي قضيتنا ولا سيما في القارتين الإفريقية والآسيوية انطلاقاً من حق الشعوب في الحرية. إن انهيار كل نفوذ استعماري في أي بلد يعتبر إفريقيا يعتبر نقطة تسجل في صالح الإفريقيين والعرب لأنها تفقد المستعمر القدرة على الحركة ضد البلد الذي خرج منه وما جاوره من بلاد فقضية الحرية واحدة لا تتجزأ⁽³⁶⁾).

دعم المملكة الحركة الوطنية في إرتريا:

تقع إرتريا في منطقة القرن الإفريقي بشرق إفريقيا وفي منطقة المثلث العفري* التي تعد من أهم المناطق المرتبطة بالأمن القومي العربي قديماً وحديثاً، حيث ارتبط العفر بالأمة العربية ثقافياً ودينياً وحضارياً، كما أن عفر

إثيوبيا وجيبوتي يشكلون بحق عمقاً استراتيجياً للشعب الإرتري الذي تربطه بهم علاقات الدم والنسب والجوار والمصالح المشتركة أكثر من غيرهم من القوميات الأخرى في هذه المنطقة. وترجع أهمية المثلث العفري في القرن الإفريقي منذ العصور القديمة والحديثة من حيث موقعه الجغرافي والاستراتيجي على البحر الأحمر، شريان المواصلات بين الشرق والغرب، خصوصاً بعد فتح قناة السويس في عام 1869م، من خلال تأثره بالإسلام وبالحضارة والثقافة العربية الإسلامية، وتأثره أيضاً بالثقافات والحضارات التي سادت منطقة القرن الإفريقي في تلك العصور⁽³⁷⁾.

اتخذت المملكة العربية السعودية مواقف ثابتة في دعم حركات التحرير في إفريقيا، فقد وجه الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود توجيهاته السامية إلى مندوب المملكة في الأمم المتحدة بتأييد استقلال الحبشة وإرتريا من الاستعمار الإيطالي. وقال: إن استقلال إرتريا لا يقل أهمية عن استقلال ليبيا الذي كان مطروحاً أمام مجلس الأمن الدولي آنذاك. وفي سنة 1953م تقدمت المملكة العربية السعودية بمذكرة رسمية إلى مجلس جامعة الدول العربية طلبت فيها أن تتبنى الجامعة قضية استقلال إفريقيا وتحرير شعوبها من الاستعمار بجميع أشكاله. ومن ذلك التاريخ اتخذت الجامعة العربية موقفاً ثابتاً وقوياً في المحافل الدولية بتأييد الشعب الإفريقي في كفاحه ضد الاستعمار. وكان لهذا الموقف أثر كبير في تحريك قضية استقلال إفريقيا في المحافل الدولية وحمل الاستعمار مكرهاً على الموافقة على منح الشعوب الإفريقية حريتها واستقلالها⁽³⁸⁾. وكذلك دعم الملك عبدالعزيز آل سعود الرابطة الإسلامية في إرتريا التي ترأسها محمد أبو بكر بن عثمان الميرغني زعيم الطريقة الختمية الذي كان همزة الوصل بين الملك عبدالعزيز والرابطة في إرتريا لأنه ابن الزعيم الميرغني الذي هو من الطائفة ببلاد الحجاز وتولى الزعيم الشهير إبراهيم سلطان على منصب السكرتير العام للرابطة وكانت أهدافها وحدة إرتريا ورفضت مشروع التقسيم الذي تبنته بريطانيا وعارض بشدة الوحدة مع إثيوبيا وكذلك الشيخ إبراهيم المختار مفتي إرتريا في كفاحه ضد الاستعمار الإيطالي ثم البريطاني لإرتريا⁽³⁹⁾ قامت المملكة السعودية لإرتريا والعفر في إثيوبيا هو الذي أدى إلى انتصار المجاهدين في هذه البلاد وحصولهم على الاستقلال الوطني⁽⁴⁰⁾ وذلك من خلال كفاح الإريتريين ضد الاحتلال الإيطالي حتى 1941 ثم الاحتلال الإنجليزي من عام 1941 إلى 1952 ثم كفاحها مع إثيوبيا حتى نيل استقلالها من الوحدة معها 1991⁽⁴¹⁾.

وأشاد الدكتور محمد عثمان أبو بكر بالجهود السعودية لدعم

القضية الإرتيرية فيقول (العلاقة السعودية الإرتيرية علاقة قديمة وعريقة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ وقد كانت إرتيريا دائرة للحراك الاجتماعي للجزيرة العربية ومقصداً للعديد من القبائل والأسر السعودية التي تصاهرت مع الإرتيريين الشيء الذي أعطى العلاقة الشعبية بعداً آخر. ولا يزال شعبنا يذكر للمملكة دورها في نصرة حق شعبنا في الحرية والاستقلال أبان مناقشة المسألة الإرتيرية في أروقة الأمم المتحدة في نهاية الأربعينيات وفي مطلع الخمسينيات ضد الاستعمار الإيطالي ثم الإنجليزي⁽⁴²⁾). ولم تتوقف المملكة العربية السعودية عن دعم السلطان علي مرشح سلطان (سلطنة أوسا) من أشهر سلطنات العفر في إثيوبيا الذي تقدمت له بيد العون المادي والمعنوي في سبيل استرداد حقهم المسلوب ومقاومة نظام منجستو الشيوعي الذي استباح أرضهم وعرضهم وكان نيريري رئيس تنجانيقا يؤيد نظام منجستو المعادي للعرب والمسلمين⁽⁴³⁾). ووجد السلطان علي مرشح الملاذ الآمن والوفاء الحنون من المملكة العربية السعودية حتى انتصر وعاد إلى بلاده للمشاركة في الحكم وصنع القرار⁽⁴⁴⁾.

دعم المملكة للحركة الوطنية في الصومال :

لقد تكالب الاستعمار على الص ومال لأهميتها حيث موقعها في القرن الإفريقي في مدخل باب المندب وقسم إلى الصومال الفرنسي والصومال الإنجليزي والصومال الإيطالي واحتلت الحبشة جزءاً من الأراضي الصومالية حيث احتل منليك مدينة هرر في فبراير 1887 وأعلنت بريطانيا الحماية على المنطقة من رأس جيبوتي إلى بندر زياد في نفس العام واحتلت إيطاليا ساحل البنادر بعد تنازل سلطان زنجبار عنه 1889م⁽⁴⁵⁾ وكذلك بعد قيام فرنسا بعقد معاهدات مع القبائل في القرن الإفريقي خاصة في ميناء أبوك وميناء جيبوتي صدر مرسوم فرنسي 1896م بوضع هذه المناطق التي استولت عليها تحت إدارة واحدة عرفت بالصومال الفرنسي واتخذت جيبوتي مقراً للحاكم الفرنسي⁽⁴⁶⁾). وكان من أشهر من قاد الحركة الوطنية في الصومال الزعيم محمد عبدالله حسن (-1856 1921)* ضد القوى الاستعمارية الإنجليزية والإيطالية والحبشية* في عام 1885 قرر التوجه إلى الجزيرة العربية لأداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة وكان في هذه الرحلة ما لا يقل عن ثلاثة عشر رجلاً من المخلصين لدعوته وقابل في مكة الشيخ محمد بن صالح السوداني وانضم إلى طريقته الجديدة الطريقة الصالحية وصار خليفته مما كان له أبلغ الأثر على حركته الوطنية في الصومال وأتباعه الذين كانوا يعرفون بال دراويش⁽⁴⁷⁾ في عام 1935 تأسست جمعية سياسية وطنية في الصومال الفرنسي وهي الجمعية الخيرية الإسلامية ومنها علي مهدون وسعيد قرييري إلى أن تأسس في سنة 1947

الحزب الديمقراطي الصومالي لقيادة الحركة الوطنية لأجل الاستقلال الذي تحقق عام 1960⁽⁴⁸⁾. وعندما أصبحت الجامعة العربية حقيقة ماثلة منذ عام 1945م، سعت المملكة العربية السعودية بكل ما تستطيع من إمكانات إلى دعمها إدارياً، والوفاء بالتزاماتها المالية تجاهها، والعمل على تيسير أعمالها. وأصبح من سياسة المملكة العربية السعودية توثيق الصلة بالجامعة العربية، وتنسيق سياستها الخارجية بما يخدم ولا يتعارض مع اتجاهات الجامعة العربية في الأمور التي تكون من اختصاصها. وكانت المملكة تحرص، قبل أن تُقدّم على أي عمل له علاقة بالجامعة العربية، أو بإحدى الدول العربية، على إخطار الجامعة ومعرفة رأيها حياله⁽⁴⁹⁾. ومنذ الوهلة الأولى لجامعة الدول العربية شاركت المملكة العربية السعودية في القمة العربية التي عقدت في أنشاص (-28 29 مايو 1946) في جمهورية مصر العربية وكان القرار رقم واحد لهذه القمة العربية 1946 مساندة الشعوب العربية المستعمرة على نيل الاستقلال وضرورة العمل بكافة الوسائل الممكنة لمساندة الشعوب العربية التي لا تزال تحت الحكم الأجنبي لكي تنال حريتها واستقلالها وتبلغ أمانيتها القومية بحيث تصبح أعضاء فعالة في جامعة الدول العربية وفي منظمة الأمم المتحدة⁽⁵⁰⁾. وانطلقت سياسة المملكة العربية السعودية لمساندة الصومال من حقيقة أنها دولة عربية وإسلامية ثم بعد ذلك عضو في الجامعة العربية⁽⁵¹⁾. ويتضح مما سبق دعم المملكة العربية السعودية للصومال من خلال جامعة الدول العربية ودعم المجاهد الصومالي السيد محمد عبد حسن أبرز المجاهدين الصومال من خلال لقاءات مؤتمرات الحج السنوي في مكة المكرمة العلماء في مكة والمدينة المنورة مما كان له بالغ الأثر على الحركة الوطنية في الصومال حتى حققت الاستقلال في 1960. وكذلك الصومال الفرنسي (جيبوتي) عام 1977م، وانضمت لجامعة الدول العربية.

الخاتمة:

لقد شهد التاريخ على عمق العلاقات التاريخية بين ساحلي البحر الأحمر منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى الوقت الراهن. كانت الهجرات العربية إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر منذ عصور ما قبل الميلاد بغرض التجارة. زاد ظهور الإسلام العلاقات قوة بين دول حوض البحر الأحمر. خاصة أن أول مكان وصلت إليه رسالة الإسلام بعد مكة المكرمة كان الحبشة التي لم تكن محددة بل كانت أحياناً كثيرة تعرف بأنها السودان، وأكدت هجرة المسلمين إلى الحبشة على المعرفة الدقيقة للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم مما يؤكد قوة العلاقات بين ساحلي البحر الأحمر قبل الإسلام. أدرك الملك عبدالعزيز آل

سعود أهمية البحر الأحمر والدول الغربية منه فدعم حركات التحرر الوطني في الصومال وإرتريا ضد الاحتلال الأوروبي، وكذلك استقلال مصر والسودان من الاحتلال الإنجليزي. دعمت رحلات الحج عبر البحر الأحمر العلاقات بين شعوبه، أكدت العلاقات بين مصر والحجاز والسودان والحجاز على قوتها خاصة الدور الذي قامت به مصر والسودان في محملهما إلى الحجاز، والدور التاريخي لمصر في صناعة كسوة الكعبة. فعموم دول حوض البحر الأحمر من مسلمين وعرب ومع عمق العلاقات التاريخية والحضارية بينهم يتيح لهم فرصة تاريخية للاتحاد مما يحقق الخير الكثير لشعوبه ويقلل من الأخطار التي تهدد الأمن القومي العربي التي أهمها النفوذ الإسرائيلي فيه .

المصادر و المراجع:

مصادر باللغة العربية :

- (1) -حافظ وهبه: جزيرة العرب في القرن العشرين ط1 لندن 1354هـ 1935.
- (2) سعيد بن علي المغيري :جُهينة الأخبار في تاريخ زنجبار تحقيق عبد المنعم عامر وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عُمان 1979.
- (3) علي محسن برواني : الصراعات والوثام في زنجبار ذكريات علي محسن البرواني ترجمة د السيد عمر مسقط 2011.
- (4) محمد عبده يمانى: لماذا إفريقيا الرياض د.ت.
- (5) المراجع العربية
- (6) أحمد عسر: معجزة فوق الرمال ط3 لبنان 1972
- (7) حمد محمود المعمرى: عُمان وشرق إفريقيا ترجمة محمد أمين عبد الله مسقط 1980.
- (8) الأمانة العامة: مؤتمرات القمة العربية قراراتها وبياناتها 1946 – 1990 مكتب الأمين العام القاهرة 1996.
- (9) السيد رزق حجاج :الاستعمار الأوروبي في إفريقيا وآسيا القاهرة 1987.
- (10) لشيخ علي بن غانم علي آل ثاني : جمهورية جيبوتي الدوحة 2002.
- (11) جان جاك بيربي: جزيرة العرب ترجمة نجدة هاجر وسعيد عز ط1 بيروت 1960.
- (12) جمال زكريا قاسم: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر جـ 3، القاهرة 1996.
- (13) جمال زكريا قاسم: العلاقات العربية الإفريقية دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار القاهرة 1977.
- (14) جيان: وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن إفريقيا الشرقية ترجمة يوسف كمال ج1 القاهرة 1927.
- (15) جيمس وافي الاستعمار البرتغالي في إفريقيا ترجمة الدسوقي حسين القاهرة 1963.
- (16) حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، الجزء الثاني.
- (17) -رأفت غنيمي الشيخ: دور عُمان في بناء حضارة شرق إفريقيا حصاد ندوة الدراسات العُمانية سلطنة عُمان 1986.
- (18) رولاند أوليفر وجون فيج: موجز تاريخ إفريقيا ترجمة دولت صادق ومراجعة السيد غلاب القاهرة 1965.
- (19) سليمان عبد الغنى المالكي: دور العرب وتأثيرهم في شرق إفريقيا العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر سمنار كلية الآداب قسم التاريخ جامعة القاهرة 1987.
- (20) سيد أحمد علي عثمان العقيد : العلاقات المكية السودانية عبر التاريخ بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية 1426هـ

- (21) سيد أحمد يونس، المملكة العربية السعودية وسياستها الخارجية.
- (22) شوقي عطا الجمل وعبدالله عبدالرازق إبراهيم: رواد حركات التحرر الوطني الإفريقي، دار الأهرام للصحافة القاهرة، 2007.
- (23) شوقي الجمل: تاريخ السودان وادي النيل، القاهرة 1969.
- (24) -صلاح الدين حافظ: صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي سلسلة عالم المعرفة العدد 49 الكويت
- (25) صلاح العقاد وجمال زكريا فاسم: زنجبار القاهرة 1959.
- (26) عبد القويم بن عبد رب النبي: كسوة الكعبة المشرفة مكة المكرمة 1420هـ
- (27) عبدالله بن عبد المحسن التركي: الملك عبدالعزيز والمملكة العربية السعودية - المنهج القويم في الفكر والعمل.
- (28) عبدالله بن محمد الشهيل: فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة 1333-1351هـ / 1915-1932م، دراسة تاريخية تحليلية.
- (29) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا عالم المعرفة العدد 139 الكويت 1989
- (30) عبدالله عبدالرازق إبراهيم وشوقي عطا الجمل : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر القاهرة 1997
- (31) غسان سلامه: السياسة الخارجية السعودية منذ 1945 دراسة في العلاقات الدولية معهد الإنماء العربي، ط 1، 1980.
- (32) فاطمة الزهراء على الشيخ أحمد: السياسة الأمريكية تجاه الصومال (1960-1991) دار الفكر العربي ط 1 القاهرة 2008.
- (33) ك. س توتيشل: المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية ترجمة شكيب الأموي القاهرة 1955.
- (34) محمد أحمد حامد محمد خير: الختمية العقيدة والتاريخ، مطبعة أرو التجارية (السودان)، 1986م.
- (35) محمد سعيد أحمد حمدان، العلاقات العراقية السعودية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1983.
- (36) محمد عثمان أبو بكر: المثلث العفري في القرن الإفريقي القاهرة 1996.
- (37) -----: تاريخ إرتريا المعاصر ارضا وشعبا ط 1 القاهرة 1994.
- (38) محمد صفى الدين: إفريقيا بين الدول الأوربية القاهرة 1959.
- (39) محمد عبد الغني سعودي: إفريقيا دراسة شخصية الأقاليم القاهرة 1976.
- (40) محمد عبد الغني سعودي: قضايا افريقية علم المعرفة العدد 34 1400هـ أكتوبر 1980م.

- (41) محمد فريد السيد حجاج صفحات من تاريخ الصومال القاهرة 1969
- (42) محمد قرقرش: تاريخ الإسلام في إفريقيا مع دراسة للدور العُماني مسقط 1995.
- (43) ناصر بن حميد العدوي: الوجود العُماني في شرق إفريقيا نماذج من البحوث الفائزة في مسابقة المنتدى الأدبي ط1 وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عُمان 2001.
- (44) نايف عيد جابر السهيل: الأباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين الكويت 1994.
- (45) يونان لبيب رزق: «نشأة دولة العراق وقضية الحدود العراقية – الكويتية : 1919-1958».
- (46) المراجع الأجنبية
- (47) Pearce F.B: Zanzibar the Island Metropolis of East Africa London 1920 P. 215
- (48) Bennett Norman R :A History of The Arab State of Zanzibar London 1978.
- (49) Coupland R: East Africa and Its Invaders from the earliest Seyyid Said in 1856 Oxford 1958.
- (50) Dammany F.D: Island Cloves A Review of Zanzibar London 1957
- (51) Kenneth Kirkwood& Britain: Africa London 1965.
- (52) -Marsh Z.A&Kingsnorth C: An Introduction to the History Of East Africa London 1961.
- (53) Morgan: East Africa London 1973.
- (54) Miller.R: Africa Nelson 1960.
- (55) Olaniyan Richard: African History and Culture London 1982.
- (56) Reusch C.: East Africa Explores London 1960.
- (57) Shilling Kevin: History of Africa London 1995.

الرسائل غير المنشورة: باللغة العربية :

- (58) أحمد على أحمد علي:كلوه تاريخها وحضارتها من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر رسالة ماجستير غير منشورة معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة 1983.
- (59) السيد أحمد الباز:الحياة العلمية والثقافية في السلطنات الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي من (7-9هـ) (13-15م) رسالة كتورها غير منشورة معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة 1997.

- (60) صالح محروس محمد محمد : سلطنة زنجبار تحت الحماية البريطانية 1890 - 1964 رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة بنى سويف 2012 م.
- (61) عائشة على اليسار: دولة اليعاربة في عُمان وشرق إفريقيا من (1741-1642) رسالة ماجستير غير منشورة معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة 1973.
- (62) محمد حامد عبد الله إبراهيم: علاقة بريطانيا بزنجبار في عهد السلطان برغش (1888 1870-) رسالة دكتوراه غير منشورة معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة 1979.

باللغة الإنجليزية

- (1) McMahon Elisabeth Mary: Becoming Pemban: Identity, Social Welfare and Community During Protectorate Period submitted to The Faculty of the University Graduate School in Partial Fulfillment of The Requirements for the degree Doctorate of Philosophy in Department of History Indiana University 2005.

الدوريات الأجنبية:

- (2) Brown Beverly :Muslim Influence Trade and Politics in the LakeTanganyika Historical Studies vol 4 N 3. Boston University 1971 African Religion
- (3) Ellingson Lloyd: The Emergence of Political Parties in Eritrea, 1941-1950: The Journal of African History, Vol. 18, No. 2 (1977)
- (4) Hess Robert L: The 'Mad Mullah' and Northern Somalia: The Journal of African History, Vol. 5, No. 3 (1964),
- (5) Jardine Douglas: The Mad Mulla of Somaliland London 1923
- (6) -Mejcher Helmut :King Faisal Ibn Abdul Aziz Al Saud in the Arena of World Politics: A Glimpse from Washington, 1950 to 1971 British Journal of Middle Eastern Studies, Vol. 31, No. 1 (May, 2004),
- (7) Werner A: The Wahadimu of Zanzibar The Royal African Society Vol 15 NO.60 Jul. 1916.
- (8) Time News. 24 February 1939

المصادر والمراجع:

- (1) Olaniyan Richard: African History and Culture London 1982- p.23
- (2) 2 -محمد حامد عبد الله إبراهيم: علاقة بريطانيا بزنجر في عهد السلطان برغش (1870-1888) رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة، 1979، ص4.
- (3) 3 -محمد صفى الدين: إفريقيا بين الدول الأوروبية القاهرة، 1959، ص 7.
- (4) 4 -سعيد بن علي المغيري: جُهينة الأخبار في تاريخ زنجبار تحقيق عبد المنعم عامر وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عُمان، 1979، ص المقدمة.
- (5) 5 -محمد عبدالغني سعودي: قضايا إفريقية علم المعرفة العدد 34 1400هـ أكتوبر 1980 م ص 69.
- (6) 6 -صلاح الدين حافظ: صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي علم المعرفة العدد 49 الكويت، 1982، ص 22.
- (7) 7) Morgan: East Africa London 1973 P.205. وأحمد محمود المعمرى: عُمان وشرق إفريقيا ترجمة محمد أمين عبد الله، مسقط 1980، ص44.
- (8) 8) Morgan: East Africa London 1973 P.205. وأحمد محمود المعمرى: عُمان وشرق إفريقيا ترجمة محمد أمين عبد الله، مسقط 1980، ص44.
- (9) 9) Shilling Kevin: History of Africa London 1995 P.131.
- (10) 10) لسيد أحمد الباز: الحياة العلمية والثقافية في السلطنات الإسلامية في منطقة القرن الإفريقي من (7-9هـ) (13-15م)، رسالة كتوراه غير منشورة معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة، 1997، ص 176.
- (11) 11) سليمان عبد الغنى المالكي: مرجع سابق ص 123.
- (12) 12) نفسه ص 128.
- (13) 13) محمد عبده يمانى: لماذا إفريقيا الرياض د.ت ص 45.
- (14) 14) سيد أحمد علي عثمان العقيد : العلاقات المكية السودانية عبر التاريخ بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية 1426هـ. ص ص 227 ، 228
- (15) 15) السيد أحمد الباز: مرجع سابق ص 177.
- (16) 16) Coupland R: East Africa and Its Invaders from the earliest Seyyid Said in 1856 Oxford 1958 P.23
- (17) 17) محمد أحمد حامد محمد خير: الختمية العقيدة والتاريخ، مطبعة أرو التجارية (السودان)، 1986، م ص5 وما بعدها.

※ الطريقة الختمية هي طريقة صوفية محتوية علي أذكار خمس طرق صوفية هي النقشبندية والقادرية والشاذلية والجنيدية (وهي طريقة الإمام الجنيد سيد الطائفة البغدادية) بالإضافة الي الميرغنية وهي طريقة جده السيد عبدالله الميرغني المحبوب عالم الحرم المكي ودفين الطائف. ورمز الختم لطريقته الختمية بـ (نقش جم) أي أنها تنقش التصوف في الفؤاد جم، فالنون للنقشبندية والقاف للقادرية والشين للشاذلية والجيم للجنيدية والميم للميرغنية.

(18) رأفت غنيمي الشيش: دور عُمان في بناء حضارة شرق إفريقيا حصاد ندوة الدراسات العُمانية سلطنة عُمان 1986، ص 192.

(21) علي بن محسن البرواني : الصراعات والوثام في زنجبار ذكريات علي بن محسن البرواني مسقط 2011 ص 682

(22) صلاح الدين حافظ : مرجع سابق 76

(23) شوقي عطا الله الجمل: الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا: مجلة الدراسات الإفريقية العدد الثامن القاهرة 1979 ص 43

(24) هاري سانت جون فيلبي (عبدالله) فيلبي: حاج في الجزيرة العربية ط 1 الرياض 1421هـ ص 37

(25) محمد نصر الدين محمد إبراهيم عثمان : السياسة العثمانية في جنوب البحر الأحمر وساحل الصومال -1538 1578 ماجستير غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة 1994م ص 205

(26) نفسه ص 209

(27) عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ج 1 الانجلوالمصرية القاهرة 1980 ص ص 57 و 58

(28) عبد العزيز محمد الشناوي 64: مرجع سابق ص ص 65

(29) سيد أحمد علي عثمان العقيد : المرجع السابق ص 242

(30) سيد أحمد علي عثمان العقيد : المرجع السابق ص 271 وما بعدها

(31) للمزيد عن مصر وكسوة الكعبة انظر: عبدالقيوم بن عبدرب النبي: كسوة الكعبة المشرفة مكة المكرمة 1420هـ الفصل التاسع الكسوة من مصر وكيف توقفت ص 62

(32) Mejcher Helmut :King Faisal Ibn Abdul Aziz Al Saud in the Arena of World Politics: A Glimpse from Washington, 1950 to 1971 British Journal of Middle Eastern Studies, Vol. 31, No. 1 (May, 2004), p.

الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود (15 يناير 1876 - 9 نوفمبر 1953)، مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة (الدولة السعودية الثالثة). ولد في عام 1294هـ (1876) في الرياض لأسرة آل سعود الحاكمة في

السعودية، تحت رعاية والديه لما بلغ العاشرة من عمره انتقل مع عائلته إلى الكويت بعد انتصار آل رشيد أمراء حائل على آل سعود، وقضى طفولته فيها وعندما كان الملك عبدالعزيز في الكويت تعلم السياسة والمجالس وأساليب الحرب وكان انتقاله إلى الكويت عام 1310هـ. وبقي فيها 8 سنوات إلى أن بدأت الحرب بينه وبين آل رشيد في عام 1318هـ واسترد الرياض. 1319هـ - تمت والت انتصارته في توحيد البلاد فضم بلاد جنوب نجد 1320هـ ثم الوشم وسدير عام 1321هـ ثم القصيم 1322هـ - والاحساء 1331هـ - وجبرشمر 1340هـ وضم عسير 1341هـ - وكل نصره بضم بلاد الحجاز عام 1344هـ وضم جازان 1351هـ. ولقد لقب بسلطان نجد بعد استعادته نجد ثم أطلق عليه لقب سلطان نجد وملحقاتها بعد ضم الاحساء وبعد دخول الحجاز طالب أعيان الحجاز تعديل لقب الملك عبدالعزيز ليصبح (ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ثم عدل اللقب إلى ملك الحجاز ونجد وملحقاتها. وبعد توحيد البلاد بضم جميع المناطق أصدر مرسوماً ملكياً باختيار يوم 21 جمادى الأولى 1351هـ الموافق اليوم الأول من شهر الميزان إعلان توحيد البلاد باسم المملكة العربية السعودية ولقب (ملك المملكة العربية السعودية) وأصبح هذا اليوم يوماً ملكياً للمملكة العربية السعودية يرمز إلى وحدتها. ولقد وضع الملك عبدالعزيز أسس بناء هذه الدولة الجديدة قام بالعديد من الإصلاحات في المجالات المختلفة منها توطين البادية وإقامة الهجر وفي المجال السياسي اعترفت الدول الإسلامية والعالمية بحكومته ثم تطورت بنية المملكة السياسية بإنشاء وزارة الخارجية عام 1349هـ وتم افتتاح السفارات والقنصليات. وفي التعليم حرص الملك على نشر التعليم بالمجان والتشجيع عليه بالإعانات والمكافآت وفي عهده تم فتح المدارس النظامية وأنشئت مدارس ومعاهد التدريب المهني والصناعي كما أنشئت المكتبات العامة والخاصة. وفي المجال الأمني والعسكري حرص الملك على إنشاء الإدارات المعنية بتطوير القدرات الأمنية المؤهلة ومن ذلك إنشاء وزارة الداخلية عام 1350هـ ووزارة الدفاع عام 1362هـ. وفي المجال الزراعي اهتم بإدخال الوسائل الحديثة للزراعة في المملكة ووفر المياه بحفر الآبار وبناء السدود واستورد الآلات الزراعية ومكائن الري ووزعها على المزارعين بأسعار رخيصة ومؤجلة. وفي مجال المواصلات حرص الملك على رصف الطرق البرية الطويلة وإنشاء المطارات وشراء الطائرات وإنشاء سكك حديد الرياض والمنطقة الشرقية وفي مجال الصحة قام ببناء المستشفيات والمراكز الصحية والمحاجر الصحية للحجاج. في مجال العمران نشطت الحركة العمرانية بعد استقرار البلاد والانتفاء من توحيد البلاد اهتم الملك بصفة خاصة بعمارة الحرمين الشريفين وتوسعتهما بعد ازدياد الحجاج والمعتمرين. ولقد أنشأ الملك مجلس الشوري 1346هـ برئاسة نائب الملك الأمير

فيصل بن عبدالعزيز وأنشأ مجلس الوزراء قبل وفاته بشهر واحد بعد أن كان قد أنشأ وزارة الخارجية والمالية الداخلية والدفاع والمواصلات. ولقد وفاته المنية عام 1373هـ (1953) في مدينة الطائف ثم نقل جثمانه إلى الرياض ودفن في مقبرة العود. للمزيد عن الملك عبدالعزيز انظر: ك. ستوتيشل: المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية ترجمة شكيب الأموي القاهرة 1955. ص 119. وما بعدها وحافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين ط1 لندن 1354هـ 1935. ص 301 وما بعدها

- (34) صلاح الدين حافظ: مرجع سابق 76.
- (35) صلاح الدين حافظ: المرجع السابق ص 83.
- (36) غسان سلامه: السياسة الخارجية السعودية منذ 1945 دراسة في العلاقات الدولية معهد الانماء العربي، ط 1 1980.
- (37) أحمد عسر: معجزة فوق الرمال، ط 3 لبنان، 1972. ص 134.
- (38) جان جاك بيري: جزيرة العرب ترجمة نجدة هاجر وسعيد عز، ط 1 بيروت، 1960. ص 105.
- (39) محمد عبده يمانى: مصدر سابق. ص 260.
- (40) محمد عثمان أبو بكر: المثلث العفري في القرن الإفريقي القاهرة 1996. ص 241.
- *السلطنات العفرية عبارة عن ممالك ظهرت على الساحل الجنوبي من البحر الأحمر في القرن الإفريقي تشمل أجزاء من إرتريا وإثيوبيا وجيبوتي، أشهر الممالك وأشهرها الآن سلطنة أوسا التي يحكمها حنفري علي مرج من قبيلة العفر ذات الأصول اليمنية.
- (41) (محمد عبده يمانى: مصدر سابق. ص 253.
- (42) محمد عثمان أبو بكر: تاريخ إرتريا المعاصر أرضاً وشعباً، ط 1 القاهرة، 1994. ص 607.
- (43) نفسه، ص 441.
- (44) Ellingson Lloyd: The Emergence of Political Parties in Eritrea, 1941-1950: The Journal of African History, Vol. 18, No. 2 (1977), p.261.
- (45) محمد عثمان أبو بكر: تاريخ إرتريا المعاصر أرضاً وشعباً ط1، القاهرة 1994. ص 607.
- (46) ولقد واصلت المملكة العربية السعودية دعمها لإرتريا منذ انطلاق الثورة الإرترية كانت المملكة العربية السعودية بقيادة الملك فيصل بن عبدالعزيز من أوائل الدول التي أيدت نضال الشعب الإرتري كما أن معظم قادة النضال الإرتري كانوا في السعودية وقدم الدعم المالي لمثلي جبهة تحرير إرتريا أول دعم 1961 عربي مالي للمناضلين

الشهيد عثمان صالح وإدريس محمد آدم. للمزيد عن ذلك انظر المرجع السابق. ص 608.

(47) على محسن برواني: الصراعات والوثام في زنجبار ذكريات علي محسن البرواني ترجمة السيد عمر مسقط 2011. ص 661.

(48) *سلطنة أوسا هي واحدة من أهم السلطنات العفرية وأكثرها قوة لعب ملوكها دور كبير في حصار ملوك الحبشة القديمة ومنع مد نفوذهم على البحر، وكان يخضع لنفوذ هذه السلطنة إقليم العفر في إثيوبيا وإقليم دنكاليا في إرتريا بالإضافة إلى دولة جيبوتي، ويعتبر السلطان السابق لسلطنة أوسا هو السلطان علي مراح حنفري. ويعتبر إقليم العفر في إثيوبيا من الأقاليم التي تزخر بثروات مختلفة من زراعة على ضفاف نهر أواش، وثروات حيوانية هائلة، ومعادن وسياحة إلا أنها لم تستغل بعد كما ينبغي، ولم تشهد كذلك الحالة الاقتصادية في القرن الماضي أي تنمية أو تطور يذكر ويعود ذلك إلى ما شهد الإقليم طوال الفترة من حروب متتالية وتهجير للسكان وذلك في عهدي هيلا سلاسي (1950 – 197 ومنجستو من (-1974 1991) والإقليم الذي يبلغ عدد سكانه ما يقارب خمسة ملايين نسمة حسب إحصائيات عام 2004م يفتقد إلى أبسط مقومات البنية التحتية: المدن مثل ايسعيتا (عاصمة الإقليم القديمة)، ودبتي، ودتبجري وهي عبارة عن قرى، أما مطهرة، أواش، جواني، عديتو، ملي، لوقيا، هي محطات استراحة ونقاط تفتيش للجمارك وغيره على الطريق الدولي والحكومة الحالية حتى تكلف نفسها من سفلة طريق 65 كيلو متراً وهي المسافة من الطريق العام إلى العاصمة التاريخية (ايسعيتا) قامت ببناء عاصمة جديدة للإقليم (سمرة) على الطريق الدولي المؤدي إلى جيبوتي وإرتريا، وهو ما نظر إليه العفرين بكثير من الشك والريب على ما تنطوي عليه العملية هذه، والآن على استحياء بدأت تشرع في سفلة الطريق نفسه وإذا ما اكتمل سيكون الطريق الوحيد الداخلي في الإقليم. ويحمد للنظام الحالي بأن الإقليم في عهده شهد استقراراً نسبياً لكن ما هو متبع من سياسة اقتصادية في الإقليم لا يرقى إلى ما يشكله الإقليم سكاناً ومورداً ومساحة.

(49) محمد عثمان أبو بكر: المثلث العفري في القرن الإفريقي القاهرة 1996. ص 241.

(50) محمد فريد السيد حجاج: صفحات من تاريخ الصومال، القاهرة، 1969، ص 37

(51) شوقي الجمل: تاريخ السودان وادي النيل، القاهرة، 1969م، ص 2240

(52) Jardine Douglas: The Mad Mulla of Somaliland London 1923 p.39.

*ولد المجاهد محمد عبدالله حسن حوالي عام 1273هـ (1856م) في قرية فوب فردوت ناحية نقال (منطقة حوافر الخيل) من بطون بهجري أحد بطون قبائل الأوجادين قرب ولورال وواردير. وأبوه عبد الله حسن نور من قبيلة بهجري الصومالية، وأمه من قبيلة الدولبهنتا الصومالية. بدأ حياته مع إخوانه في حفظ القرآن الكريم وتفهم تعاليم الإسلام

الحنيف كعادة أهل البدو في الصومال والبلاد الإسلامية، وقد جود القرآن الكريم، وحفظ الكثير من المتون على يد شيوخ الأوجادين. وبعد وفاة والده الشيخ عبد الله حسن نور انتقل مع والدته إلى الصومال حيث عاش في كنف أخواله فترة من الزمن، تعلم خلالها على يد أساتذة من العرب والصوماليين فعرف بعض العلوم الرياضية والفلكية، وأجاد اللغة العربية إجابة تامة، ثم ارتحل مرة أخرى إلى الأوجادين أحد المراكز الإسلامية في الصومال ليرتشف أصول الفقه والتشريع والسيرة على يد شيوخها وعلمائها العظام. واشتغل بالتدريس فترة في الصومالاند (الصومال البريطاني سابقاً) فاشتهر بين المعلمين بسعة الاطلاع وغزارة العلوم والمعارف، حتى لقب بالفقيه البارغ غير أنه تحول مرة أخرى إلى طلب العلم في مساجد مقديشو التي كانت ذات شهرة واسعة على المحيط الهندي من كرم الضيافة لطلاب العلم والدين، علاوة على ما بها من الشيوخ المتخصصين في مختلف أنواع العلوم وفروع التفسير والتشريع، فلما وصل إلى مرتبة الشيوخ علماً وأدباً وخلقاً، أراد أن يقوم بزيارة الأراضي المقدسة لتأدية فريضة الحج فاتفق مع نفر من شيوخ مقديشو على تأدية الفريضة، وكان ذلك حوالي عام 1890 ميلادية أي كان عمره حينئذ أربعة وثلاثين عاماً. وقبيل ذهابه إلى مكة والمدينة نزلت حكومة المستعمرة في ساحل بربرة بدعوى التجارة بدون رضى أهلها، وأخذت تبني الكنائس، وتنشر دين المسيحية، بعد أن انسحبت السلطات المصرية التي كانت ولاية من ولايات الخلافة الإسلامية. وخلال إقامته في مكة المكرمة والمدينة المنورة، تردد على الشيوخ العرب، ينهل من علومهم ومعارفهم، ويتدارس سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، والخلفاء الراشدين، وألم بالعلوم الإسلامية من فقه وتشريع، وخلال ترده بين مكة والمدينة تعرف على الفقيه الشيخ صالح السوداني مؤسس الطريقة الصالحية، وتتلذذ على يديه حتى آخاه في المعرفة والإنسانية، وكان الشخان يتتبعان أخبار ثورة المهدي في السودان، وثورة العراقيين في مصر ضد الظلم والطغيان والمستعمر الغاشم الذي جاء إلى أوطانهم بوباء التبشير والاستعباد. وقام الشخان بالدعوة إلى تعضيد الثوار في مصر والسودان وضرورة حماية إخوانهم في الله من يد الكفرة والملحددين. وفي مواسم الحج كان يهرع إلى ملاقاته أبناء وطنه من الصوماليين القادمين لتأدية فريضة الحج ويتعرف منهم أحوال وطنه وما فعل المستعمر بإخوته وأولاد عمومته. ثم عاد إلى الصومال وكان ذلك حوالي عام 1896 وأقام في عدن عند عودته مدة لا تزيد عن ستة أشهر ثم نزل في ميناء بربرة. محمد بن عبد الله حسن هو قائد صومالي قاد الجهاد ضد الاحتلال البريطاني والإيطالي والإثيوبي في الصومال في مطلع القرن العشرين. كان يلقبه البريطانيون بـ«الملا المجنون». وفي 11 يناير 1904م (الموافق 20 شوال 1321هـ) قامت قوات الاحتلال البريطاني بمهاجمة قوات الدراويش التابعة له، وأوقعت إصابات بالغة بين قواته. وقد استمر في محاربة الاستعمار البريطاني للصومال حتى سنة 1920 عندما لجأت بريطانيا إلى الطيران لقصف مواقع الثوار، ثم جاءت وفاة الملا لتضع حدًا لثورته الإسلامية في 21 ديسمبر 1920 للمزيد عن

- جهد محمد عبدالله حسن في الصومال انظر:
- (53) . Hess Robert L: The 'Mad Mullah' and Northern Somalia: The Journal of African History, Vol. 5, No. 3 (1964), p. 415.
- (54) فاطمة الزهراء على الشيخ أحمد: السياسة الأمريكية تجاه الصومال (1960-1991) دار الفكر العربي ط1، القاهرة 2008. ص 65. والشيخ علي بن غانم علي آل ثاني: جمهورية جيبوتي الدوحة 2002. ص 50.
- (55) محمد عبده يمانى: مصدر سابق. ص 125.
- (56) (الأمانة العامة: مؤتمرات القمة العربية قراراتها وبياناتها 1946 - 1990 مكتب الأمين العام 1996. ص 23، 24.
- (57) محمد عثمان أبو بكر: المثلث العفري في القرن الإفريقي. القاهرة 1996. ص 242.

تجديد وبناء المدن في شمال إفريقيا خلال العصر الأموي (41هـ - 132هـ / 661 م - 750 م)

محاضر - كلية التربية - جامعة شندي

أ. أبوبكر علي مصطفى جلال الدين

المستخلص :

جاءت هذه الدراسة بعنوان تجديد و بناء المدن في شمال إفريقيا خلال العهد الأموي (41 - 132هـ / 661 - 750 م) فبعد أن استقر الأمر للأمويين في مصر وشمال إفريقيا، اهتموا بمدنها بشكل واضح وعملوا على تجديد المدن فيها بل و أنشأوا فيها مدناً جديدة، تهدف هذه الدراسة لمعرفة الأسباب التي أدت لاهتمام الأمويون بمدن مصر وشمال إفريقيا، وماهي المعايير التي تم بها اختيار المدن في مصر وشمال إفريقيا التي قاموا بتجديدها، والتعرف على المدن الجديدة التي تم بناؤها وكيف تم تخطيط هذه المدن، وقد اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج منها، اهتم الأمويون ببناء المدن في شمال إفريقيا مثل الفسطاط والقيروان وتونس، بدأ اهتمام الأمويون بتجديد مدينة الفسطاط منذ بداية خلافة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)، ركز الأمويون في هذه المدن على بناء المساجد مثل مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط والمسجد الكبير في القيروان ومسجد الزيتونة في تونس، واهتموا كثيراً بعمارتها كما اهتموا ببناء دور الإمارة والقصور والأسواق فيها.

Abstract:

This paper came under the title of renewing and building cities in Egypt and North Africa during the Umayyad period (41 AH - 132 AH / 661 AD - 750 AD). After the matter was settled by the Umayyads in Egypt and North Africa, they clearly paid attention to their cities and worked on the renewal of cities in it and even established There are new cities, this study aims to find out the reasons that led to the interest of the Umayyads in the cities of Egypt and North Africa, and what are the criteria by which cities were chosen in Egypt and North Africa that they renewed, and to identify the new cities they built and how these

cities were planned, The study followed the historical, descriptive, and analytical method, and the study reached a number of results, including the Levant became the seat of caliphate and rule in the Umayyad state. The interest of the Umayyads in the renewal of Fustat began from the beginning of the caliphate of Muawiya ibn Abi Sufyan (may God be pleased with him). By building the role of the emirate, palaces and markets in it.

المقدمة :

اهتم الأمويون بتجديد وبناء المدن في مصر وشمال إفريقيا فجددوا عمارة الفسطاط و توسعت المدينة بشكل كبير من الناحية الغربية، وبنو مدينة حلوان واختطوا القيوان قبل بنائها وبنوا تونس، وكان بناء المدن في شمال إفريقيا يركز بشكل أساسي على اختيار موقع المدينة وتخطيطها.

تجديد وبناء المدن في مصر وشمال إفريقيا

أولاً: مدن مصر:

مدينة الفسطاط:

أصل التسمية:

الفسطاط في اللغة، ضرب من الأبنية دون السرادق، وقيل هو بيت من الشعر، والفسطاط المدينة أو المصر الذي يجتمع فيه الناس،⁽¹⁾ وتضاربت أقوال الباحثين حول سبب إطلاق اسم الفسطاط على مدينة المسلمين الجديدة بمصر، وقيل إن عمرو بن العاص لما أراد المسير إلى الإسكندرية أمر بفسطاطه أن يرفع، فإذا بيمامة قد باضت في أعلاه، فقال: لقد تحرمت بجوارنا، فأقر الفسطاط في موضعه، فلما فرغ من فتح الإسكندرية، رجع إلى موضع فسطاطه واختط به لكل قوم خطة بنوا فيها، فسُميت بالفسطاط،⁽²⁾ وقيل إن الفسطاط لفظة عربية تطلق على المدينة ومجتمعها، وقد أطلق المسلمون على المدينة التي أسسوها في مصر اسم الفسطاط بمعنى المدينة كما أطلق على البصرة أيضاً الاسم نفسه سابقاً،⁽³⁾ ويعتقد البعض بأن كلمة الفسطاط قد اشتقت من أصل يوناني "فسطاطوم/Fostatium" ومعناه المدينة الحصينة فأخذها العرب وحرفوها إلى فسطاط ثم فسطاط.⁽⁴⁾

الموقع ونشأة المدينة:

بنيت مدينة الفسطاط بموضع فضاء ومزارع بين النيل والجبل الشرقي الذي يعرف بجبل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصين يعرف بقصر الشمع، حيث كانت ترابط الحامية الرومانية⁽⁵⁾ يحدها من الشمال فم

الخليج وجبل يشكر، ومن الجنوب ساحل أثر النبي، ومن الشرق سفح جبل المقطم ومن الغرب يحدها النيل⁽⁶⁾، وهي أول مدينة اختطها المسلمون بمصر بعد الفتح الإسلامي سنة 21هـ/642م⁽⁷⁾، حيث أراد عمرو بن العاص بعد فتحه الإسكندرية أن يتخذها حاضرة له، إلا أن الخليفة عمر بن الخطاب لم يوافق على ذلك، وأمره ببناء مدينة جديدة لا يفصله عن الملمين فيها ماء في شتاء ولا صيف، فتحول عمرو من الإسكندرية إلى موضع الفسطاط⁽⁸⁾، شيد المسجد الجامع ودار الإمارة والسوق، وشيدت خطط القبائل حول المسجد الجامع ودار الإمارة على غرار خطط قبائل البصرة والكوفة⁽⁹⁾.

الفسطاط وعمارتها في العصر الأموي:

وقد تمثل عمران الفسطاط في العصر الأموي في ظاهرتين أساسيتين، أولهما، امتداد عمراني للمدينة في الجهة الغربية، وذلك نتيجة انحسار شاطئ النيل الشرقي وما تخلف عنه من طرح النيل عام 69هـ/688م، فأضاف إلى المدينة مساحة عمرانية جديدة أقيمت فيها العديد من المباني والمنشآت⁽¹⁰⁾، وتتمثل الثانية، في قدوم العديد من القبائل والبطون العربية إلى الفسطاط مصاحبة للأسرة الأموية، بالإضافة إلى عملية التوالد والتكاثر المستمرة للقبائل القائمة بالفعل بالفسطاط منذ الفتح العربي، وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه الظاهرة إلى ازدياد في عمران المدينة واتساع في نطاق الخطط وازدحامها بالعمائر⁽¹¹⁾. وقد بدأت النهضة العمرانية⁽¹²⁾ بالفسطاط في العصر الأموي منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان، حيث قام واليه على مصر عقبة⁽¹³⁾ بن عامر الجهني ببناء مقياس⁽¹⁴⁾ للنيل بأرمنت سنة 64هـ/667م، وظل مستخدماً حتى بنى عبدالعزيز⁽¹⁵⁾ بن مروان مقياساً آخر ببلوان سنة 80هـ/699م وكان صغير الأذرع، وفي عام 93هـ/711م بنى أسامة⁽¹⁶⁾ بن زيد التنوخي مقياساً آخر للنيل في الطرف الجنوبي من جزيرة الروضة⁽¹⁷⁾، وهو أكبر هذه المقياس فلما خرب بنى مقياساً آخر بالجزيرة أيضاً في الجزيرة وكان ذلك في عام 97هـ/716م، كما بُنيت بها أيضاً داراً للصناعات البحرية⁽¹⁸⁾، وفي عام 65هـ/682م قام الأمويون بحفر خندق حول مدينة الفسطاط⁽¹⁹⁾، وإليهم يُنسب إنشاء أول بيمارستان⁽²⁰⁾ إسلامي في مصر بدار أبي زييد بزقاق القناديل في الفسطاط⁽²¹⁾. ومن الدور التي شيدها الأمويون بالفسطاط دار الضيافة، وهي التي بناها عبد العزيز بن مروان، وهي تمتد من درب الخشابين إلى الحمام الذي بالخشابين وكان يُنزل بها كبار الزوار وأضيافه المهمين⁽²²⁾، ودار النحاس⁽²³⁾، والدار البيضاء⁽²⁴⁾، ودار الحصر⁽²⁵⁾، وقصر مارية⁽²⁶⁾، ومن الحمامات التي شيدها بالفسطاط حمام السوق الكبير⁽²⁷⁾، وحمام سوق وردان⁽²⁸⁾، وحمام سهل⁽²⁹⁾. وقد اشتهرت

فترة ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر بالنهضة العمرانية، ففي عام 67هـ/686م شرع عبدالعزيز في بناء مدينة حلوان⁽³⁰⁾، بهدف أن تكون متنزهاً له، وليقيم فيها للراحة والاستجمام، ولكن ظهور الطاعون في الفسطاط عام 70هـ، جعله يتخذ من حلوان مقراً للحكم وداراً للإمارة، وكان قد شيد بها القصور والدور وزرع بها البساتين وغرس الكروم والنخل، واسكنها رجاله وأعوانه⁽³¹⁾، وظل بها حتى وفاته سنة 86هـ/705م⁽³²⁾، وفي عام 69هـ/688م ظهر أول طرح للنيل إبان العصر الأموي، فاستغله الأمويون وأهل المدينة من بعدهم في البناء والتشييد عليه⁽³³⁾، فقام عبد العزيز بن مروان، ببناء قنطرة على خليج أمير المؤمنين⁽³⁴⁾، وكتب عليها اسمه، ثم تتابعت الإصلاحات عليها وظلت قائمة حتى القرن الرابع الهجري، فلما انحسر النيل عن ساحل مصر أهملت هذه القنطرة، وشيدت قنطرة أخرى عند فم بحر النيل⁽³⁵⁾، وبذلك فقد استكملت خطط الفسطاط عمرانها إبان العصر الأموي، إذ وجدت العناصر السكانية الجديدة في الفراغات داخل الخطط مساحات لسكانها، حيث تحولت الفسطاط من نمط المدينة العسكرية، إلى النمط التمدني الذي تحقق باختلاط السكان باختلاف أجناسهم وأعراقهم⁽³⁶⁾.

المسجد الجامع “جامع عمرو بن العاص”:

ويقال له تاج الجوامع، وهو أول مسجد أسس بديار مصر في الملة الإسلامية بعد الفتح⁽³⁷⁾، أنشأه الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه سنة 21هـ/642م، وجاءت عمارة المسجد في بدايتها بسيطة للغاية شأنها في ذلك شأن المساجد الإسلامية في مرحلتها الأولى خلال العهد النبوي الشريف والخلافة الراشدة⁽³⁸⁾، ثم أجريت توسعات بالمسجد وتجديدات إبان العصر الأموي، ففي عام 53هـ/672م قام والي مصر مسلمة⁽³⁹⁾ بن مخذل الأنصاري بهدم المسجد وأعاد بنائه من الناحيتين المعمارية والزخرفية فأصبح بعمارته يتكون من صحن مكشوف وظلة للقبلة، وشيد به أربع مآذن، وفرشه بالحصر، وزين الحيطان والسقف بأنواع الزخرفة، واتخذ له رجة في الجهة البحرية⁽⁴⁰⁾، وفي عام 79هـ/698م قام والي مصر عبد العزيز بن مروان، بهدم المسجد وأعاد بنائه، فزاد في مساحته من ناحية الغرب وأدخل فيه الرجة التي كانت من الناحية البحرية⁽⁴¹⁾، وفي ولاية عبدالله⁽⁴²⁾ بن عبد الملك تمت تعلية سقف المسجد عام 89هـ/707م، ثم توالى قرة⁽⁴³⁾ بن شريك فقام بهدم المسجد وأعاد بنائه وأدخل فيه دار عمرو بن العاص وابنه عبدالله وجزءاً من الطريق، كما أنشأ به محراباً مجوفاً، ونصب به منبراً خشبياً، وطلّى أعمدته بماء الذهب، وجعل له أربعة أبواب، وكان ذلك في عام 93هـ/710م⁽⁴⁴⁾، وبعد أربع سنوات

من ذلك، أي في عام 97هـ / 715م شُيدت بالمسجد قبة سُميت بقبة بيت المال، لإيداع أموال اليتامى وهي تتوسط صحن المسجد في علو الفوارة، وهي من أواخر التعديلات المعمارية بالمسجد الجامع التي قام بها ولاة الأمويين بمصر⁽⁴⁵⁾.

دار الإمارة:

وقد اتخذ عمرو بن العاص من داره داراً للإمارة فلم يتخذ للإمارة دار مخصوصة، واستمر كل أمير من بعده ينزل داره، حيث كانت الدار التي يقيم بها الوالي بمثابة دار الإمارة⁽⁴⁶⁾، وفي مطلع العصر الأموي جعل الخليفة معاوية بن أبي سفيان من دار الرمل⁽⁴⁷⁾ داراً للإمارة بمصر⁽⁴⁸⁾، واستمرت هذه الدار حتى قدوم عبد العزيز بن مروان والياً على مصر سنة 65هـ / 684م، حيث اتخذ من داره المذهبة⁽⁴⁹⁾ داراً للإمارة، وقد شُيدت هذه الدار في الأرض التي انحسرت عنها ماء النيل تجاه الجامع وقصر الشمع، وكانت على درجة عظيمة من الناحيتين المعمارية والزخرفية⁽⁵⁰⁾، ولفرط سعتها كانت تُعرف بالمدينة⁽⁵¹⁾، لذا فقد أولاه الأمويون عناية ورعاية فائقة، واتخذوها داراً لإمارتهم بمصر، وظلت على ذلك إلى أن أمر مروان بن محمد بإحراقها أثناء تعقب العباسيين له⁽⁵²⁾.

الأسواق والقياسر:

اشتهرت الفسطاط عند الجغرافيين⁽⁵³⁾ العرب بتعدد أسواقها وقياسرها وبنشاط الفعاليات التجارية فيها، فإن أول سوق وضعت خططها في الفسطاط كانت بالقرب من المسجد الجامع وتُعرف بدار البركة⁽⁵⁴⁾، وبعد توسع المدينة وازدياد سكانها، نُظمت أسواقها وقياسرها بعد أن تزايدت أعدادها حسب اختصاصاتها، وكانت بمعزل عن بعضها البعض، وأُطلق عليها أسماء أرباب الحرف والصناعة التي تباع فيها مصنوعاتهم⁽⁵⁵⁾، ومنها سوق وردان⁽⁵⁶⁾ وسويقة العراقيين نسبة إلى جمع من البصريين ممن اتهموا من قبل زياد بن أبيه بتعاطفهم مع الخوارج، فسيرهم نحو الفسطاط، فُسِمت هذه السوق على اسمهم⁽⁵⁷⁾، وقد شهدت الفسطاط نمطية من الأسواق في أشكالها وخططها وعمرانها تمثلت بالقياسريات، ففي ولاية الوالي عبد العزيز بن مروان وكانت عبارة عن تجمعات للأسواق والمحلات التجارية⁽⁵⁸⁾، منها قيسارية العسل والجبال والكباش وقيسارية عبد العزيز التي كانت تباع فيها أقمشة البز⁽⁵⁹⁾، وفي عام 108هـ بنى هشام بن عبد الملك قيساريته التي تُعرف باسمه في فضاء بين القصر والبحر، يباع فيها البز الفسطاطي⁽⁶⁰⁾، وقيسارية أبي مرة وقيسارية بن أبي مسيح⁽⁶¹⁾، ويمثل السوق الكبير أكبر تجمع للأسواق فهو يمتد على طول الشارع الرئيسي من درب المجاير قرب جامع عمرو بن

العاص إلى ساحل النيل على جانبي الطريق وفي الأزقة المتفرعة منه الأسواق الفرعية والقياسر⁽⁶²⁾.

ثانياً: مدن شمال إفريقيا:

مدينة القيروان:

أصل التسمية:

اختلف اللغويون في أصل تسمية القيروان، فهناك من يرى بأن الكلمة تعني معظم المعسكر والقافلة من الجماعة⁽⁶³⁾، وقد كانت مستعملة في الجاهلية بهذا المعنى⁽⁶⁴⁾، وقيل هي موضع اجتماع الناس والجيش، ومحط إقبال الجيش، وقيل هي الجيش نفسه⁽⁶⁵⁾، وقيل إنها اتخذت من قول عقبة (66) بن نافع لأصحابه "هذا قيروانكم" أي المدينة التي يجعلون بها معسكرهم⁽⁶⁷⁾، وقيل إن لفظ قيروان هو فارسي معرب، وصله كروان أو كربان، ومعناه قافلة أو مراح القوافل⁽⁶⁸⁾.

الموقع الجغرافي وأهمية المدينة ودوافع تأسيسها:

تعتبر مدينة القيروان من مدن الإقليم الرابع، وتقع في جنوبي جبل واسلات⁽⁶⁹⁾، وهي من حيث الطول 33 والعرض 30 درجة، بأرض صحراء تصلح لجمال العرب، وكانت قاعدة إفريقية في أول الإسلام⁽⁷⁰⁾، وتقع المدينة في بساط من الأرض مديد في الجوف منها بحر تونس، وفي الشرق بحر سوسة والمهدية، وفي القبلة بحر سفاقس وقابس، وأقربها منها إلى البحر الشرقي، وبينها وبينه مسيرة يوم، وبشرقي المدينة سبخة ذات ملح عظيم طيب ونظيف، وبسائر جوانبها أراضي طيبة وكريمة⁽⁷¹⁾. وفي مطلع العصر الأموي توسعت الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقية، وفي عام 48هـ ولى أمير المؤمنين معاوية بن سفيان القائد المجاهد عقبة بن نافع الفهري إمارة إفريقية، كان عقبة آنذاك مقيماً بنواحي برقة⁽⁷²⁾. فدعا قبائل البربر⁽⁷³⁾ إلى الإسلام، وضم من أسلم منهم إلى جيشه وزحف نحو إفريقية ففتحها عنوة⁽⁷⁴⁾، ورأى بعد انتصاره على البربر أن يتخذ مدينة تحمي جند المسلمين وأموالهم من عدوان⁽⁷⁵⁾ أهل البلاد المفتوحة⁽⁷⁶⁾، وتكون لهم بمثابة قاعدة عسكرية ومنطلقاً لحملاتهم لاستكمال الفتح الإسلامي ببلاد المغرب والأندلس⁽⁷⁷⁾. فاستشار عقبة أصحابه⁽⁷⁸⁾ في اختيار الموضع المناسب لبناء المدينة، فاجتمع رأيهم على أن يكون الموضع وسطياً، فلا يكون على الساحل فيجعل المدينة عرضة لغزوات البيزنطيين، ولا مغلّة في الصحراء، خشية هجوم قبائل البربر المتقلبة الأهواء⁽⁷⁹⁾، وأن تكون قريبة من المراعي لتتمكن إبلهم من الرعي بأمان⁽⁸⁰⁾، وأن لا يفصلها عن مركز القيادة العسكرية في الفسطاط بحر ولا نهر، فيكون الطريق مفتوحاً بينهما لوصول

النجيدات والمدد⁽⁸¹⁾، فوقع اختيارهم على موضع القيروان، وكان على بعد ستة وثلاثين ميلاً من البحر المتوسط، ونحو مائة ميل عن تونس⁽⁸²⁾، وتميز الموضع بخصوبة سهوله الزراعية التي تتضمن بعض المحاصيل التي كفل للمقاتلين العرب مورداً غذائياً مهماً⁽⁸³⁾، علاوة على توفر المياه⁽⁸⁴⁾، الأمطار والأودية بالإضافة إلى استخراج المياه من الآبار القريبة⁽⁸⁵⁾.

بناء المدينة وتخطيطها:

شرع عقبة بعد استقراره في الموقع في تمهيد المكان للبناء، فأزال الأشجار وأخرج ما فيه من حيوانات وحيات وغير ذلك، وبدأ في تخطيط المدينة وبناء عمائرهما، وكان ذلك في سنة 50هـ/670م⁽⁸⁶⁾، فبنى المسجد الجامع ودار الإمارة وبنى الناس من حولها مساكنهم وجميع المنشآت العمرانية اللازمة لإقامتهم من مرافق عامة وخاصة⁽⁸⁷⁾، وكان دورها ثلاثة عشر ألف وستمئة ذراع⁽⁸⁸⁾، وقد تم تخطيط مدينة القيروان على الطابع الإسلامي المعهود آنذاك، فالمسجد الجامع ودار الإمارة توأمان، يكونان في قلب المدينة، وبينهما يبدأ الشارع الرئيس للقيروان ويسمى باسم السماط الأعظم، ثم ترك عقبة فراغاً حول المسجد ودار الإمارة في هيئة دائرة واسعة، ثم قسمت الأرض خارج الدائرة إلى خطط للقبائل ليكون استمراراً للشارع الرئيسي إلى نهاية المدينة⁽⁸⁹⁾، وأحيطت المدينة بسور من اللبن والطين بلغت مساحته اثني عشر ميلاً، واستمرت حركة البناء والعمران نحو خمس سنوات، حيث اكتمل بناؤها سنة 55هـ/675م⁽⁹⁰⁾. وفي نفس العام وعُزل عقبة بن نافع عن إمارة إفريقية، حيث كان عاملاً تابعاً لوالي مصر، وعُين بدلاً عنه أبو المهاجر دينار، فلم يحب أن ينزل بقيروان عقبة، واختار موقعاً يبعد عنها بقدر ميلين إلى الشمال لينزل به، وبنى عليه مدينته التي سماها تكروان، وأمر الناس بأن يحرقوا قيروان عقبة ويعمروا مدينته، فلما علم الخليفة يزيد بن معاوية بذلك، رد عقبة والياً على إفريقية لا عاملاً تابعاً لوالي مصر، فوصلها في عام 62هـ (91)، وأمر بتخريب مدينة تكروان، ثم عاد إلى القيروان، فأعاد بناءها وأصلح أمرها واستخلف عليها زهير بن قيس البلوي، ثم خرج لمواصلة الفتح حتى وصل المغرب الأقصى⁽⁹²⁾.

المسجد الجامع: "الجامع الأعظم"

وبعد أن استقر رأي عقبة وأصحابه على موضع بناء المدينة، أمر برسم الخطط، فاخترت المسجد الجامع أولاً⁽⁹³⁾، ولم يحدث فيه بناء، وكان يصلي فيه وهو كذلك، واختلف عليه الناس في القبلة⁽⁹⁴⁾ فقالوا: "إن جميع أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد فأجهد نفسك في تقويمها"⁽⁹⁵⁾،

وقد امتد المسجد على ساحة واسعة منذ تأسيسه حتى قيل: "لم يبن عقبة مدينة لها جامع بل بنى جامعاً له مدينة"⁽⁹⁶⁾، واستخدم في بناء الجامع مادتي الطين واللبن، ومع تطور القيروان واتساعها وتوافد المسلمين عليها من العرب والبربر، ضاق المسجد الجامع ولم يستمر طويلاً على الهيئة التي بناها عقبة، فتوالت عليه أعمال التوسعات والإضافات المعمارية من قبل الولاة الأمويين، ففي عام 693هـ/ 74م قام حسان⁽⁹⁷⁾ بن النعمان بهدم المسجد الجامع عدا المحراب وأعاد بناءه من جديد⁽⁹⁸⁾، وحمل إليه ساريتين حراوين من كنيسة كانت في موضع يُعرف بالقيسارية بسوق الضرب، وجعلها في مقابل المحراب وعليهما القبة المتصلة بالمحراب⁽⁹⁹⁾، فأصبح شكل الجامع مستطيلاً وبلغ طوله حوالي 125 متراً وعرضه 80 متراً، ويحوي سبعة عشر رواقاً طويلة تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوبي الشرقي، أوسعها وأعلىها ارتفاعاً الرواق الأوسط، وتقوم على طرفيه الشمالي والجنوبي قبتان، بالإضافة إلى قبتين أخريين تحللها بلاطة المحراب العريضة، أما الصحن فهو متسع جداً وتحيط به أروقة مزدوجة من جميع الجهات، باستثناء الجهة الشمالية حيث تقطع المنارة تلك الأروقة⁽¹⁰⁰⁾. وفي عام 105هـ/ 723م أثناء خلافة هشام بن عبد الملك كتب إليه عامله على القيروان بشر⁽¹⁰¹⁾ بن صفوان كتباً يعلمه فيه ضيق المسجد الجامع بالناس، وأن بشماليه بستاناً لقوم من فهر، فأمره هشام بشرائه وإحاقه بالمسجد ففعل وبنى في صحنه ماجلاً⁽¹⁰²⁾، وبنى المئذنة في بئر البستان ونصب أساسها على الماء وهي تقع في منتصف الحائط الشمالي⁽¹⁰³⁾، وتعتبر من أضخم المآذن الإسلامية وأجملها شكلاً، وهي تتكون من ثلاثة طوابق تعلوها قبة مفصصة⁽¹⁰⁴⁾، وقد اتخذت هذه المئذنة أنموذجاً لمآذن شمال إفريقيا والأندلس، واستمر هذا الطراز من المآذن راسخاً في الشمال الإفريقي طوال العصور الإسلامية⁽¹⁰⁵⁾.

دار الإمارة:

حين أقام عقبة المسجد الجامع أنشأ دار الإمارة وسط المدينة، في الجهة الجنوبية من المسجد أي بالجانب القبلي منه، ولعله ابتناها من اللبن⁽¹⁰⁶⁾، فقد كانت في غاية البساطة والتواضع، وهو شأن الصحابة والسابقين من المسلمين في بناء دورهم، خاصة أن عقبة كان دائم الخروج للغزو، لا يقيم كثيراً في القيروان⁽¹⁰⁷⁾، وبقيت هذه الدار منزلاً للأمرء والولاة إبان العصرين الأموي والعباسي حتى ولاية إبراهيم بن الأغلب⁽¹⁰⁸⁾ عام 184هـ/ 800م، حيث بنى لنفسه مدينة أطلق عليها اسم القصر القديم بالجانب القبلي لمدينة القيروان، وتبعد عنها بمسافة ثلاثة أميال، ولما انتقل ابن الأغلب إليها خربت دار الإمارة التي بناها عقبة بن نافع بالقيروان منذ تأسيسها⁽¹⁰⁹⁾.

الأسواق:

وبعد أن اختط عقبة المسجد الجامع ودار الإمارة حيث جعلهما بوسط المدينة، فعمرت المدينة واختطت القبائل خططها، وجُعل من الفناء المجاور للمسجد الجامع سوقاً للناس، وقد اتسعت هذه السوق حتى صارت حلقاً حول المسجد، فارتبطت تسمية أبواب المسجد بخصائص ما يقابلها من هذه الأسواق، ومنها باب الصرافين حيث يقود هذا الباب إلى سوق يجتمع فيها الصرافون⁽¹¹⁰⁾، وكذلك باب الصباغين وباب الخاصة الذي يقود إلى سوق التمارين، وباب اللحامين وباب الرماحين وباب الخميس⁽¹¹¹⁾. وقد ازدهرت المحلات التجارية وتوسعت أسواق القيروان إبان خلافة هشام بن عبد الملك، وإليه يُعزى أمر ترتيب وتنظيم الأسواق بها، حيث وزعها توزيعاً مهنيّاً، فصارت كل سوق متخصصة بنوع من المهن أو البضائع⁽¹¹²⁾، وكان سماط سوق القيروان متصلاً من جهة القبلة إلى الجوف، ويبلغ طوله حوالي ميلين إلا ثلثاً فهو يمتد من باب أبي الربيع إلى المسجد الجامع، ومن المسجد الجامع حتى باب تونس وهي مسافة تقدر بحوالي ثلث ميل، ووصف هذا المجمع بأنه كان سماطاً متصلاً يشتمل على جميع الصنائع والمهن والتجارات⁽¹¹³⁾. وإلى جانب هذا السوق الكبير كانت هنالك أسواق أخرى متخصصة الأغراض للحرف والصنائع بأطراف المدينة، منها سوق البركة الذي يعرض فيه الرقيق والجواري، وسوق الأحد للمنسوجات الصوفية، وسوق الكتانين وسوق الغزل وهي متلاصقة، وسوق البزارين وسوق الدجاج بجوار باب تونس⁽¹¹⁴⁾، كما نُسبت الكثير من الأسواق إلى مؤسسيها أو أصحابها كسوق إسماعيل التي أحدثها إسماعيل بن عبيد الأنصاري في سنة 71هـ، وسويقة المغيرة التي تنسب إلى آل عبد الله بن المغيرة الكوفي أحد كبار المحدثين الوافدين على القيروان، وسوق ابن هاشم المنسوبة لصالح بن حاجب بن هاشم، وسوق اليهود وحوانيت الرهادنة وسوق دار الإمارة نسبة لقربها منها، بالإضافة إلى الخانات التي كانت تستخدم كمخازن للبضائع، وغالباً ما تكون في أرباض المدينة بجوار الأسواق⁽¹¹⁵⁾. وظلت القيروان مشهورة بأسواقها وحركتها التجارية الدؤوبة حتى عام 337هـ/948م حيث بُنيت مدينة صبرة المنصورية⁽¹¹⁶⁾، وكانت متصلة بالقيروان، ثم نُقلت جميع الأسواق والصناعات من القيروان إلى صبرة، ذلك مما أدى إلى إضعاف النشاط الحرفي والصناعي وحركة التجارة بالقيروان⁽¹¹⁷⁾.

مدينة تونس:

أصل التسمية:

تونس بالضم ثم السكون والنون تضم وتفتح وتكسر، وقد تباينت الآراء حول أصل اسم مدينة تونس، ويزعم الكثير من الجغرافيين أن اسم تونس

قبل تعمير العرب لها كان ترشيش أو ترسوس، وقد سماها العرب بتونس لأنهم عندما افتتحوا إفريقيا كانوا يأخذون قسماً من الراحة بإزاء صومعة ترشيش نسبة إلى راهب كان يقطن تلك الصومعة، فكان العرب يأنسون بصوت الراهب فأخذوا يقولون إن هذه الصومعة تؤنس، فطغت تسمية تونس على ترشيش⁽¹¹⁸⁾، وقيل إنها سميت بتونس نسبةً لجمالها وحسنها، فإن كل من شاهدها وتجول في أنحائها، ورأى حسن موقعها، وما يحفها من الأماكن الخصبة المخضرة، وبحيرتها الجميلة أحس بأنس يملأ قلبه وانشرح في صدره لهذا المكان⁽¹¹⁹⁾.

الموقع الجغرافي والنشأة:

تقع مدينة تونس على ساحل بحر الروم، جنوب مدينة قرطاجنة⁽¹²⁰⁾ على ربوة ذات منحدرات خفيفة متجهة نحو بحيرة تونس شرقاً ونحو سبخة السيجومي غرباً ضمن الإقليم الذي كان يُعرف بإفريقية (121) أو بالمغرب الأدنى⁽¹²²⁾. ولقد تباينت الروايات حول مسألة تأسيس مدينة تونس وفيما إذا كانت مدينة قديمة أم محدثة في الفترة الإسلامية، ويقول البعض بأن تونس مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم، عمرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها قرطاجنة، وكان اسم تونس في القديم ترشيش وهي على ميلين من قرطاجنة وقد اشتهرت بحصانتها وموقعها الجغرافي المتميز، ويقال لبحر تونس رادس وكذلك يقال لمساها مرسى رادس، وهي من أصح بلاد إفريقية هواء، ولها غلة فائضة⁽¹²³⁾. وتتفق الروايات التاريخية على أن فتح المنطقة التي صارت فيها مدينة تونس قد تم أيام عبد الملك بن مروان الأموي، على يد واليه على إفريقية حسان بن نعمان الغساني، الذي يعود إليه الفضل في استكمال فتح المنطقة ثم تأسيس مدينة تونس، وذلك عندما توجه بجيشه لمحاربة الروم في المنطقة، فطلبوا منه عدم دخول المدينة مقابل أن يضع عليهم خراجاً يقسطه عليهم فأجابهم إلى ذلك⁽¹²⁴⁾، ولما رجع حسان إلى القيروان، رجعت الروم إلى المدينة فاستباحوها، فأرسل حسان إلى الخليفة عبد الملك بن مروان مستنجداً به، فأمدّه بجيش كبير فقاتل الروم حتى فتح المدينة عنوة، فأحكم بناءها وجعلها رباطاً للمسلمين⁽¹²⁵⁾. وقد اختلف في تاريخ تأسيس المدينة وقيل إنه كان في عام 74هـ / 693م وقيل في عام 78هـ / 697م وذلك أثناء حملته حسان الثانية على قرطاجنة، وهنالك رواية أخرى تقول بأن مدينة تونس قد تأسست سنة 80هـ / 699م⁽¹²⁶⁾.

المسجد الجامع " جامع الزيتونة " (127):

تشير الروايات التاريخية إلى أن حسان بن النعمان قد أسس المسجد الجامع بتونس أثناء أول حملة على المنطقة فهو يمثل أول خطة عمرانية

بالمدينة، وقد أعاد بناءه عبدالله بن الحبحاب إبان ولايته على إفريقية في عام 114هـ/732م، وإليه ينسب البعض بناء المسجد الجامع، وذلك لما عرف به من حبه وولعه بالعمارة والبناء، وقد شهدت مدينة تونس نهضة عمرانية واسعة خلال فترة ولايته، حيث قام بإعادة بناء المسجد الجامع وتوسيعه وتزيينه⁽¹²⁸⁾، وجعل دائرة مسقفاً وفي وسطه فضاء قد شُيدت فيه أعمدة خشبية على قدر ارتفاع الجدار، ثم شُدت إليها حبال متينة في حلقات حديدية مثبتة فيها وفي السقوف شداً محكماً، فإذا كان الصيف فإنها تنشر عليها أيام صلاة الجمعة، شقق كتانية حتى تظلل جميع ذلك الفضاء⁽¹²⁹⁾. ولم يكن المعمار وجماليته الاستثناء الوحيد الذي تمتع به جامع الزيتونة، بل شكل دوره الحضاري والعلمي الريادة في العالم الإسلامي إذ اتخذ مفهوم الجامعة الإسلامية منذ تأسيسه ومازالت تدرس فيها علوم اللغة والتاريخ والفقه⁽¹³⁰⁾.

وحدات عمرانية أخرى:

تشكلت الهيئة العمرانية للمدينة في تنظيم عمراني مركزي حول المسجد الجامع ككتلة عمرانية رئيسية في مركز المدينة تضم المسجد الجامع ودار الإمارة والسوق ومن حولها الخطط السكنية التي تمثل الكتل الثانوية واتخذت المدينة تشكيل فراغي غير منظم الحدود قريب من البيضاوي⁽¹³¹⁾، ويحيط بها خندق وسور ضخم تبلغ مساحته حوالي 21 ألف ذراع، وله خمسة أبواب وهي باب الجزيرة ويقع في الجانب القبلي وهو ينسب إلى جزيرة شريك وكان الخارج منه يتجه نحو القيروان، وفي الجهة الشمالية الشرقية باب قرطاجنة حيث تقع دونه داخل الخندق البساتين والآبار، ومن الناحية الشرقية يقع باب البحر وهو يربط بين المدينة والميناء⁽¹³²⁾، وباب المعشوق، وباب السقائين وسمى بذلك لوجود بئر أبي الغفار وهي بئر كبيرة غزيرة الماء، وفي الجانب الغربي باب أرطة أو باب السويقة وتجاوره مقبرة سوق الأحد، وهنالك دون الباب ربض خارج المدينة وملاحاة كبيرة يجمع منها ملح تونس⁽¹³³⁾. وقد اشتهرت المدينة بفخامة وجمال دورها التي يغلب على بنائها الرخام البديع الصنع⁽¹³⁴⁾، وبكثرة أسواقها ومتاجرها العجيبة وفنادقها وحماماتها، وتتمركز معظم هذه الأسواق حول المسجد الجامع الذي يمثل قلب المدينة، وهي أسواق كلها مغطاة تقريباً في مأمن من الشمس والمطر، وزعت على حسب اختصاصاتها وأشهرها سوق العطارين وسوق القماشين وسوق الصاغة وسوق الغزل وسوق الكتبيين وسوق العرافين وغيرها كثير من الأسواق المنتشرة في أنحاء المدينة⁽¹³⁵⁾.

الخاتمة:

كان اهتمام الأمويين بتجديد وبناء المدن في شمال إفريقيا كبيراً، فجددوا مدينة الفسطاط، وبنيت إلى جانب الفسطاط مدينة حلوان التي تحولت لها العاصمة من الفسطاط نتيجة لانتشار الطاعون فيها وكان ذلك عام 70 هجرية على يد عبدالعزيز بن مروان، كما بُنيت مدينة القيروان في عام 50 هجرية على يد عقبة بن نافع الفهري الذي جعل منها قاعدة عسكرية للجيش الإسلامية الفاتحة في بلاد المغرب، ثم بُني فيها جامع الزيتونة الذي أصبح مركزاً لنشر علوم الشريعة الإسلامية في شمال إفريقيا، ومدينة تونس التي تم اتخاذها كقاعدة عسكرية بحرية في شمال إفريقيا.

النتائج:

- بدأ اهتمام الأمويين بتجديد مدينة الفسطاط منذ بداية خلافة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه).
- تمثل عمران الفسطاط في العصر الأموي في ظاهرتين أساسيتين:
(أ) أولهما، امتداد عمراني للمدينة في الجهة الغربية، و أضيفت إلى المدينة مساحة عمرانية جديدة أقيمت فيها العديد من المباني والمنشآت.
(ب) جاءت العديد من القبائل والبطون العربية إلى الفسطاط مصاحبة للأسرة الأموية.
- شيد عبد العزيز بن مروان مدينة حلوان لتكون متنزهاً له، وليقيم فيها للراحة والاستجمام، ولكن ظهور الطاعون في الفسطاط عام 70هـ، جعله يتخذ من حلوان مقراً للحكم وداراً للإمارة.
- اختط عقبة بن نافع مدينة القيروان بعد أن اختار بها موقعا مميزا ومن ميزاته أنه بعيد من الساحل لتكون المدينة في مأمن من هجمات البيزنطيين، وأن لا يفصلها عن القيادة العسكرية في الفسطاط بحر ولا نهر.
- اختط عقبة بن نافع المسجد الجامع في القيروان، وقد امتد المسجد على ساحة واسعة منذ تأسيسه حتى قيل: "لم يبن عقبة مدينة لها جامع بل بنى جامعاً له مدينة".
- تم فتح المنطقة التي صارت فيها مدينة تونس أيام عبد الملك بن مروان الأموي، على يد حسان بن النعمان.
- أسس حسان بن النعمان المسجد الجامع بتونس في أول حملة على المنطقة فهو يمثل أول خطة عمرانية بالمدينة.

التوصيات:

- إجراء المزيد من الدراسات النظرية والميدانية التي تعمل على كشف الجوانب المغمورة من التراث الإسلامي الحضاري والمعماري المتعلق بالحقبة الأموية وغيرها من حقب التاريخ الإسلامي.
- على أجهزة الإعلام المرئي والمسموع تسليط الضوء على المدن والعمائر الأموية من خلال

عرض وتقديم أفلام وثائقية وصور وخرائط توضح عظمة وفخامة فن العمارة الإسلامية في بلاد المشرق والمغرب الإسلامي خصوصاً الشامية منها والأندلسي التي مازالت شاهداً حياً على عراقلة وفخامة العمارة الإسلامية.

المصادر و المراجع :

- (1) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري، 1987م ، لسان العرب، ط3، ج11 ، دار صادر، بيروت، ص181.
- (2) القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص236.
- (3) الباشا ، حسن، القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، 1969م، ص14.
- (4) شكري فيصل ، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1952م، ص14
- (5) المقرئزي ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسني العبيدي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، ص286.
- (6) الخربوطلي ، علي حسني، الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1960م ، ص307.
- (7) عزب ، خالد، الفسطاط النشأة الازدهار والانحسار، دار الافاق، القاهرة، 1998م، ص18.
- (8) ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله المصري، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1415هـ، ص91.
- (9) عبده ، عبدالله كامل موسى، المسلمون آثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين، دار الافاق العربية، القاهرة، 2004م، ص146.
- (10) الحسيني، محمود حامد أحمد، التطور العمراني لعواصم مصر الإسلامية ” الفسطاط _ العسكر _ القطائع“ حتى نهاية العصر الفاطمي، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآثار، 1987م، ص192.
- (11) نفس المرجع ، ص 192_193.
- (12) وهو أبا حماد عقبة بن عامر بن عيس بن عمرو بن عدي الجهني، صحابي جليل أسلم بعد الهجرة، كان عالما مقرئاً فصيحاً فقيهاً فرضياً شاعراً كبير الشأن، ولي الجد بمصر لمعاوية، توفي بمصر ودفن بها سنة 58 هـ ، الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، 1985م، سير أعلام النبلاء، ط3، ج2، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ص46.

- (13) المقياس هو منشأة معمارية مخصصة لقياس نسبة فيضان النيل، وتحذير الناس من قلة المياه ليتزودوا منها ويحتاطوا، أو لوفرتها وقدمها بعد جفاف ليستبشروا بقدوم فصل مطير وفير المياه فيطمئنوا. ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص16.
- (14) وهو عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي، ولاه والده مروان صلاة مصر وخارجها سنة 65هـ، و دامت ولايته حتى وفاته في سنة 86هـ. الكندي ، أبى عمر محمد بن يوسف، تاريخ ولاية مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1987م، ص42_49.
- (15) وهو أسامة بن زيد التنوخي، ولي خراج مصر للوليد وسليمان ابني عبدالمك بن مروان، وهو الذي بنى مقياس النيل العتيق بجيزة فسطاط مصر. الخطيب البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المتفق والمفترق، ج1، دار القادري، 1997م، بيروت، ص153.
- (16) وكانت جزيرة الروضة معروفة عند الفتح الإسلامي لمصر باسم الجزيرة لوقوعها في مجرى النيل وبجزيرة مصر، وجزيرة الفسطاط لوقوعها تجاه مدينة الفسطاط وبجزيرة الصناعة لوجود صناعة السفن الحربية بها، وكان بها الكثير من الصانع والملاحين المهرة من أهل البلاد الأصليين الذين أمدت بهم الدولة الاموية دور الصناعة في المشرق والمغرب. عبده ، عبدالله كامل موسى، الأمويون وآثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وإفريقيا، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2003م ، ص266.
- (17) الكندي ، ص40-38.
- (18) وكان هذه الخندق بالقرافة، وقد دثر وعلى شفيره قبر الإمام الشافعي رضى الله عنه، وكان يمتد من النيل إلى الجبل، حفر مرتين مرة في خلافة مروان بن الحكم، والثانية في خلافة الأمين بن هارون الرشيد. المقرئزي: مصدر سابق ، ج2، ص158.
- (19) ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن أيذر العلاني، الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر و جغرافيتها، ج1، المكتب التجاري، بيروت، د.ت، ص99.
- (20) بيمارستان الجمع بيمارستانات: مشفى؛ محلّ معدّ لإقامة المرضى فيه ومعالج , www.almaany.com ,
- (21) ابن دقماق ، مصدر سابق ، ص11.
- (22) وكانت هذه الدار من خطة الأزد، فاشتراها عمر بن مروان وبناها وظلت في يدي بنيه حتى سنة 308هـ/920م، ثم صارت إلى شمول الإخشيدي فحولها إلى قيسارية وحماماً. الحسيني ، مرجع سابق، ص220.

- (23) وهي الدار التي بناها مروان بن الحكم، عندما قدم مصر، فقال: ما ينبغي للخليفة أن يكون ببلد لا يكون له بها دار، فبنيت له في شهرين، بصحناً بين المسجد و دار عمرو بن العاص، كانت مربطاً لخيول المسلمين. ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص107.
- (24) وتعرف بدار الأنماط القديمة، وهي خطة لابن أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري رضى الله عنه، فاشتراها منهم عبدالعزيز بن مروان ووهبها لابنه سهيل بن عبدالعزيز. ابن دقماق ، مصدر سابق، ج1، ص7.
- (25) وقيل أن هذا القصر كان خطة لابن رفاعة الفهري فوهبه لعبدالعزیز بن مروان، فبناه لأم ولد روميه، يقال لها مارية فنسب إليها. ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص112.
- (26) وهو من الحمامات العامة، بجوار حمام المذكورة وهي خطة خولان الذي حازه الوليد بن عبدالمك و تعرف بحمام صافي، وقد انتقلت إلى يد بنى الحباب. ابن دقماق ، مصدر سابق، ج1، ص105.
- (27) ويعد من الحمامات العامة، كان من أقطاع مسلمة بن مخلد الأنصاري، ثم صار إلى بنى أبى بكر بن عبدالعزيز بن مروان من قبل أمهم. ابن دقماق ، مصدر سابق، ج1، ص106.
- (28) ويعد من الحمامات الخاصة، وهو بدار سهل التي فيها السراجين وحمام سهل كان لعبد الله بن عمرو بن العاص فوهبها لابنته أم عبد الله فتزوجها عبد العزيز بن مروان فأولادها سهيلاً وسهلاً فورثاها من امهما. ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص112.
- (29) حلوان وهي قرية من أعمال مصر، بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل، وبها دير ذكر في الدير، وكان أول من اختطها عبد العزيز بن مروان لما ولي مصر، وضرب بها الدنانير، وكان له كل يوم ألف جفنة للناس حول داره. ياقوت الحموي ، أبو شهاب الدين عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، ط2، ج2، دار صادر، بيروت، 1995م، ص293.
- (30) عذب ، خالد، مرجع سابق ، ص36.
- (31) ابن تغر بردي ، أبو المحاسن جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، وزارة الثقافة، القاهرة، 1963م، ص173.
- (32) الكندي ، مصدر سابق، ص48.
- (33) عبده ، الأمويون و آثارهم ، مرجع سابق، ص218.
- (34) وهو الخليج الذي حفره عمرو بن العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، فساقه من النيل إلى القلزم فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن محملة بالطعام إلى مكة والمدينة، ولم يزل على ذلك حتى ضيعته الولاة فترك وغلب عليه الرمل. ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص164.

- (35) المقرئزي ، مصدر سابق، ج2، ص177_178.
- (36) أندرية ريمون ، القاهرة تاريخ حاضرة، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1994م، ص21_22.
- (37) المقرئزي ، مصدر سابق، ج2، ص246.
- (38) عبده ، الأمويون و آثارهم ، مرجع سابق، ص208.
- (39) وهو مسلمة بن مخلد بن صامت بن نيار الخزرجي الأنصاري، ولاء معاوية بن أبي سفيان إمارة مصر، ثم أضاف إليه ولاية المغرب، فقام بمصر وسير الغزاة إلى المغرب في البر والبحر. الذهبي ، مصدر سابق، ج3، ص424.
- (40) عزب ، مرجع سابق ، ص149.
- (41) ابن دقماق ، مصدر سابق، ج1، ص63.
- (42) وهو أبي عمر عبد الله بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، ولاء والده على صلاة مصر وخراجها في سنة 86هـ، و أقره عليها أخاه الوليد عندما بويع بالخلافة بعد وفاة والده، وهو الذي أمر بالدواوين فنسخت بالعربية، وكانت قبل ذلك تكتب بالقبطية. الكندي ، مصدر سابق، ص51.
- (43) وهو قرعة بن شريك بن مرثد بن الحارث العبسي، ولاء الوليد بن عبد الملك على صلاة مصر وخراجها سنة 90هـ، فقام بها بالكثير من الأعمال، توفي سنة 96هـ. الكندي ، مصدر سابق، ص55_57.
- (44) ابن دقماق ، مصدر سابق، ج1، ص63_65.
- (45) الكندي ، مصدر سابق، ص57_58.
- (46) المقرئزي ، مصدر سابق، ج1، ص296.
- (47) وهي الدار التي في قبلي الجامع وغربي الشرطة، وهي منسوبة لرملة بنت معاوية بن أبي سفيان، حيث كانوا يقولون: دار رملة، فحرفت العامة ذلك فقالوا: دار الرملة، ويقال انما سميت دار الرمل، لما ينقل إليها من الرمل لدار الضرب. البكري ، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد الأندلسي، المسالك والممالك، ج2، تحقيق: أديان فان ليوفن و أندري فيري، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1992م، ص140.
- (48) ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص101.
- (49) بناها عبد العزيز بن مروان في سنة 67هـ، بجوار المسجد الجامع من الجهة الغربية، وهي تدعى بسوق الحمام والمذهبة نسبة إلى قبته المطلية بالذهب الكندي ، مصدر سابق، ص44.

- (50) عبده ، الأمويون و آثارهم ، مرجع سابق، ص252.
- (51) الحسيني ، مرجع سابق، ص541.
- (52) الكندي ، مصدر سابق، ص49.
- (53) وهي مصر حسن الأسواق و المعاش، إلى حماماته المنتهى ولقياسره لياقة وبهاء، وليس وفي الإسلام أكبر مجالس جامعة ولا أحسن تجملاً من أهله ولا أكثر من مراكب ساحله. المقدسي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، 1991م، ص197.
- (54) وهي الدار التي اختطها عمرو بن العاص للخليفة عمر بن الخطاب، بجوار المسجد الجامع بالفسطاط، فقال له عمر: انى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر، وأمر أن يجعلها سوقاً للمسلمين. ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص92.
- (55) الشهري ، مرجع سابق، ص110.
- (56) وتنسب إلى وردان الرومي مولى عمرو بن العاص، وكان من عمرو بمنزلة صاحب شرطته، ثم ولده معاوية بن أبي سفيان على خراج مصر بعد وموت عمرو بن العاص. ياقوت الحموي ، مصدر سابق، ج3، ص284.
- (57) ناجي ، عبد الجبار، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2001م، ص227.
- (58) عبيد ، طه خضر، الحضارة العربية الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، ص185.
- (59) والبز نوع من الثياب، وقيل متاع البيت من الثياب خاصة، والبزاز هو بائع وحرفته البزازة، والبزه بالكسر، الستارة واللبسة. ابن منظور ، مصدر سابق، ج5، ص311.
- (60) ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص136.
- (61) ابن دقماق ، مصدر سابق، ج1، ص39.
- (62) الشهري ، مرجع سابق، ص111.
- (63) إذ روى أن إمرؤ القيس يصف غارة له قائلاً:
- (64) وغارة ذات قيروان *** كأن أسرابها الرعال.
- (65) ابن منظور ، مصدر سابق، ج12، ص94.
- (66) حمودة ، عبد الحميد حسين، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2006م، ص54.

- (67) وهو عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط الفهري، ولد في عهد النبوة، ولم تصح له الصحبة، وكان عمرو بن العاص خاله فشهد فتح مصر واختط بها، ثم ولاه يزيد بن معاوية أمور المغرب، وهو الذي بنى مدينة القيروان، استشهد في سنة 63هـ. ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكنانى العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ص50.
- (68) مؤنس، حسين، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص153.
- (69) الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، المغرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، دار القلم، دمشق، 1990م، ص483.
- (70) وهو جبل طوله يومان، وبينه وبين القيروان خمسة عشر ميلاً، ومياه جارية، وفيه عمارات وحصون كثيرة بناها البربر. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص294.
- (71) المغربي، علي بن موسى بن سعيد، كتاب الجغرافيا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م، ص35.
- (72) البكري، المسالك والممالك مصدر سابق، ج2، ص675.
- (73) وأسمها بالرومية الإغريقية بنطابلس، وتعنى إقليم المدن الخمس وهي سوسة وشحات وتوكره وبنغازي وبرقة، وهي مدن أسسها الإغريق في بداية القرن السابع قبل الميلاد، وتتميز هذه المدن بموقعها الجغرافي الغني بالتربة الخصبة الصالحة للزراعة. البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ج2، ص649.
- (74) وقد اختلف في نسب البربر، ويرجح أنهم من ولد حام بن نوح عليه السلام، وأنهم جيل قديم سكنوا المغرب عندما تناسلت ذرية نوح عليه السلام، والبربر يجمعهم جدان هما: برنس ومادغيس، ويلقب مادغيس بالأبتر، فلذلك يقال لشعوبه التبر، ولشعوب برنس البرانس. الناصري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956م، ص61.
- (75) حسن، حسين الحاج، حضارة العرب في صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1992م، ص419.
- (76) وقد عبر عقبة عن ذلك بقوله: "إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابه أهلها إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله تعالى إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام حتى آخر الدهر". ابن عذري، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص19.

- (77) الخربوطلي، مرجع سابق، ص308.
- (78) إسماعيل ، محروق، العمارة الإسلامية في كتب رحالة المغرب الإسلامي من القرن 7هـ حتى القرن 10هـ / 13م حتى 16م، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، تلمسان _ الجزائر، 2018م، ص287.
- (79) حيث قالوا: ” نحن أصحاب إبل ولا حاجة لنا بمجاورة البحر، فتسخطوا علينا الإفرنج“. الناصري ، مصدر سابق، ج1، ص134.
- (80) عبد الوهاب ، حسن حسني، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية، مكتبة المنار، تونس، 1965م، ص44.
- (81) قال عقبه: ” قربوها من السبخة فإن دوابكم وهي الإبل التي تحمل أثقالكم، فإذا فرغنا منها لم يكن لنا بد من الغزو و الجهاد حتى يفتح الله علينا، فتكون إبلنا على باب قصرنا في مراعيها آمنة من عادية البربر و النصارى. ابن عذاري ، مصدر سابق، ج1، ص19_20.
- (82) قويدري: فاطمة، القيروان وعلاقتها الفكرية بمصر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولاي الطاهر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، 2014م، ص18.
- (83) الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة: محمد حاجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص87.
- (84) جوهر، حسن محمد ، تونس، دار المعارف، القاهرة، 1961م، ص41.
- (85) وشربهم من ماء المطر، وإذا كان الشتاء ووقعت الأمطار والسيول، دخل ماء المطر من الأودية إلى بركٍ عظام تسمى المؤاجل، ولهم وإِ يُعرف بوادي السراويل في قبلة المدينة، يأتي فيه ماء مالح يستعملونه فيما يحتاجون إليه. اليعقوبي ، أبي يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، ص348.
- (86) خضر ، عبدالحليم عبدالرحمن، الإسلام والمسلمين في إفريقيا الشمالية، عالم المعرفة، جدة، 1986م، ص306.
- (87) وكان موضع القيروان غيضة ذات طرفاء وشجر لا يرام من السباع والحيات والعقارب القتالة، وكان ابن نافع رجلاً صالحاً مستجاب الدعوة، فدعى ربه ، فأذهب ذلك كله، حتى أن كانت السباع لتحمل أولادها هاربة بها. البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، فتوح البلدان، ج1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1975م، ص296.

- (88) عبده ، الأمويون و آثارهم ، مرجع سابق، ص295.
- (89) اليعقوبي ، مصدر سابق، ج2، ص229.
- (90) زيتون ، محمد محمد ، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار للنشر، القاهرة، 1988م، ص39.
- (91) ف. بارتولد ، تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، مطبعة دار المعارف، بغداد، د.ت، ص21.
- (92) لومبارد موريس ، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي، ترجمة عبدالرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، 1979م، ص183.
- (93) نجوي عثمان ، مساجد القيروان، مطبعة دار عكرمة، دمشق، 2000م، ص15.
- (94) المرجع نفسه ، ص14.
- (95) فرأى عقبة بن نافع في المنام هاتفاً يقول له: ” خذ اللواء في يدك فحيث سمعت التكبير فأمشي، فإذا انقطع التكبير فأركز اللواء فإنه موقع قبلتكم“ فعلم عقبة أن الأمر من عند الله، ففعل ذلك وركز اللواء عند الموضع الذي انقطع فيه صوت التكبير وقال: هذا محرابكم فاقتدى به سائر مساجد المدينة. مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص114.
- (96) ابن عذري ، مصدر سابق، ج1، ص20 .
- (97) الرفاعي، أنور، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، ط2، دار الفكر، دمشق، 1977م، ص42.
- (98) وهو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مزيقيا بن عامر الأزدي، كان بمصر فوجهه معاوية بن أبي سفيان إلى إفريقية فصالح البربر وكان ذلك في عام 57هـ، ثم أمره عبدالملك بن مروان بفتح إفريقية، فخرج في جيش قوامه 40 ألف ، ففتح قرطاجنة، ثم عزله عبدالملك وأخذ كل كان عنده، وتوفي غازياً في بلاد الروم في عام 80هـ وقيل 81هـ. ابن الأبار، أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيرة، ج2، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص331_332.
- (99) عبدالجبار ناجي ، مرجع سابق، ص255.
- (100) البكري ، المسالك والممالك ، مصدر سابق، ج2، ص673.

- (101) زغلول، سعيد عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي "تاريخ دولة الأغالبة والرسامين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الدولة الفاطمية"، ج2، دار المعارف، الإسكندرية، 1993م، ص72.
- (102) وهو بشر بن صفوان بن تويل بن بشير بن حنظلة، من بني عذرة بن زيد اللات، ولي إفريقية سنة 103هـ، وظل عليها حتى وافته المنية بالقيروان في عام 109هـ. ابن أبيك، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبدالله الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 200م، ص33.
- (103) المأجل أو الوجيل وهي الحفرة أو حوض واسع، ويؤجل أي يجمع فيه الماء إذا كان قليلاً ثم يفجر إلى المزارع وغيرها، وماء أجيل أي مجتمع مستنقع. ابن منظور، مصدر سابق، ج14، ص25.
- (104) نويصر، حسني محمد، الآثار الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1997م، ص112.
- (105) أحمد فكري، مسجد القيروان، دار العالم الإسلامي، القاهرة، 2009م، ص81.
- (106) عبد الحفاظ، عبدالله عطية، الآثار والفنون الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2005م، ص91.
- (107) ناجي، مرجع سابق، ص257.
- (108) ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن محمد الجزري، الكامل في التاريخ، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص628.
- (109) وهو أمير المغرب إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب التميمي، استعمله الخليفة العباسي هارون الرشيد على المغرب، بنى مدينة سماها العباسية، ومهد المغرب فأحبه أهلها، عاش ستاً وخمسين سنة، ومات في شوال سنة 196هـ. الذهبي، مصدر سابق، ج9، ص129.
- (110) البلاذري، مصدر سابق، ص230.
- (111) ناجي، مرجع سابق، ص228.
- (112) مؤنس، مرجع سابق، ص210.
- (113) البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز، المغرب في بلاد إفريقية والمغرب، مكتبته المثني، بغداد، د.ت، ص25_26.
- (114) المقدسي، مصدر سابق، ص216.
- (115) مؤنس، مرجع سابق، ص210_213.

- (116) الشهري، مرجع سابق، ص121-120.
- (117) صبرة بالفتح ثم السكون ثم راء، وهي بلد قريب من القيروان وتسمى بالمنصورية من بناء مناد بن بُكَيْن، سميت بالمنصور بن يوسف بن زيري بن منا الصنهاجي، كما قيل أن الذي بناها إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله سنة 337هـ واستوطنها في نفس السنة، ياقوت الحموي، مرجع سابق، ج3، ص444.
- (118) البكري، المغرب، مصدر سابق، ص25.
- (119) الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خير الأقطار، ط2، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م، ص144.
- (120) دبوز، محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، ج2، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010م، ص129.
- (121) قرطاجنة أو قرطاج وهي من بلاد الإفرنجية القديمة وتقع وراء بلاد القيروان، وبينها وبين تونس عشرة أميال أو نحوها ومرساها واحد، فتحها المسلمون بقيادة حسان بن النعمان في خلافة عبد الملك بن مروان الأموي. الحميري، مصدر سابق، ص462.
- (122) إفريقية والمراد بها حين إذ الإقليم الذي يمتد من الحدود الغربية لطرابلس الغرب شرقاً وإلى بجاية غرباً، ويشمل مناطق تونس الحالية وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر، وكانت قاعدته مدينة القيروان، وسمي بالمغرب الأدنى لأنه أقرب بلاد المغرب إلى دار الخلافة في الشرق. نهلة شهاب أحمد، المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2003م، ص22.
- (123) الخالدي، أحمد أرشيد، المدن والآثار الإسلامية في العالم، دار المعزز للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، 2009م، ص123.
- (124) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص60.
- (125) والحقيقة أنهم أرادوا بهذا العمل أرادوا أن يكسبوا الوقت فاحتالوا على حسان بذلك الطلب في الوقت الذي وضعوا فيه خطة الانسحاب والهروب من المدينة عن طريق سفن قد أعدوها مسبقاً، فلما علم حسان بذلك دخل المدينة وأحرق بعض وحداتها العمرانية وخرّب البعض الآخر منها، ثم ابتنى مسجداً وأسكن جماعة من المسلمين بها، ثم عاد إلى القيروان. ناجي، مرجع سابق، ص283.
- (126) الخالدي، مرجع سابق، ص123.
- (127) ناجي، مرجع سابق، ص284.

- (128) وقيل أنه سمي بالزيتونة ليكون نوراً يضاء به إفريقيا، لقوله تعالى: ﴿... يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ...﴾ سورة النور الآية 35. النعاس ، وفاء، الطلبة الجزائريون الزيتونيين والحركة الإصلاحية الجزائرية 1900_1954م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013_2014م، ص37. وهناك رواية أخرى تذكر أن الجامع كانت به زيتونة حول صومعته فسمي بها. بن الخوجة ، محمد، صفحات من تاريخ تونس، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص283.
- (129) دبوز، مرجع سابق، ج2، ص218.
- (130) نقولا زيادة، الأعمال الكاملة مدن عربية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2003م، ص65.
- (131) سالم ، السيد عبدالعزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 1999م، ص163.
- (132) الشهري، مرجع سابق، ص74.
- (133) الخالدي، مرجع سابق، ص172.
- (134) ناجي، مرجع سابق، ص289.
- (135) البكري، المغرب، مصدر سابق، ص40.
- (136) الخالدي، مرجع سابق، ص130.